عمار بن ياسر

رجل المحنة وميزان الفتنة

والمؤمن الذي اشتاقت إليه الجنة

إعداد

أسامة بن أحمد سلطان

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

المكتبة المكية



الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

مؤسسة الريان
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - هاتف وفاكس: ٦٥٥٣٨٣ - ص.ب: ١٤/٥١٣٦

المكتبة المكية

حي الهجرة - مكة المكرمة - السعودية - هاتف وفاكس: ٥٣٤٠٨٢٢

عَمَّارُ بنُ يَاسِر

رَجُلُ المِحْنَةِ وَمِيزَانُ الفِتْنَةِ

وَالمُؤْمِنُ الَّذِي اشْتَاقَتْ إِلَيْهِ الجَنَّةُ


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة



مقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ با لله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهد ا لله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى ا لله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد ..

فلقد عُرض علي عندما قررت الشروع في إعداد بحثٍ للتخرج أن أعده في **عمار بن ياسر** رضي ا لله عنهما ، وكان العرض طيباً مغرياً ، وكان الحامل على ذلك ابتداءً افتقار المكتبة الإسلامية إلى ترجمة وافية عن حياة هذا الصحابي رضوان ا لله تعالى عليه ، رغم ما قدمه من خدمات جليلة لهذا الدين ، ورغم المكانة الرفيعة التي احتلها في قلب النبي الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وامتداد الأيدي الخبيثة والمغفلة إلى الروايات التي تتحدث عن شخصيته ، وإيداعها ما يشوه الصورة المشرقة التي عُرفت عن **عمار** رضي الله عنه ، جعلني أرفض أن أدعها مطلقة الإسار ! .

وكان الذي يلفت الانتباه منها ما يتعلق بعلاقة **عمار** مع عثمان رضي ا لله عنهما ، حيث بدت متوترة غاية التوتر ، والأمر في هذه

الروايات قد تعدى المعقول ، إذ لو كـان خلافاً مجرداً لما كـان في الأمر جديد .أما وأن الأمر قد بلغ بأحدهما اتهام الآخر بالكفر والتحريض عليه وإثارة الغوغاء ضده ، وبالثاني الضرب المبرح ، والركـل بـالرجل ، وفتـق الأمعاء ، فهذا مما لا يعقل ، ولا يمكن أن يقبـل في أخـلاق ذلـك الجيـل ، وكان لا بد من التحقيق ، وهو سبب آخر لاختيار الموضوع .

لقد كانت حياة عمار ﷺ عامرة بالتضحيات ، مليئة بالمثل ، مترجمة لأخلاق الإسلام ، وكانت تمثل حقاً في جميع مـا مـر بهـا الأسـوة الحسـنة للسائرين .

إن بإمكـان المؤتسـي أن يـترصد القـدوة في حيـاة هـذا الصحـابي ، حضراً و سفراً ، أمـيراً ووزيـراً ، سيداً ومسـوداً ، يترصدهـا عنـد افـتراق الطـرق ، ويـوم اشـتداد المحن وعنـد تتـابع الفـتن ، يترصدهـا في الغضـب والرضا وفي السلم والحرب ، في طرقات الهـدى ، وفي سـاحات الوغـى ، حياة ملؤها التقى ، في كل اتجاه يُنتقى .

إن الأمة وهي تسعى لإعادة أمجادها ، وانتشال شعوبها من وهدتهـا، لا يمكن أن تسلخ ماضيها عن حاضرها إذ ليس للأمـة حـاضر إن لم يكـن لها ماض .

وحيـاة ذلـك الجيـل مليئـة بـالصور الرائعـة الـتي يجـدر بـأفراد الأمـة الاهتمام بنشرها ، واستخلاص عبرها ، وتربيـة الأجيـال علـى أساسـها ،

فإن ذلك باعث لترسم خطاها واقتفاء أثرها .

" إن خير وسيلة لإشعال العزائم ، وإثارة الروح الوثابة ، وقدح المواهب ، وإذكاء الهمم ، وتقويم الأخلاق بصمت وهدوء ودون أمر أو نهي ، والتسامي إلى معالي الأمور ، والترفع عن سفسافها ، والائتساء بالأسلاف الأجلاء ، هو قراءة سير نبغاء العلماء الصلحاء ، والوقوف على أخبار الرجال العظماء ، والتملّي من اجتلاء مناقب الصالحين الربانيين ، والاقتراب من العلماء النبهاء العاملين المجدين .

فذلك خير مهماز لرفع الهمم ، وشد العزائم ، وسمو المقاصد ، وإنارة القلوب ، وإخلاص النيات ، وتفجير النبوغ والطاقات المدفونة ، والصبر على اجتياز العقبات والصعاب ، واحتلال ذُرى المجد الرفيع ، وكسب الذكر الحسن ، واغتنام الباقيات الصالحات "(١) .

وتناول سيرهم رضوان الله عليهم بروايات مطلقة من غير تمحيص لمتونها وأحوال أسانيدها لا يوصل إلى الهدف ؛ لأن كتب التاريخ قد حوت أخباراً لا يمكن أن تبقى معها موطناً للقدوة .

ومن ثم كان لا بد من التمحيص الذي يعتمد على دراسة حال الإسناد والمتن معاً ، مع ملاحظة إمكانية الاستشهاد بالروايات التاريخية

---

(١) صفحات من صبر العلماء (ص ١٨) .

التي حوت أسانيدها ضعفاء ، ما لم يحمل المتن مخالفة لأصل ، أو طعناً في فاضل .

قال الذهبي : " كما تقرر الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين ، وما زال يمر بنا ذلك في الدووايين والكتب والأجزاء ، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف ، وبعضه كذب ، وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا ، فينبغي طيه وإخفاؤه ، بل إعدامه ؛ لتصفو القلوب وتتوفر على حب الصحابة والترضي عنهم . وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء ، وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العَرِيِّ عن الهوى ، بشرط أن يستغفر لهم ، كما علمنا الله تعالى حيث يقول: ﴿ **والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا** ﴾(١) . فالقوم لهم سوابق وأعمال مكفرة لما وقع منهم ، وجهاد محّاء ، وعبادة ممحصة "(٢) .

وقال ابن حجر الهيتمي : " والواجب على كل من سمع شيئاً أن يتثبت فيه ، ولا ينسبه إلى أحد منهم بمجرد رؤيته في كتاب أو سماعه من شخص ، بل لا بد أن يبحث عنه حتى يصح عنده نسبته إلى أحدهم ،

---

(١) سورة الحشر : الآية (١٠) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١٠/٩٢-٩٣) .

فحينئذ الواجب أن يلتمس لهم أحسن التأويلات ، وأصوب المخارج ، إذ هم أهل لذلك ، كما هو مشهور في مناقبهم ، ومعدود من مآثرهم ، مما يطول إيراده "(١) .

والذي يجدر التنبيه عليه أن بعض الرواة لا يضر الاعتماد عليه في الروايات التاريخية ، وإن كان عند المحدثين ضعيفاً أو متروكاً ، حيث جرى التعارف على ذلك ، وقد ذكر لنا عن بعض الأئمة قولهم : فلان ضعيف أو متروك في الحديث حجة في المغازي والتاريخ . واعتماد الميزان الحديثي في الروايات التاريخية كلها يسقط لنا كماً هائلاً من تراثنا ، يبقى معه القليل الذي لا يفي بالغرض ، ولا تكتمل معه الصورة .

إن موطن الصعوبة التي لاقيتها في هذا البحث ، ما يتعلق بجانب الفتن في حياة عمار رضي الله عنه ، فقد امتلأت كتب التواريخ والسير بروايات تحمل معاول تهدم كل ما عرف عن الصحابة رضوان الله عليهم من الفضل .

ولم أجد من تتبع هذه الروايات بالنقد والتمحيص ، لا سيما ما يتعلق منها بعلاقة عمار مع عثمان رضي الله عنهما ، وما وقع بينهما من خلاف ، وكان لا بد أن أعتمد على نفسي في هذا الجانب ، وكنت

---

(١) الصواعق المحرقة (ص ٢١٦) .

كلما اطلعت على المزيد، كلما ازددت حيرة ، وكان المخرج لي منها اعتماد منهج المحدثين في قبول مثل هذه الأخبار .

إن التساهل في قبول أحاديث المناقب سائغ عند الأصوليين ، والتشدد في قبول روايات المثالب منهج الأئمة المحدثين ، وهذا الذي اختاره أئمة الحديث والتاريخ ، كابن حجر والذهبي وغيرهما ، وهو ما سرت عليه في هذا البحث .

وقد اشتملت خطة بحثي على التالي :

المقدمة .

التمهيد .

الفصل الأول : الترجمة الوافية لحياته ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : عمار في العهد النبوي ، **وفيه مطالب** :

المطلب الأول : اسمه ونسبه وصفته .

المطلب الثاني : إسلامه وسابقة ومنزلته في الميزان النبوي .

المطلب الثالث : ﴿ **أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾[1].

المطلب الرابع : إيمانه وأثره على شخصيته الأخلاقية .

المطلب الخامس : عمار هجرة وجهاداً .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٢) .

المبحث الثاني : عمار مع أبي بكر رضي الله عنهما .

المبحث الثالث : عمار مع عمر رضي الله عنهما .

الفصل الثاني : عمار في الفتن ، وفيه مباحث :

المبحث الأول : عمار في الفتنة الأولى . وفيه مطالب :

المطلب الأول: عمار مع عثمان رضي الله عنهما .

المطلب الثاني: التحقيق في الخلاف بين عمار وعثمان رضي الله عنهما وأسبابه .

المطلب الثالث : هل لعمار دور في قتل عثمان ؟

المبحث الثاني : عمار في الفتنة الثانية ، وفيه مطالب :

المطلب الأول : عمار مع علي رضي الله عنهما .

المطلب الثاني : تصور عمار للفتنة وأثره على اتخاذ مواقفه.

المبحث الثالث : استشهاده

المبحث الرابع : تحقيقات وفيه مطالب :

المطلب الأول : (عمار تقتله الفئة الباغية) .

المطلب الثاني : (يزول مع الحق حيث زال) .

المطلب الثالث : (إنما قتله من جاء به) .

المطلب الرابع : (القاعد فيها خير من القائم) .

المبحث الخامس : شذرات من حياة عمار رضي الله عنه .

الخاتمة .

وأخيراً فإني أشكر الشيخ الفاضل خالد بن فوزي بن عبد الحميد على ما حباني به من الاهتمام والرعاية أثناء القيام بالبحث ، وعلى متابعته العمل فيه ، وعلى توجيهاته الكريمة التي كان لها الأثر الكبير في إخراج البحث على صورته هذه .

وا لله أسأل أن ينفع بما قدمت ، وأن يأجرني على ما بذلت ، وأن يرزقني الإخلاص فيما عملت ، إنه مولاي وحسبي فيما سألت ، عليه توكلت وإليه أنبت .

وكتبه : أسامة بن أحمد سلطان

الاثنين : ١٤١٩/٢/٧ هـ

تمهيد :

ما فتئت أتهيب بعد أن تسنى لي جمع مفردات حياة هذا الصحابي رضوان الله عليه من أن أعمل قلمي في الكتابة عنه ، وإبراز جوانب شخصيته ، كنت أشعر بضآلة نفسي كلما حاولت أن أفكر بذلك ، وعبثاً حاولت أن أحمل من نصحني بخوض هذا الغمار على إعفائي من ذلك ، لكن الأمر بدا صعباً ، مما حدا بي أن أستسلم لثقل هذه المهمة وعظيم تبعاتها ؛ لأحمل قلمي متوكلاً على ربي ، سائله سبحانه في علاه أن يمدني بمدده ، وأن يفتح على عبده فتحاً ، يؤول به إلى بلوغ مرضاته ، ويؤهله لدخول جناته . إذ " **المرء مع من أحب** "[1] ، وقد أحببنا ذلك الجيل ، وحننَّا إلى لقائه ، وعشقنا العيش في ظلال سيرته . فلعلّ الله أن يكتب لنا اجتماعاً به في بُحبوحة جنته ، وأن يسكب علينا بفضله من رحمته ، إنه ولينا وحسبنا ، فنعم المولى ونعم الحسيب ، وبالله التوفيق .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٦١٧٠) عن أبي موسى ، وبرقم (٦١٦٨) ، (٦١٦٩) عن ابن مسعود .

وأخرجه مسلم برقم (٢٦٤١) عن أبي موسى ، وبرقم (٢٦٤٠) عن ابن مسعود .

الفصل الأول
الترجمة الوافية لحياته

وفيه مباحث :

المبحث الأول : عمار في العهد النبوي ، **وفيه مطالب** :

المطلب الأول : اسمه ونسبه وصفته .

المطلب الثاني : إسلامه وسابقة ومنزلته في الميزان النبوي.

المطلب الثالث : ﴿ **أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ .

المطلب الرابع: إيمانه وأثره على شخصيته الأخلاقية .

المطلب الخامس: عمار هجرة وجهاداً .

المبحث الثاني : عمار مع أبي بكر رضي الله عنهما .

المبحث الثالث : عمار مع عمر رضي الله عنهما .

المبحث الأول

عمار في العهد النبوي

وفيه مطالب :

المطلب الأول : اسمه ونسبه وصفته .

المطلب الثاني : إسلامه وسابقة ومنزلته في الميزان النبوي .

المطلب الثالث : **﴿ أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ﴾ .**

المطلب الرابع : إيمانه وأثره على شخصيته الأخلاقية .

المطلب الخامس : **عمار** هجرة وجهاداً .

المطلب الأول
اسمه ونسبه وصفته

هو **عمار بن ياسر** بن عامر بن مالك بن قيس بن الوذيم[١] ، وقيل بين قيس والوذيم : حصين بن الوذيم بن ثعلبة بـن عـوف بـن حارثـة بـن عامر الأكبر بن يام بن عَنْس، وعنس هـو : زيـد بـن مـالك بـن أُدَد بـن يشجب بن عَريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن يَشْجُب بـن يَعْرُب بـن قحطان ، وبنو مالك بن أُدَد من مَذْحِج[٢] .

يقول الإمام أبو نعيـم الأصبهـاني : "**عمار بن ياسر**، أبـو اليقظـان ، الممتلئ من الإيمان، والمطمئن بالإيقان، والمتثبت حين المحنة والافتتنان، والصابر على المذلة والهوان، من السابقين الأولين، سبق إلى قتال الطغاة زمن النبي ﷺ، وبقي إلى طعان البغاة مع الوصي[٣] كان له من النبي ﷺ إذا استأذن البشاشـة

---

(١) في الاستيعاب (١٥٨٨/٤) قال : " ابن الحصين بن الوذين ، ويقال : ابن الوذيم " .

(٢) انظر : سير أعـلام النبـلاء (٤٠٦/١) ، الاستيعاب (١١٣٥/٣)، (١٥٨٨/٤) ، أسـد الغابة (١٢٩/٤) ، الطبقات الكـبرى (١٨٦/٣) ، الإصابـة (٤٧٣/٤) ، تـاريخ دمشـق (٣٥٤/٤٣) ، تهذيـب الكمـال (٢١٧/٢١) ، تهذيـب التهذيـب (٣٥٧/٧) ، كتـاب الطبقات (ص ٢١) ، تاريخ بغداد (١٥٠/١) .

(٣) رحم الله الإمام أبا نعيم ، فما كان يجدر به أن ينساق مع دعاوي الرافضـة مـع وضـوح بطلانها ؛ إذ لا وصاية بعد النبي ﷺ لأحد .

والترحيب، والبشارة بالتطييب، كان لزينة الدنيا واضعاً ، ولنخوة النفس قانعاً، ولأنصار الدين رافعاً ، ولإمام الهدى تابعاً . كان من أهل بدر ، وبعثه عمر على الكوفة أميراً ، وكتب إليهم : إنه من النجباء من أصحاب محمد ﷺ ، كان أحد الأربعة الذين تشتاق إليهم الجنة ، لم يزل يدأب لها ويحنّ إليها إلى أن لقي الأحبة ، محمداً وحزبه "[1] .

ونحن مع الإمام أبي نعيم في إفاضته في ذكر مناقب هذا الصحابي الجليل ، وما كانت الكلمات لتؤدي عنا ونحن ندلف إلى سيرته ، فكان لزاماً علينا أن نستعين بكل من عرف قدره ، وعاين منزلته .

هذه هي هوية صحابيّنا رضوان الله عليه ، والمقام يقتضي المزيد من البيان . فلا بد أن نعرج على أسرته ؛ لنعطيه حقه من التعريف .

والده ياسر بن عامر رضي الله عنه ، صاحب رسول الله ﷺ كذلك ، سارع مع جميع أفراد أسرته إلى الإيمان به مع بزوغ فجر دعوته ، فحاز الحظوة لديه ، ونال شرف السبق إليه .

وياسر رضي الله عنه عُرَني قحطاني مَذْحجي من عَنْس[2] ، وكان سبب

---

(١) حلية الأولياء (١/١٣٩) ، ومراده بالأربعة : عمار وعلي وسلمان وبلال ، كما ورد في حديث أنس رضي الله عنه ، ويأتي قريباً ذكره إن شاء الله .

(٢) أسد الغابة (٤/١٣٠) .

قدومه مكة أنه قدم هو وأخوان له - يقال لهما : الحارث ومالك - في طلب أخ لهما رابع ، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن وأقام ياسر بمكة ، فحالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وتزوج أمة له - يقال لها : سمية بنت خيّاط - فولدت له عماراً ، فأعتقه أبو حذيفة، فمن ها هنا صار عمار مولى لبني مخزوم[1] .

ولقد ظل ياسر وعمار رضي الله عنهما مع أبي حذيفة إلى أن مات. وجاء الله بالإسلام، فأسلم ياسر وسمية وعمار وأخوه عبد الله بن ياسر[2]؛ لتتكون في مكة أسرة أخرى مسلمة[3] تشارك أسرة المصطفى ﷺ في مسيرتها ، رافعة شعار التوحيد في لجة الوثنية ، معلنة الحرب على الشرك والمشركين ، صامدة في وجوه أعداء الدين ، متحدية لبأسهم وجبروتهم .

لا غرابة في أن يلد أسد مثل ياسر شبلاً مثل عمار ، لا سيما وأن

---

(١) أسد الغابة (٤/١٣٠) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٣/٣٥٤)، تاريخ الإسلام ، عهد الخلفاء الراشدين (ص ٥٧٠ - ٥٧١) وكان لياسر ابن آخر أكبر من عمار وعبد الله - يقال له حُريث - فقتله بنو الديل في الجاهلية .

(٣) قال في السير (١/٤٠٦) : قيل لم يسلم أبوا أحد من السابقين المهاجرين سوى عمار وأبي بكر .

والدة هذا الشبل ليست أقلّ شأناً من والده ، فهي سميةُ بنت خُبَّاطٍ[١] المجاهدة الصابرة ، قيل : كانت سابع سبعة في الإسلام[٢] ، صبّ عليها البلاء صبّاً ، فكانت ممن يعذَّب في الله لترجع عن دينها فلم تفعل ، وصبرت حتى مرَّ بها أبو جهل يوماً فطعنها بحربة في قُبُلها فماتت ، فهي أول شهيدة في الإسلام على ما قاله مجاهد[٣] . وكانت عجوزاً كبيرة ضعيفة ، وبقي النبي ﷺ مستشعراً مصيبة عمار بأمه حتى كان يوم بدر وقُتل أبو جهل ، فقال رسول الله ﷺ لعمار : " قد قتل الله قاتل أمّك "[٤] .

ولقد دأب أصحاب التراجم على سرد قصة يستغرب المرء كيف

---

(١) في تاريخ دمشق (٣٥٤/٤٣) : " خَيَّاط " بالخاء المعجمة المفتوحة والمثناة التحتية الثقيلة . وفي السير (٤٠٧/١) : " خُبَّاط " بالخاء المعجمة المضمومة والباء الموحدة الثقيلة . قال في الإصابة (١٨٩/٨) : " سميّة بنت خُبَّاط : بمعجمة مضمومة وموحدة ثقيلة ، ويقال : بمثناة تحتية ، وعند الفاكهي : " سمية بنت خبط " بفتح أوله من غير ألف ، وقال في طبقات خليفة ص ٢١ و ص ٧٥ : " سمية بن حنّاط بالحاء المهملة والنون الفوقية الثقيلة " .

(٢) أسد الغابة (١٥٢/٧) .

(٣) ذكره ابن سعد في الطبقات (٢٠٧/٨-٢٠٨) عن منصور عن مجاهد .

(٤) الطبقات الكبرى (٢٠٧/٨-٢٠٨) وذكره ابن سعد بدون إسناد . ولم أجده في شيء من كتب السنة .

جاوزوها دون أن يستشعروا مخالفتها لبدهيات حياة سمية رضوان الله عليها ، فهم يذكرون أنه خلف على سمية بعد ياسرٍ الأزرقُ ، وأنّه كان غلاماً رومياً للحارث بن كَلَدَة ، وأنه ممن خرج يوم الطائف إلى النبي ﷺ مع عبيد أهل الطائف وفيهم أبو بكرة ، فأعتقهم رسول الله ﷺ ، وأن سمية ولدت للأزرق سلمة بن الأزرق ، فهو أخو عمار لأمه ، ثم ادعى ولد سلمة أنهم من غسان ، وأنهم حلفاء لبني أمية وشرفوا مكة[١] .

وهذا الوهم الذي تناقلته كتب التراجم تنبه له الإمام أبو عمر بن عبد البر في الاستيعاب ، فقال وهو يرد على أحد الواهمين في ذلك : " وهذا غلط من ابن قتيبة فاحش ، وإنما خلف الأزرق على سمية أم زياد مولاة الحارث بن كلدة منها ؛ لأنه كان مولى لهما . فسلمة بن الأزرق أخو زياد لأمه لا أخو عمار ، وليس بين سمية أم عمار وسمية أم زياد نسب ولا سبب "[٢] .

ولعل مما يدحض هذا الوهم ، أن الثابت لدى نقلة الأخبار ، أن سمية رضي الله عنها سبقت ياسراً إلى الشهادة ، وقد سبق أن نقلنا عن إمام التابعين مجاهد أنها أول شهيد في الإسلام ، فكيف يسوغ أن يخلف عليها بعد زوجها أحد !.

---

(١) انظر : المعارف (ص ٢٥٦) .

(٢) الاستيعاب (٤/١٨٦٣-١٨٦٤) .

صفته :

إن حديثنا مستوعباً عن شخصية من الشخصيات لا يتم دون التعرّض لوصف لائق للملامح الجسدية لها . إذ تبقى تراجم الأعلام مبتورة ما لم توشى بهذا الباب ، في الوقت الذي لا يمكن أن تزداد تعريفاً به النكرات.

ولقد اعتادت كتب تراجم الأعلام ألا تغفل هذا الجانب ضمن عناصر تراجمها ، لا سيّما إن كان موضوعها عظيماً من العظماء ، كالعلم الذي نتحدّث عنه . فلقد ذكرت كتب التراجم مجموعة من صفاته ، يمكن لجامعها أن يرسم صورة مبسّطة عن صاحبها تعينه وهو يقلّب صفحات حياته؛ لتبدو مواقفه أكثر إثارة وأكثر حيوية من حدث بلا صورة .

كان عمار ﷺ رجلاً آدم ، طوالاً ، مضطرباً[١] ، أشهل العينين[٢] ، بعيد ما بين المنكبين ، لا يغير شيبه[٣] ، جعد الشعر ، فيه حبشية[٤] ،

---

(١) مضطرباً : " رجل مضطرب الخلق : طويل غير شديد الأسر " لسان العرب (٣٥/٨) .

(٢) أشهل العينين : " الشهلة في العين : أن يشوب سوادها زرقة " . معجم مقاييس اللغة (٢٢٣/٣) . وقال في لسان العرب (٢٢٩/٧) : " والشهلة : أن يكون سواد العين بين الحمرة والسواد " .

(٣) الطبقات الكبرى (٢٠٠/٣) ، تاريخ بغداد (١٥٢/١) .

(٤) تهذيب الكمال (٢٢٠/٢١) ، تاريخ دمشق (٣٦٣/٤٣) . ومعنى : فيه حبشية ، أي : سمرة .

أصلع ، في مقدّم رأسه شعرات ، وفي مؤخره شعرات ، مجدع الأنف[١] .

ولمّا كبر رضوان الله عليه صار أبيض الرأس واللحية[٢] ، وكان لا يركب على سرج على راحلته من الكبر[٣] .

ولقد أخبر عن نفسه أنه كان ترباً لرسول الله ﷺ لسنّه[٤] ، وصدق ، فإنه مات وهو ابن نيّف وتسعين سنة[٥] ، وقد عاش بعد رسول الله ﷺ ستّاً وعشرين سنة ، مما يرجح أن عمره عند وفاة الرسول ﷺ قد تجاوز الستين ، كما هو عمر المصطفى ﷺ .

---

(١) تاريخ دمشق (٣٥٩/٤٣) . ومعنى : مجدّع الأنف ، أي : مقطوعه .

(٢) تاريخ دمشق (٤٨١/٤٣) .

(٣) التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة (٣١٥/٢) . وقال في تاريخ دمشق (٤٨١/٤٣): " وكان لا يركب على سرج ، وكان يركب راحلته من الكبر " . وقال في السير (٤٢٦/١) : " قال أبو عاصم : عاش عمار ثلاثاً وتسعين سنة ، وكان لا يركب على سرج ، ويركب راحلته " .

(٤) سير أعلام النبلاء (٤٠٧/١) ، وأخرجه الحاكم (٤٤٣/٣) .

(٥) تاريخ دمشق (٤٨١/٤٣) .

المطلب الثاني
إسلامه وسابقته ومنزلته في الميزان النبوي

لم يكن الانضمام إلى الصف الإسلامي حين بزغت شمس الهداية وسطع نورها ، غنيمة باردة تنال المقدمين على هذه الخطوة ، فظروف مكة في ذلك الحين تحتم على من يفكر في التخلي عن دينه أن يعيد النظر في ذلك مرات ومرات ، كيف لا ! والمقاييس المادية تقرر خسارته على كل حال .

فهو خاسر ؛ لأنه فقد رضا زعماء مكة عنه ، وهو مكسب لا يستهان به في مثل تلك المجتمعات ، وتعرض بفراقه دينه لغضبهم وانتقامهم بأساليب تئن لهولها الجبال .

وهو خاسر ؛ لأنه تخلى عن مكانته في المجتمع مهما كانت درجتها ، وأنى له أن يستعيدها بعد رضاه بالدين الجديد .

وهو خاسر أيضاً ، حيث يعز على دين مستذل مضطهد أن يعوضه عما فقده ما يمسح حسرته ، ويكفكف دمعته .

وعندما يصر إنسان بعد ذلك كله على قبول تحدي المجتمع بأسره ، والرضا بما يناله منه من جراء الإقدام على هذه الخطوة ، فإنه لا بد وأن يكون قد ملك خصائص مذهلة أهلته لإحراز مثل هذا السبق الفريد ،

وهذه هي الحقيقة ..

لم تكن القلوب التي دخلها هذا الدين للوهلة الأولى ذات خصائص عادية ، ولم يكن اتكاء النصوص على التعرض لفضل أصحابها وعظيم مكانتهم منطلقاً من فراغ :﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾[١].

(لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه)[٢] .

لقد اختارت تلك الفئة المؤمنة أن تنحاز إلى حزب الله ورسوله مهما غلا ثمن ذلك ، وقدمت الثمن ، وكان حقاً باهظاً ، فلم تتوانَ ، ولم تتردد، وصار لزاماً على التاريخ أن يخلد ذكرها ، وأن يجعلها شامة في جبينه ، ويدخل الناس في دين الله أفواجاً ، فيظل لهذه الفئة مكانتها ،

---

(١) سورة التوبة : الآية (١٠٠) .

(٢) متفق عليه : أخرجه البخاري في باب قول النبي ﷺ : (لو كنت متخذاً خليلاً) برقم (٣٦٧٣) . وأخرجه مسلم في باب رقم (٥٤) ، وحديث رقم (٢٢١) .

والمراد بالأصحاب هنا : السابقون إلى الإسلام ، والخطاب للصحابة الذين دخلوا في الإسلام بعدهم كما هو معروف من مناسبة الحديث عندما سب خالد عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما . وإن كانت دلالة الحديث تنسحب على العموم .

كانت رائدة يوم تردد غيرها ، فلا ريادة اليوم لغيرها .

تجمع كتب التراجم على أن **عماراً** كان من السابقين الأولين إلى الإسلام .

فقد أخرج البخاري بسنده عن **عمار** ﷺ، قال :

" رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر "[1] .

وروى منصور عن مجاهد ، قال :

" أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله ، وأبو بكر ، **وعمار** ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد "[2] .

وأما قصة إسلامه ، فهي تحكي جانباً من رجاحة عقله ، وفطنته ، إذ ما كان للعقول الكبيرة أن تتردد في قبول هذا الدين .

أخرج ابن سعد في طبقاته ، قال : أخبرنا محمد بن علي ، قال : أخبرنا عبد الله بن أبي عبيدة بن عمار بن ياسر ، عن أبيه رضي الله عنهما ، قال : قال **عمار بن ياسر** :

" لقيت صهيب بن سنان على باب دار الأرقم ورسول الله فيها ،

---

(١) أخرجه البخاري في : باب إسلام أبي بكر الصديق ﷺ ، حديث رقم (٣٨٥٧) .

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٤٠٩) .

فقلت له : ما تريد ؟ قال لي : ما تريد أنت ؟ فقلت : أردت أن أدخل على محمد فأسمع كلامه ، قال : وأنا أريد ذلك ، فدخلنا عليه ، فعرض علينا الإسلام ، فأسلمنا . ثم مكثنا يومنا على ذلك حتى أمسينا ، ثم خرجنا ونحن مستخفون ، فكان إسلام عمار وصهيب بعد بضعة وثلاثين رجلاً "(١) .

ويؤهل هذا السبق عماراً لنيل أوسمة خالدة خصه بها النبي ﷺ ، جديرة بأن تمحو أحزانه ، وتخفف آلامه . فقد صبر عمار رضي الله عنه على الاضطهاد مع ثلة قليلة ، متحدين طغاة مكة دون أن تلين قناتهم ، وشاركوا النبي ﷺ في دعوته خطوة بخطوة ، وقدموا أرواحهم فداءً لدينهم، حتى أصبحت قلوبهم تنبض بحبه ، وأنفاسهم تتردد بهمه ، وصار لهم زاداً ورواءً وبلسماً وشفاءً ، فهل يضيع الله أجرهم ؟ ! .

لقد جعلهم الله لنبيه نجباء وزراء رفقاء في الدنيا والآخرة ، فهم أحباب الحبيب ، وحبيب الحبيب حبيب .

ذكر الذهبي في سيره عن فطر بن خليفة ، عن كثير بن النواء ، سمعت عبد الله بن مُليل ، سمعت علياً يقول :

قال رسول الله ﷺ : (لم يكن نبي إلا وقد أعطي سبعة رفقاء نجباء

---

(١) الطبقات الكبرى (١٨٧/٣) .

وزراء ، وإني أعطيت أربعة عشر : حمزة ، وأبو بكر ، وعمر ، وعلي ، وجعفر ، وحسن ، وحسين ، وابن مسعود ، وأبو ذر ، والمقداد ، وحذيفة ، وعمار ، وبلال ، وسلمان)[١] .

ولم لا يكون عمار من بين الرفقاء النجباء الوزراء ، وقد أخبر النبي ﷺ عنه بأنه قد (ملئ إيماناً إلى مشاشه)[٢] ، وهل تضيع ثمرة هذا الإيمان عند الله وعند رسوله ، فمن للنجابة والوزارة والمرافقة إن حرمها مليء الإيمان إلى المشاش ؟ ! .

والمتأمل في هذه الأسماء يدرك أي فضل حازه عمار رضي الله عنه ،

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤١٢/١) . وأخرجه الترمذي برقم (٣٧٨٥) وقال : " هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، وقد روي هذا الحديث موقوفاً على علي " . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٦/٩-١٥٧) وقال : " رواه البزار وأحمد ، وزاد عبد الله ابن مسعود والطبراني باختصار ، وذكر فيهم في بعض طرقه مصعب بن عمير ، وفيه كثير النواء ، وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور ، وبقية رجاله ثقات " .

(٢) أخرجه النسائي (١١١/٨) في باب تفاضل أهل الإيمان . وأخرجه ابن ماجه في المقدمة رقم (١٤٧) . والإمام أحمد في فضائل الصحابة (٨٥٨/٢،٨٥٩) . وذكره الهيثمي في المجمع (٢٩٥/٩) وقال : " رواه البزار ورجاله رجال الصحيح " . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤٤٣/٣) وقال : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن كان محمد ابن أبي يعقوب حفظ عن عبد الرحمن بن مهدي " . ونقل المحقق عن الذهبي في التلخيص قوله : " على شرط البخاري ومسلم " .

فالمذكورون كلهم إنما هم قادة الدنيا ، أخضعوها فذلت لهم ، فتحوها ونشروا النور في مشارقها ومغاربها ، ظلوا على ظهر الأرض منارات هدًى للحائرين ، وفارقوها إلى بطنها مسطرة أسماؤهم في الخالدين ، وسيبعثون منها يوم يبعثون منعمين مكرمين .

وتبرز مكانة عمار ﷺ في قلب النبي ﷺ بالمقارنة بين استقباله له واستقباله لغيره ، فبينما يقول لأحدهم : (ائذنوا له ، بئس أخو العشيرة هو)[١] ، يروي الإمام أحمد ، قال حدثنا عبد الله ، قال : حدثني أبي ، قثنا وكيع وعبد الرحمن ، قالا ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، قال وكيع: وأبو إسحاق عن هانئ بن هانئ ، عن علي : قال :

" كنت جالساً عند النبي ﷺ ، فجاء عمار فاستأذن ، فقال : (ائذنوا له ، مرحباً بالطيب المطيب) "[٢] .

ولأن عطاء عمار ﷺ في دين الله لم ينقطع ، ولأنه ربط مصيره

---

(١) متفق عليه : أخرجه البخاري عن عائشة في : باب المداراة مع الناس ، برقم (٦١٣١).
وأخرجه مسلم في : باب رقم (٢٢) ، حديث رقم (٢٥٩١) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٤٦) في المقدمة في : باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ .
والإمام أحمد في : فضائل الصحابة (٢/٨٥٨) . والترمذي رقم (٣٧٩٨) وقال : " هذا حديث حسن صحيح " . والحاكم في المستدرك (٣/٤٣٧) وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه " ووافقه الذهبي ، كما ذكر المحقق . وانظر : شرح السنة (٧/٢٢٨) .

بدعوة الله عز وجل ، ومضى في طريقها ، يستعذب حلوها ، ويتجرع مرها ، فلا بد أن تترقى منزلته إلى نيل أوسمة ربانية بعد كثرة خلعات نبوية . وما قصته مع خالد ﷺ إلا نموذج من هذه الأوسمة[1] ، حيث يربط الله تعالى معاداة عمار ﷺ بمعاداته ، وبغض عمار ببغضه . فما أعظمه من وسام ، إنه يناسب نوعية العطاء ، وليتجرأ بعدها من شاء ، فليس له من الله إلا البغضاء ، ولن يناله منه إلا العداء .

ومن جعل نفسه لله تعالى وقفاً فلن يتر الله عمله ، ومنحه سبحانه لا تحدها الحدود : (وما يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينّه ، ولئن استعاذني لأعيذنّه)[2] ، ولا قيمة في هذا لموازين البشر ، ولا اعتبار لها في ميزان الله عند العطاء ، فهي أقل من أن يحسب لها حساب .

أخرج ابن عساكر بسنده ، عن عمرو بن صليع ، قال : سمعت عائشة رضي الله عنها تقول عن النبي ﷺ : (كم من ذي طمرين لا يؤبه

---

(١) سيأتي ذكرها في صبره وحلمه حيث مكانها المناسب (ص ٧٤) .

(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة برقم (٦٥٠٢) .

له ، لو أقسم على الله لأبره ، منهم **عمار** بن ياسر)[١] .

إن كل ذرة في الكون تنطق بالتوحيد ، وتقر بالربوبية﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾[٢] ، ولأن عقيدة الكون واحدة ، فلا غرابة أن تكتنف أجزاءه مشاعر المودة ، ولا غرابة في حنينه إلى معتنقي عقيدته من البشر ، ويمكن لهذه المشاعر أن تظهر في حالات خاصة ، مع فئة خاصة ، وما حنين الجذع إلى سيد البشر إلا ضرب من أمثلة هذا الترابط .

والله تعالى قد أحب **عماراً** وأكرمه ، والرسول ﷺ قد مدحه وقربه، ولذا فقد نشأت علاقة حب بينه وبين الجنة ، أحد مخلوقات الله ، اشتاقت معها إليه كما يشتاق المحب إلى الحبيب .

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ثلاثة تشتاق إليهم الجنة، علي ، **وعمار** ، وسلمان)[٣] .

---

(١) تاريخ دمشق (٤١١/٤٣) . وانظر : كنز العمال (٧٢١/١١) برقم (٣٣٥٢٣) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٤/٩) وقال : " رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه عيسى بن قرطاس ، وهو متروك " .

(٢) سورة الإسراء : الآية (٤٤) .

(٣) تاريخ دمشق (٣٨٥/٤٣) ، تهذيب الكمال (٢٢٢/٢١) ، سير أعلام النبلا (٤١٣/١) ، الاستيعاب (١١٣٨/٩) . وأخرجه الترمذي في المناقب ، باب مناقب سلمان برقم (٣٧٩٧) وقال : " هذا حديث حسن غريب ، لا نعرفه إلا من حديث =

وفي مقابل اشتياق الجنة له ، ما نصيب النار منـه ؟ عـن علـي قـال : " سمعت رسول الله ﷺ يقول : (دم عمار ولحمه حرام على النار)[١] .

= الحسن بن صالح " . وذكره الهيثمي في المجمع (٩/٣٤٤) وقال : " رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أبي ربيعة الإيادي ، وقد حسن الترمذي حديثه " وقال في (٩/٣٠٧) بعد أن ذكر في الرواية المقداد : " قلت : رواه الترمذي غير ذكر المقداد ، ورواه الطبراني ، وسلمة بن الفضل وعمران بن وهب اختلف في الاحتجاج بهما ، وبقية رجاله ثقات " . وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣/١٤٨) وقال : " هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه " . ونقل المحقق عن الذهبي قوله فيه : " صحيح " .

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٩٥) وقال : " ورواه البزار ، ورجاله ثقات ، وفي بعضهم ضعف لا يضر " .

المطلب الثالث

﴿ أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون ﴾(١)

" إن الإيمان ليس كلمة تقال ، إنما هو حقيقة ذات تكاليف ، وأمانة ذات أعباء ، وجهاد يحتاج إلى صبر ، وجهد يحتاج إلى احتمال ، فلا يكفي أن يقول الناس آمنا ، وهم لا يتركون لهذه الدعوى حتى يتعرضوا للفتنة فيثبتوا عليها ، ويخرجوا منها صافية عناصرهم ، خالصة قلوبهم ، كما تفتن النار الذهب ؛ لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به ، وهذا هو أصل الكلمة اللغوي ، وله دلالته وظله وإيحاؤه ، وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب .

هذه الفتنة على الإيمان أصل ثابت ، وسنة جارية في ميزان الله سبحانه : ﴿ **ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** ﴾(٢) والله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء ، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله ، مغيب عن البشر ، فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم ، لا على مجرد ما

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٢) .

(٢) سورة العنكبوت : الآية (٣) .

يعلمه سبحانه من أمرهم ، وهو فضل من الله من جانب ، وعدل من جانب ، وتربية للناس من جانب . فلا يأخذوا أحداً إلا بما استعلن من أمره ، وبما حققه فعله ، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه " .

" إن الإيمان أمانة الله في الأرض ، لا يحملها إلا من هم لها أهل ، وفيهم على حملها قدرة ، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص ، وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة ، وعلى الأمن والسلامة ، وعلى المتاع والإغراء ، وإنها لأمانة الخلافة في الأرض ، وقيادة الناس إلى طريق الله ، وتحقيق كلمته في عالم الحياة ، فهي أمانة كريمة ، وهي أمانة ثقيلة ، وهي من أمر الله ، يضطلع بها الناس ، ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء " .

" والنفس تطهرها الشدائد فتنفي عنها الخبث ، وتستجيش كامن قواها المذخورة

فتستيقظ وتتجمع ، وتطرقها بعنف وشدة ، فيشتد عودها ويصلب ويصقل ، وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات ، فلا يبقى صامداً إلا أصلبها عوداً ، وأقواها طبيعة ، وأشدها اتصالاً بالله ، وثقة فيما عنده من الحسنيين : النصر أو الأجر . وهؤلاء هم الذين يسلّمون الراية في النهاية ، مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار .

وإنهم ليتسلمون الأمانة وهي عزيزة على نفوسهم بما أدوا لها من

غالي الثمن ، وبما بذلوا لها من الصبر على المحن ، وبما ذاقوا في سبيلها من الآلام والتضحيات ، والذي يبذل من دمه وأعصابه ، ومن راحته واطمئنانه ومن رغائبه ولذاته ، ثم يصبر على الأذى والحرمان ، يشعر ولا شك بقيمة الأمانة التي بذل فيها ما بذل ، فلا يسلمها رخيصة بعد كل هذه التضحيات والآلام "[١] .

ولكي لا يكون ما في نصوص القرآن ونصوص السنة عن الابتلاء نظريات ليس لها من الواقع رصيد ، ولا يشهد لها على أرضه شيء ، فقد اختار الله عز وجل أحب خلقه إليه ﷺ ؛ ليمثل النموذج الحي لهذه السنة الجارية ، وليعلم أمته كيفية التعامل معها ، والانطلاق منها ، وكان لا بد ليكتمل النموذج من تنوع لصور البلاء ، يتعرض فيها المصطفى ﷺ لفتنة في العقيدة ، وفتنة في المال ، وفتنة في الأهل ، وفتنة في الأحباب والأصحاب .

ولأن الله تعالى أراد تربية جيل النبوة ليكونوا مؤهلين لصحبة أحب خلقه إليه ، فقد شاء أن يمتحنهم بما يصلحون معه لنيل شرف صحبة نبيه، وأن يمتحن نبيهم بمحنتهم حيث لا يملك لهم ما يخفف عنهم آلامهم .

ولم تمهل المحنة أصحابها ، فلقد دخل الرعيل الأول إلى هذا الدين

---

(١) في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٢٠-٢٧٢١) .

بقوة ، وعُرف من سنة الله تعالى في الابتلاء أن يعاجل به من قوي إيمانه ، واستعلن بعقيدته ، وأن يختص بشدته الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، وأن يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلاة زيد له في البلاء[1] . ولم يبق من دواعي البلاء شيء يمكن أن تؤخر به المحنة عن عمار رضي الله عنه ، فلقد صدق الله في دخوله إلى هذا الدين ، ورضي بأن يتحدى بعقيدته مجتمعاً بأسره ، ووطّن نفسه ليناله بسببها كل محنة ، وليتعرض دفاعاً عنها لكل فتنة .

وتجري سنة الله تعالى على عمار ..

أخرج ابن عساكر بإسناده إلى يحيى بن أبي بكر الكرْماني ، نا زائدة، نا عاصم بن أبي النجود ، عن زر ، عن عبد الله ، قال :

" كان أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد . فأما رسول الله ﷺ

---

(١) معنى حديث أخرجه الترمذي برقم (٢٣٩٨) عن سعد بن أبي وقاص ، قال : " قلت يا رسول الله ، أي الناس أشد بلاءً ؟ قال : (الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، فيبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ، ابتلي على حسب دينه . فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة) " . وقال الترمذي : " هذا حديث حسن صحيح " . وأخرجه ابن ماجه في باب الصبر على البلاء برقم (٤٠٢٣) .

فمنعه الله بعمه أبي طالب ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد ، وصفدوهم في الشمس ، وما منهم أحد إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال ، فإنه هانت نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأعطوه الولدان يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد "(١) .

زاد منصور عن مجاهد : " فجاء أبو جهل عدو الله بحربته ، فجعل يقول بها في قُبُل سمية حتى قتلها ، وكانت أول شهيد في الإسلام "(٢) .

إن الفتنة لتعظم حين " يتعرض المؤمن للأذى من الباطل وأهله ، ثم لا يجد النصير الذي يسانده ويدفع عنه ، ولا يملك النصرة لنفسه ولا المنعة، ولا يجد القوة التي يواجه بها الطغيان "(٣) ، وعندها يعز الثبات إلا على أقوياء الإيمان ، إذ كيف يثبتون وليس من قوة في الأرض تملك أن تنتشلهم مما هم فيه ، وليست تخبئ لهم الأيام إلا المرارة والأذى ، والشقاء والألم .

" فإذا طال الأمد ، وأبطأ نصر الله ، كانت الفتنة أشد وأقسى ،

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/٣٦٦) . وانظر : سير أعلام النبلاء (١/٤٠٨-٤٠٩) .

(٢) تهذيب الكمال (٢١/٢٢١) ، سير أعلام النبلاء (١/٤٠٩) .

(٣) في ظلال القرآن (٥/ ٢٧٢٠) .

وكان الابتلاء أشد وأعنف ، ولم يثبت إلا من عصم الله ، وهؤلاء هم الذين يحققون في أنفسهم حقيقة الإيمان ، ويؤتمنون على تلك الأمانة الكبرى ، أمانة السماء في الأرض ، وأمانة الله في ضمير الإنسان "(١) .

ويطول الأمد على عمار وأهله وهم يمتحنون ، فلا مناص من أن يرفعوا أمرهم إلى رسول الله ﷺ ، علّ وعد صدق ينالهم منه ، أو لمسات حانية تمسح آلامهم ، وترفع هممهم ، وتواتيهم الفرصة لذلك .

أخرج ابن سعد في الطبقات قال : أخبرنا مسلم بن إبراهيم وعمرو ابن الهيثم أبو قطن ، قالا : أخبرنا القاسم بن الفضل ، قال : أخبرنا عمرو ابن مرة الجملي ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن عثمان بن عفان ، قال :

" أقبلت أنا ورسول الله ﷺ آخذ بيدي نتماشى في البطحاء ، حتى أتينا على أبي عمار وعمار وأمه وهم يعذبون، فقال ياسر: الدهر هكذا؟ فقال له النبي ﷺ : (اصبر ، اللهم اغفر لآل ياسر ، وقد فعلت)(٢) .

وفي رواية ابن عساكر ، عن عثمان ، قال :

" سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار ولأبيه وأمه وهم بمكة

---

(١) في ظلال القرآن (٥/٢٧٢١) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/١٨٨) . وانظر سير أعلام النبلاء (١/٤١٠) .

والمشركون يعذبونهم : (اصبروا آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة) "[١] .

وأخرج ابن سعد ، قال : أخبرني يحيى بن حماد ، قال : أخبرنا أبو عوانة ، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون ، قال :

" أحرق المشركون **عمار بن ياسر** بالنار ، قال : فكان رسول الله ﷺ يَمر به ، ويُمرُّ يده على رأسه فيقول : (يا نار كوني برداً وسلاماً على **عمار** ، كما كنت على إبراهيم ، تقتلك الفئة الباغية) "[٢] .

إنه الإحساس المرهف من قائد الدعوة ﷺ تجاه ما ينال أتباعه ، غير أن الأمر لله ، فلم يكن ليملك لهم غير طلب للمغفرة ، ووعدٍ بالجنة ، ومواساةٍ بالمشاعر ، ودعاء بالتخفيف ، وحسبهم منه ذلك ، فهو ما يطلبونه ، ويحلمون به ويتمنونه .

ولا يترك الله تعالى أولياءه دون أن يمنّ عليهم بما يثبت أقدامهم على دعوته ، ويطمئنهم إلى نيل رحمته ، فإنه سبحانه لم يمتحنهم ليعنتهم ، ولم يرد من وراء ابتلائهم مُضارتهم ، إنما عرضهم للفتنة تمحيصاً لما في قلوبهم، وابتلاء لما في صدورهم ، ورفعاً لدرجاتهم ، وإعلاء لمنزلتهم ،

---

(١) تاريخ دمشق (٣٦٨/٤٣) . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٩٣/٩) وقال : " رواه الطبراني ورجاله ثقات " .

(٢) الطبقات الكبرى (١٨٨/٣) .

وتأهيلاً لهم للقيام بواجبهم تجاه دعوته ، واستحقاقهم للاضطلاع في الأرض بأمر خلافته .

أخرج ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني عثمان ابن محمد بن عبد الحكيم بن صهيب ، عن عمر بن الحكم ، قال :

" كان **عمار بن ياسر** يعذَّب حت لا يدري ما يقول ، وكان صهيب يعذب حتى لا يدري ما يقول ، وكان أبو فكيهة يعذب حتى لا يدري ما يقول ، وبلال ، وعامر ، وقوم من المسلمين ، وفيهم نزلت هذه الآية : ﴿ **والذين هاجروا في ا لله من بعد ما ظلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون**﴾[1] "[2] .

صمد **عمار** ﷺ زمناً على البلاء ، كان يتعرض خلاله لكل ما تفتق به العقل الجاهلي المتغطرس من صنوف الأذى والعذاب ، ومع ذلك فقد ملك ﷺ جناناً ثابتاً وإيماناً راسخاً تحدى به كل ضغوط مجتمعه الذي نُزعت منه أدنى درجات الرحمة ، وفقد في حمأة جاهليته كل معاني الإنسانية ، غير أن للجسد طاقته من الاحتمال ، وثبات القلب غير ثبات الجسد ، ولن يضير **عماراً** ﷺ أن يرضي غطرسة طغاة مكة ليخفف عن

---

(١) سورة النحل : الآية (٤١) .

(٢) الطبقات الكبرى (١٨٨/٣) .

جسده وطأة العذاب مع احتفاظه بمستوى إيمانه الرائع الذي يدلنا عليه ما سأسوقه من روايات .

أخرج ابن سعد ، قال : أخبرنا عبد الله بن جعفر الرقي ، قال : أخبرنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الكريم ، عن أبي عبيدة بن محمد بن **عمار بن ياسر** ، قال :

" أخذ المشركون **عمار بن ياسر** ، فلم يتركوه حتى نال من رسول الله ﷺ ، وذكر آلهتهم بخير ، فلما أتى النبي ﷺ قال : (ما وراءك ؟) . قال : شر يا رسول الله ، والله ما تُركت حتى نلت منك ، وذكرت آلهتهم بخير . قال : (فكيف تجد قلبك ؟) . قال : مطمئن بالإيمان . قال: (فإن عادوا فعُد) "(١) .

وينزل الله تعالى عذر **عمار** رضي الله عنه ومن اهتدى بهدي **عمار** ، ويبرئ إيمانه من أن يكون قد اعتراه بما فعله نقص أو دَخن ؛ ليزيد بذلك شهادة إثر شهادات على رسوخ **عمار** في الإيمان ، وأن نصيب قلبه منه غايةُ الاطمئنان .

قال ابن الأثير : " أنبأنا أبو محمد عبد الله بن علي بن سُويدة التكريتي بإسناده إلى أبي الحسن علي بن محمد بن متّويَة في قول الله عز

---

(١) الطبقات الكبرى (١٨٩/٣) .

وجل : ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾[١] نزلت في **عمار بن ياسر** ، أخذه المشركون فعذبوه فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ وذكر آلهتهم بخير "[٢] ، وذكر نحو ما سبق .

قال الحافظ ابن حجر في الإصابة : " واتفقوا على أنه نزل فيه : ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾"[٣] أي في : **عمار بن ياسر** .

ورغم أن **عماراً** ﷺ لقي من عنت قريش ما بقي معه أثره طوال حياته ، كما أخرج ابن سعد في الطبقات ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني عثمان بن محمد ، عن الحارث بن الفضل ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال :

" أخبرني من رأى **عمار بن ياسر** متجرداً في سراويل ، قال : فنظرت إلى ظهره فيه حَبَط[٤] كثير ، فقلت : ما هذا ؟ قال : هذا مما كانت تعذبني به قريش في رمضاء مكة "[٥] .

---

(١) سورة النحل : الآية (١٠٦) .

(٢) أسد الغابة (٤/١٣٠-١٣١) .

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/٤٧٤)

(٤) " الحبط : آثار الجرح أو السياط بالبدن بعد البرء ، أو الآثار الوارمة التي لم تشقق " . القاموس المحيط (٨٥٤) .

(٥) الطبقات الكبرى (٣/١٨٨) .

ورغم أنه ﷺ ضرب أروع الأمثلة في الصبر على ما ناله من عذاب وأذى في جسده ، وعلى ما شهده من فقدان أحبته والده ووالدته ، ورغم ما كان يحس به بعدما أعطاهم ما يريدون من طمأنينة في إيمان قلبه ، ورغم أن القلوب من حوله كانت تشعر بما يلاقيه ، وتضمر عذره فيما بدر منه ، كما في أسد الغابة عند ابن الأثير ، قال : قال أبو جعفر عبيد الله بن أحمد : وحدثنا يونس ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، قال : قلت لابن عباس :

" أكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يعذرون به في ترك دينهم ؟ قال : نعم والله ، إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً ، من شدة الضر الذي به، حتى إنه ليعطيهم ما سألوه من الفتنة ، وحتى يقولوا له : اللات والعزى إلهك من دون الله ؟ فيقول : نعم ، وحتى إن الجعل ليمر بهم فيقولون له: هذا الجعل إلهك من دون الله ، فيقول : نعم ، افتداءً لما يبلغون من جَهْده "(١) .

رغم كل ذلك فإن روعة إيمانه ﷺ أبت عليه إلا شعوراً بالحزن والأسى عبر عنه بدمعات حرّى ، قدم بها إلى المصطفى ﷺ يشكو إليه ما

---

(١) أسد الغابة (١٣١/٤) . وانظره في سيرة ابن هشام (٣٢٠/١) .

حمله المشركون عليه .

أخرج ابن سعد قال : أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم عن ابن عون عن محمد :

أن النبي ﷺ لقي **عماراً** وهو يبكي ، فجعل يمسح عن عينيه وهو يقول : (أخذك الكفار فغطوك في الماء فقلت كذا وكذا ، فإن عادوا فقل ذاك لهم)[١] .

وبعد أن عركت المحنة **عماراً** رضي الله عنه ، وشهد ما أنزل الله تعالى على رسوله فيه بشأنها كما أخرج ابن سعد ، قال : أخبرنا حجاج بن محمد ، قال : قال ابن جريج ، سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول :

" نزل في **عمار بن ياسر** ، إذ كان يعذب في الله قوله : ﴿ **أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون**﴾ "[٢] ، فقد أدرك حق الإدراك ماذا يعني البلاء للمؤمن الصادق في إيمانه ، لقد أدرك أن دعوى الإيمان لا تستقيم دون محنة ، وأن البلاء من الله لعبده نعمة منه ومنّة ، وأن من حُرم الابتلاء فليفتش في إيمانه أن يكون فيه ثُلمة .

أخرج ابن عساكر بإسناده إلى أبي النضر هاشم بن القاسم ، نا

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/١٨٩) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/١٨٩) .

شعبة ، عن الحكم ، عن هلال بن يساف أو بعض أصحابنا ، عن الربيع ابن عميلة ، قال :

" كنا مع **عمار بن ياسر** في المسجد ، وعنده أعرابي ، فذكروا المرض ، فقال الأعرابي : ما مرضت قط ، فقال **عمار** : ما أنت ؟ ! أو لست منا ؟ ! إن المسلم يبتلى بالبلاء فيكون كفارة خطاياه ، فتتحات كما يتحات ورق الشجر ، وإن الكافر يبتلى ، فيكون مثله كمثل البعير عُقل فلا يدري لم عُقل ، وأطلق فلا يدري لم أطلق "[١] .

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/٤٤٥-٤٤٦) .

المطلب الرابع
إيمانه وأثره على شخصيته الأخلاقية

لو أردنا أن نسير وراء المقاييس المادية في تقييم الناس لتوقفنا عن الكتابة بعد ذكر نسب **عمار** رضي الله عنه ، فإنه مبرّر كاف في هذه الموازين لإلغاء هذا الإنسان من صفحات المجد ، ما لم يُتدارك هذا النقص بما تحترمه الجاهليات . غير أن المولى تبارك وتعالى - وله الحمد والمنّة - جعل للكرامة عنده مقياساً آخر غير الذي يتداوله البشر وهم مبتعدون عن منهج الله ، حيث طهَّر سبحانه كتابه من كل الفوارق البشرية ، وأثبت مبدأً سماوياً خالداً مبتوت الصلة بالمبادئ الأرضية : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ (١) ، وتبعه النبي ﷺ في تعميق هذا المفهوم إذ يقول : (إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)(٢) .

والله جل وعلا - وهو يقرر هذا المبدأ ، أو يدعو نبيه للتعامل على أساسه - ؛ ليضرب للناس المثل في كتابه بتخليد ذكر من لا مكانة لهم في

---

(١) سورة الحجرات : الآية (١٣) .

(٢) أخرجه مسلم عن أبي هريرة برقم (٢٥٦٤) في كتاب البر والصلة والآداب .

أعراف المجتمعات الماديّة ، تضنُّ الحياة بأن تذكرهم في هامشها ، فضلاً عن أن تبوئهم منزلة الشرف التي يحتلها العظماء .

يروي ابن إسحاق في سيرته فيقول : " وكان رسول ا لله ﷺ إذا جلس في المسجد فجلس إليه المستضعفون من أصحابه - خباب[1] ، وعمار ، وأبو فُكيهة[2] يسار مولى صفوان بن أمية بن محرث ، وصهيب[3] ، وأشباههم من المسلمين - هزئت بهم قريش ، وقال

---

(١) " خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد ، أبو يحيى التميمي ، من النجباء السابقين ، له عدة أحاديث ، وقيل كنيته أبو عبد ا لله ، شهد بدراً والمشاهد ، قيل : مات في خلافة عمر ، وصلى عليه عمر ، وليس هذا بشيء ، بل مات بالكوفة سنة سبعة وثلاثين وصلى عليه علي ، وقيل عاش ثلاثاً وسبعين سنة، ولخباب بالمكرر اثنان وثلاثين حديثاً، ومنها ثلاثة في الصحيحين ، وانفرد له البخاري بحديثين ، ومسلم بحديث " . سير أعلام النبلاء (٣٢٣/٢-٣٢٥) .

(٢) " أبو فُكيهة : يقال إنه من الأزد ، وقال بعضهم كان مولى لبني عبد الدار ، فأسلم بمكة، فكان يعذب ليرجع عن دينه فيأبى ، وكان قوم من بني عبد الدار يخرجونه نصف النهار في حر شديد في قيدٍ من حديد ، ويلبس ثياباً ويبطح بالرمضاء ، ثم يؤتى بالصخرة فتوضع على ظهره حتى لا يعقل ، فلم يزل كذلك حتى هاجر أصحاب رسول ا لله ﷺ إلى أرض الحبشة ، فخرج معهم في الهجرة الثانية " . الطبقات الكبرى (٣٨٠/٣) ح .

(٣) " أبو يحيى النماري ، من نمر بن قاسط ، ويعرف بالرومي ؛ لأنه أقام في الروم مدة ، =

بعضهم لبعض : هؤلاء أصحابه كما ترون ، أهـؤلاء منّ ا الله عليهم من بيننا بالهدى والحقّ ؟ لو كان ما جاء به محمّد خيراً ما سبقنا هـؤلاء إليه ، وما خصّهم ا الله به دوننا . فأنزل ا الله تعالى فيهم : ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ ا الله عليهم من بيننا** ﴾ إلى قوله آخر الآيات : ﴿ **فأنّه غفور رحيم** ﴾[1] "[2] .

هكذا يذبُّ ا الله عزّ وجلّ بعزته وكبريائه عن عرض هذه الفئة المؤمنة التي قعد بها حسبها ونسبها عن نيل الحظوة لدى كبراء المجتمع الجاهلي ، فأي تكريم للإنسانية أعظم من هذا التكريم ، وأي شقاء يمكن أن يلحقها

= وهو من أهل الجزيرة ، سبي من قرية نينوى ، من أعمال الموصل ، وقد كان أبوه ، أو عمه عاملاً لكسرى ، ثم إنه جلب إلى مكة ، فاشتراه عبد ا الله بن جدعان القرشي التيمي ، ويقال : بل هرب فأتى مكة ، وحالف ابن جدعان ، كان من كبار السابقين البدريين ، قال الواقدي : مات صهيب بالمدينة في شوال سنة ثمان وثلاثين عن سبعين سنة ، وله نحو من ثلاثين حديثاً ، روى له مسلم منها ثلاثة أحاديث " . سير أعلام النبلاء (٢/١٧-٢٦) .

(١) سورة الأنعام : الآيات (٥٢-٥٤) .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٤٣) .

وهي تتخلى عن هذه الكرامة .

ليس هذا فحسب ، بل إن آيات القرآن لتجتث هذه المبادئ من جذورها في قلوب العصبة المؤمنة ، وهي تعرض مقارنة بين من ينتسب إلى الفئة المستضعفة ذات المكانة التائهة في المجتمعات الجاهلية ، وبين من علا واستطار صيته ، لا لشيء إلا لأن مجتمعه فقد موازين الرجال الحقيقية التي بها يتربعون على كرسي صدارته .

روى سفيان ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل : " ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس** ﴾[1] قال : **عمار بن ياسر** ، وفي قوله : ﴿ **كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها** ﴾ [2] قال : أبو جهل ابن هشام "[3].

ويذكّر الله عز وجل ببعض ما وصل بصحابينا الجليل إلى المنزلة التي أُكرم بها ، فالمرء في المجتمع الإسلامي لا يمكن أن يصل إلى مكانة سامية دون أن يتعرض لمرضاة ربه ، أو يتحلى بخصال تميزه عمن سواه .

---

(١) سورة الأنعام : الآية (١٢٢) .

(٢) سورة الأنعام : الآية (١٢٢) .

(٣) الاستيعاب (١١٣٧/٣) قال ابن حجر في قابوس بن أبي ظبيان : " فيه لين من السادسة " التقريب (ص ٤٤٩) .

أخرج ابن عساكر بإسناده إلى محمد بن عبد الأعلى بن كُناسة ، نا الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس في قوله :

﴿ **أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً** ﴾ [(١)] قال : " نزلت في **عمار بن ياسر** "[(٢)] .

والنبي ﷺ في ذلك كله تبع لربه قد نبذ منذ حداثته تلك الموازين الجائرة ، فهو يستعمل ميزان الكرامة الإلهي ، فيقدم من حقّه التقديم ، ويؤخر من حقّه التأخير : (هذا خير من ملء الأرض مثل هذا)[(٣)] ، وها هو يضع الرجال كلاً في موضعه اللائق بحكمة القائد والمربّي :

أخرج ابن عساكر بسنده إلى سفيان بن سعيد الثوري ، وزائدة بن قدامة ويحيى بن سلمة بن كهيل ، وموسى بن عبد الملك بن عمير ، عن ربعي بن حراش ، عن حذيفة ﷺ قال :

" قال رسول الله ﷺ : (اقتدوا باللذين من بعدي ، أبي بكر وعمر ، واهتدوا بهدي **عمار** ، وتمسكوا بعهد ابن أم عبد ، عبد الله

---

(١) سورة الزمر ، الآية (٥) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٣/٣٧٧) ، قال ابن حجر في الكلبي : " محمد بن السائب بن بشر الكبي ، أبو النضر الكوفي ، النسابة المفسر ، متهم بالكذب ، ورمي بالرفض ، من السادسة " التقريب (ص ٤٧٩) .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٦٤٤٧) عن سهل بن سعد الساعدي .

ابن مسعود) . قلت : وما هدي عمار ؟ قال : التقشّف والتّشمير "(١) .

وكيف لا يأمر النبي ﷺ بالاهتداء بهدي عمار ، وقد أخبر قبل ذلك بأن عماراً (مُلئَ إيماناً إلى مُشاشه(٢))(٣) .

وثمرة هذا الإيمان البالغ إلى المشاش لا بد أن تظهر على صاحبه ، يراها صاحب البصيرة واضحة جلية ، إذ تلمستها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في شخصية عمار ، فهي تقول : " ما من أصحاب محمد ﷺ أشاء أن أقول فيه إلا قلت، إلا عمار بن ياسر، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن عمار بن ياسر حُشي ما بين أخمص قدميه إلى شحمة أذنيه إيماناً) "(٤) .

وليست مبالغة من النبي ﷺ في رفعه لهذا الصحابي إلى هذه المكانة بعد أن تكرر الثناء من الله تعالى على إيمانه الذي خضع للبلاء في عنفوان

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/٣٩٥-٣٩٦) . وانظر : السنن الكبرى (٨/١٥٣) ، وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان رقم (٧٤٠٤٤) ، والمسند (٥/٣٨٥،٣٩٩) . وانظر : السلسلة الصحيحة (٣/٢٣٣-٢٣٦) رقم (١٢٣٣) .

(٢) " المشاش : كل عظم لا مخ فيه ، يمكنك تتبعه ، وقال أبو عبيد : المشاش : رؤوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين " . لسان العرب (١٣/١١٣) .

(٣) سبق تخريجه (ص ٣٢) .

(٤) الاستيعاب (٣/١١٣٨) ، والبداية والنهاية (٧/٣٢٣) .

التحدي الجاهلي ، وخرج منه براقاً صقيلاً لم يزدد إلا رسوخاً وثباتاً :

أخرج ابن سعد في طبقاته قال : أخبرنا حجاج بن محمد قال : قال ابن جريج : سمعت عبد الله بن عبيد بن عمير يقول :

" نزل في **عمار بن ياسر** إذ كان يعذب في الله قوله : ﴿ **أحسب النّاس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يفتنون**﴾ (١) "(٢) .

والآية وإن حوت توجيهاً ربانياً للفئة المؤمنة لفتت به انتباهها إلى ضرورة البلاء إثر دعوى الإيمان ، إلا أنها حملت في طيّاتها شهادة ضمنية – مع ثبوت سبب نزولها – على إيمان **عمار** رضي الله عنه الذي أهله ليتعرض مع من تعرض للتمحيص المؤكد لصدق الادعاء .

ولقد عرف سلفنا الصالح الإيمان بقولهم : ما وقر في القلب وصدقه العمل . فالدعوى إذن ليست كافية بحد ذاتها لثبوت هذا المعنى ، وإلا لادعاه الكثيرون فصُدقوا . والنبي ﷺ عندما يشهد **لعمار** رضي الله عنه بالإيمان المتلئ إلى المشاش يقرر واقعاً قد دلّت عليه أدلة كافية سجلها **عمار** بمواقف يعز حصرها .

أخرج ابن سعد في طبقاته عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن

---

(١) سورة العنكبوت : الآية (٢) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/١٨٩) ، وانظر لباب النقول في أسباب النزول(ص ١٧٠) .

أبيه عن **عمار بن ياسر** ،أنه قال وهو يسير إلى صفين على شط الفرات :

" اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أرمي بنفسي من هذا الجبل فأتردى فأسقط فعلتُ ، ولو أعلم أنه أرضى لك عنّي أن أوقد ناراً عظيمة فأقع فيها فعلت ، اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عنّي أن ألقي نفسي في الماء فأُغرق نفسي فعلت ، فإني لا أقاتل إلا أريد وجهك ، وأنا أرجو أن لا تخيبني وأنا أريد وجهك "(١) .

إن متأملاً في هذه الكلمات يُدرك يقيناً أن صاحبها لم يكن رجلاً عادياً ، فمثل هذا القول لا يصدر إلا ممن محض الإيمان قلبه ، وملأ عليه كيانه ، وتخلص من ذاته وهو يسير إلى ربه ، فلم تعد نفسه تساوي عنده شيئاً في جنب الله . إنه التجرد في أبهى صوره يقطر من كلمات هذا الصحابي ﷺ تتلقاه صحيفة حسناته مبرهنة على صدق دعواه في إيمانه .

وتتلاحق صور البراهين وتتنوع لتؤكد خبرة المصطفى ﷺ بالرجال ، ولتؤيد قول الله تعالى فيه : ﴿ **وما ينطق عن الهوى** ﴾(٢) ، وأن الثناء منه على أحد من أصحابه وسام حق تثبت الأيام جدارته بحمله ، واستئهاله لنيله .

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/١٩٥) . وانظر الكامل (٣/١٨٦) .

(٢) سورة النجم : الآية (٣) .

أخرج ابن سعد أيضاً قال : أخبرنا عفان بن مسلم ، ومسلم بن إبراهيم قالا : أخبرنا الأسود بن شيبان ، قال : أخبرنا نوفل بن أبي عقرب :

قال : " كان **عمار بن ياسر** من أطول الناس سكوتاً وأقله كلاماً ، وكان يقول : عائذ با لله من فتنة ، عائذ با لله من فتنة . قال : ثم عرضت له بعد فتنة عظيمة "[١] .

إن الحساسية الإيمانية – إن صحت التسمية – تشي صاحبها إن تمكنت منه بسمت خاص ، وتضفي عليه أخلاقاً مميزة . و**عمار** رضي الله عنه ظلت إخبارات النبي ﷺ عما سيقع له من فتن تقلق باله وتسيطر على خاطره ، وعمق هذا التأثير هو الذي مكن من حوله من ملاحظة أنماط غريبة في حياته ، واستمرار هذا التأثير هو الذي يدلنا على المستوى الرفيع الذي بلغه **عمار** رضي الله عنه في إيمانه ، فإن المدقق في حياة الصالحين يلحظ تأثير معالم خاصة على مجريات حياتهم ، منها ما يتعلق بالذنوب . كحال الغامدية التي بقي أثر ذنبها يلاحقها ويقض مضجعها زمناً طويلاً ، ولم تكن ترى لها راحة في سوى تطهير النبي ﷺ لها بإقامة الحد عليها . ومنها ما يتعلق بوصية من عظيم ، كرسول الله ﷺ أوصى بها بعضهم على سبيل

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/١٩٤) .

الخصوص ، كوصية النبي ﷺ لعبد الله بن عمر بتعهد قيام الليل ، مما جعل لها أثراً خاصّاً في حياته . ومنها ما يتعلق بعهد خاص عهده النبي ﷺ إلى البعض ، كعهده لثوبان ألا يسأل الناس شيئاً ، إذ يظل أثر هذا العهد واضحاً في حياته ، مما يجعله يأبى أن يسأل مناولة سوطه وقد سقط منه وهو على فرسه . وهكذا الحال مع **عمار** رضي الله عنه ، لم يكن لينسى في زحمة الحياة ما أخبره به النبي ﷺ وهو يعلم يقيناً خطورة التجربة التي ستمر به ، فيكثر صمته ، ويقل كلامه ، ويعظم تأمله ، ويشتد خوفه ، فلا يملك إلا أن يتمتم : " عائذ بالله من فتنة ، عائذ بالله من فتنة " .

ميزة أخرى تُميِّزُ أقوياء الإيمان ، الذين منهم **عمار** رضي الله عنه بشهادة معلمه ﷺ له ، إنها الحرص على الاقتداء في دقيق الأمور لا سيما في مجال القربات .

فقد روى ابن عساكر بسنده إلى صالح بن قَطَن البخاري ، نا محمد ابن عمار بن محمد بن **عمار بن ياسر** ، حدثني أبي عن جدي :

قال : " رأيت أبي **عمار بن ياسر** صلى بعد المغرب ست ركعات فقلت : يا أبة ، ما هذه الصلاة ؟ فقال : رأيت حبيبي ﷺ صلى بعد المغرب ست ركعات ، ثم قال : (من صلى بعد المغرب ست ركعات

غفرت له ذنوبه ، وإن كانت مثل زبد البحر) "[١] .

إن صاحب المستوى الإيماني الرفيع يحسب حسابات كثيرة قبل أن يفكر في إهمال سنة أو ترك قربة ، بل إن جلّ همّه يُقضى في البحث عن الجديد الذي يمكن أن يقدمه في هذا المجال ، وهذا ما حصل تماماً مع عمار رضي الله عنه .

ولعل المقام أن يطول إن بقينا نتتبع مظاهر إيمان هذا الصحابي الجليل، فإن حياة أمثاله ما هي إلا مواقف إيمانية تتجمع لتؤلف أيامهم التي يلقون بها ربهم ، لكن بقي أن نعرف كيف تتغير طريقة تفكيرهم ، وهم يتدرجون في إحراز الكمالات ، فلا يعودون يفكرون كما يفكر الخلق ، بل يصبح لهم شأن غير شؤونهم ، ولسان حالهم يهتف : يا قوم أنتم في واد ونحن في واد .

أخرج ابن عساكر بإسناده إلى سفيان - يعني ابن عيينة - عن أيوب، عن عكرمة :

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/٣٥٢-٣٥٣) . وانظر : كنز العمال (٨/٥٤) قال صاحب الكنز : " ابن منده وقال غريب لا يعرف إلا من هذا الوجه ، تفرد به صالح بن قطن " . وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٢٣٠) وقال : " رواه الطبراني في الثلاثة وقال : تفرد به صالح بن قطن البخاري ، قلت و لم أجد من ترجمه " .

" أن عماراً أخذ سارقاً قد سرق عيبته ، فقال : أسترُ عليه ، لعل الله أن يستر عليّ "(١) .

هكذا إذن ، لا صراخ ولا عراك ولا شتم ولا أذى .

أستر عليه ، لعلّ الله أن يستر عليّ .

حقّاً إنها مدرسة النبوة .

فلا عجب بعد ذلك أن يروي أنس عن النبي ﷺ أنه قال : (اشتاقت الجنة إلى علي ، وعمار ، وسلمان ، وبلال ﷺ)(٢) .

ولَمَ لا تشتاق إليهم ولم يخلقها الله إلا لأمثالهم ؟ ! .

ولعل ما يأتي الحديث عنه ما هو إلا من مظاهر إيمان هذا الصحابي، فلا داعي للإطالة أكثر من ذلك ، ولننتقل إلى الحديث عن شخصيته الأخلاقية كثمرة من ثمرات إيمانه رضي الله عنه .

- **شجاعته وثباته :**

يبرز هذا الخلق عند عمار بن ياسر رضي الله عنهما بشكل جليّ ، ولا عجب ! فهو سليل الجرأة ، وتلميذ مدرسة الشجاعة .

أخرج ابن عساكر بإسناده إلى زائدة ، نا عاصم بن أبي النّجود ،

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤٧/٤٣) . وانظر : مصنف عبد الرزاق (٢٢٦/١٠) .

(٢) سبق تخريجه (ص ٣٥) .

عن زر ، عن عبد الله قال :

" كان أول من أظهر إسلامه سبعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمار ، وأمه سمية ، وصهيب ، وبلال ، والمقداد "(١) .

كانت قريش في كامل عنجهيتها وجبروتها ، لا يملك أن يتصدى لطغيانها أحد ، يوم أن وقفت أسرة ياسر رضي الله عنها تتحدى بأسها وسطوتها ، لم يكن يُرهب ياسراً وأسرته مكانةُ قريش وشدة بطشها مع إحساسهم بسمو المبدأ الذي يحملونه ، وضآلة الفكر الذي يواجهونه ، مما جعل أرواحهم أرخص ما يقدمونه فداء لدينهم وعقيدتهم .

وتتقدم سمية ركب الشهداء ؛ لتكون أول نموذج لمعاني التضحية والفداء ، يتلقفه تلاميذ مدرسة النبوة ، وينهجون على منواله .

وليس غريباً على من يشهد أمه تتحدى عتاة الطغاة دون أن تلين لها قناة ، ثم تستسلم لمصرعها مرحبة بلقاء ربها ، أن يكون على رأس من يقفو أثرها في شجاعتها وثباتها .

والمرء في هذا الباب يحتار ماذا يأخذ وماذا يدع من ضروب الشجاعة التي أظهرها عمار ، والتي لم تنضب حتى بعد أن جاوز التسعين، ولعل الذي يلفت الانتباه مما يجدر إثباته هنا قول عمار : " قد

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/٣٦٦) .

قاتلت مع رسول ا لله ﷺ الإنس والجن " . وللقارئ أن يبدي عجبه من هذه المقولة كما أبداه سامعها ، لكن العجب سيرتفع عنك عندما تقرأ معنا الرواية التالية :

أخرج ابن سعد في الطبقات قال : أخبرنا وهب بن جرير بن حازم وموسى بن إسماعيل ، قالا : أخبرنا جرير بن حازم ، قال سمعت الحسن قال : قال **عمار بن ياسر** :

" قد قاتلت مع رسول ا لله ﷺ الإنس والجن . فقيل له : ما هذا ؟ قاتلت الإنس ، فكيف قاتلت الجن ؟ ! قال : نزلنا مع رسول ا لله ﷺ منزلاً ، فأخذت قربتي ودلوي لأستقي ، فقال لي رسول ا لله ﷺ : (أما إنه سيأتيك آت يمنعك من الماء) .. " .

ترى هل تردد **عمار** وهو يسمع من النبي ﷺ هذا التحذير ؟ وإن شئت فقل : هل التفت إلى ما وراء هذا التحذير ؟ .إن ذرة خوف لم تنتب بطلنا وهو يحمل دلوه متوجهاً لمئه ، فالأمر عنده أسهل من أن يحسب له حساب .

" .. قال : فلما كنت على رأس البئر إذا رجلٌ أسود كأنه مَرَسٌ[1] فقال : لا وا لله لا تستقي اليوم منها ذنوباً واحداً .. " .

---

(١) " مرس : التمر وغيره في الماء إذا أنقعه " . مختار الصحاح (ص ٦٢١) .

يكفي الجبان رؤية هذا المنظر من بعيد ليعود أدراجه ناكصاً على عقبيه ، فكيف يفكر بالانتظار وقد سمع عبارة يقطر صوت صاحبها بالشر، وتضمر نبراته فيها السوء ، لكن الأبطال يختلفون عن غيرهم ، وزمام المبادرة دوماً بأيديهم ، وهذا الذي حصل مع عمار .

" .. قال : فأخذته وأخذني ، فصرعته ، ثم أخذت حجراً فكسرت به أنفه ووجهه ، ثم ملأت قربتي فأتيت بها رسول الله ﷺ ، فقال : (هل أتاك على الماء من أحد ؟) . فقلت : .. " .

ببساطة ودون جعجعة ..

" .. عبد أسود ، فقال : (ما صنعت به ؟) . فأخبرته ، قال : (أتدري من هو ؟). قلت : لا. قال: (ذاك الشيطان جاء يمنعك الماء)"(١).

وعندما يحمى وطيس المعركة ، فلمثل هذا الموقف رجاله الذين يقودون الجيش بثباتهم، تبعث على الإقدام هيئاتهم ، وتقود إلى التضحية نبرات أصواتهم ، نظرة إليهم من قبل أصحابهم ترفع الهمم ، وملاحظة العدو لحالهم تزلزل القدم . فلا عجب أن تميل الكفة بهم في جيش هم رجاله ، بل الغرابة أن تدور الدائرة على صف هم أبطاله .

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/١٩٠) . قال الحافظ المزي في تهذيب الكمال (٢١/٢١٦) في ذكر من روى عن عمار : " والحسن البصري و لم يسمع منه " .

ولنترك الموقف يحدث عن نفسه ، ففي طياته أبلغ وصف ، وأجمل تعليق :

أخرج ابن سعد قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني عبد الله ابن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال :

" رأيت **عمار بن ياسر** يوم اليمامة على صخرة وقد أشرف يصيح: يا معشر المسلمين ، أمن الجنة تفرون ؟ أنا **عمار بن ياسر** ، هلمّوا إليّ ، وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت، فهي تُذَبْذِب ، وهو يقاتل أشد القتال "(١).

وليس هذا آخر مواقف **عمار** رضي الله عنه في الشجاعة، بل هي أكثر من أن تعد، وقد فضلت إرجاء بعضها إلى مبحث " استشهاده " حيث مكانها المناسب .

- **تواضعه :**

ربما يتكبر الضعيف ، ويصعر خده الفقير ، لكن النادر تواضع الأمير، إذ خفض الجناح عليه عسير .

وأولياء الله تعالى ليسوا كغيرهم ، منضبطون في جميع أحوالهم بتوجيه الله لهم ، لا الفقر ينسيهم، ولا الغنى يطغيهم، هم مع المؤمنين أذلة، وللكافرين منهم العزة :﴿ **فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة**

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/١٩٢) .

على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾[١] .

وحال عمار رضي الله عنه مع هذا الخلق في زمن النبي ﷺ صعب القياس ، إذ لم يزل الفقر يلازمه ، ووصف الاستضعاف يلاحقه ، ومع كون التواضع ليس خاصّاً بالذوات ، إلا أن براهين كثيرة يحتاجها من يريد نعت فقير بهذا الخلق ، فلا يزال المعترض يعترض : و لم لا يتواضع من لا حسب له ولا نسب ؟ ! وكيف يتكبر من هذه حاله ؟ !

ولذلك فإنا لم نشأ أن نثبت هذا الخلق لصحابينا من خلال فترة الإسلام الأولى التي عاشها ، وفضلنا أن نجبه المتكبرين بعمار الأمير ؛ لِيُعلم أن أخلاق الرجال لا تتبدل بتبدل الأحوال ، فلم تكن الأخلاق يوماً تبعاً لظرف ، بل الظروف دوماً تبع للأخلاق .

تولى عمار رضي الله تعالى عنه الإمارة عن غير تشوف إليها ولا رغبة فيها " لقد ساءني حين استعملتني "[٢] ، والذي قد تأصل خلق الكبر في نفسه يبقى من هذه الفرصة على انتظار ، لكن عماراً جبل على التواضع منذ نعومة أظفاره ، فلم يكن ليهش لهذا المنصب أو يبش وهو ينشد السلامة في دينه .

---

(١) سورة المائدة : الآية (٥٤) .

(٢) الطبقات الكبرى (١٩٤/٣) ، من مقولته لعمر بعد عزله .

لم يجعل عمار ﷺ هذا المنصب فرصة للاستكثار من الدنيا ، فقد رضي أجراً على عمله المضني هذا بالقليل .

يروي ابن سعد قال : أخبرنا قبيصة بن عقبة ، قال : أخبرنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن عبد الله بن أبي الهذيل :

" أن عمر رزق عماراً وابن مسعود وعثمان بن حنيف شاة ، لعمار شطرها وبطنها ، ولعبد الله ربعها ، ولعثمان ربعها كل يوم "[١] .

ولننظر كيف يتصرف عمار الأمير من خلال الروايات التالية :

أخرج ابن عساكر بإسناده إلى يونس بن عبد الله الجرمي :

" أخبرني من نظر إلى عمار بن ياسر وهو أمير الكوفة فيأخذ نصيبه من اللحم الذي كان رزقه عمر فيحمله بيده "[٢] .

إن مثل هذا المنصب يغير النفوس تغييراً جذرياً تأنف معه أن تتعامل مع واقعها كما يتعامل الناس ، لكن أي نفوس هذه ؟ إنها النفوس التي لم تذق للإيمان طعماً ، فلا يشبعها شيء ، ومن ثم تسعى لتحوز كل شيء . وأما جيل النبوة ، فحاله مختلف تماماً ، إنهم يتعاملون مع الدنيا كالغرباء أو كعابري السبيل ، فهم يتزودون منها لآخرتهم ، ولا يتزودون من

---

(١) الطبقات الكبرى (١٩٣/٣) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٤٧/٤٣) .

آخرتهم لها . ثم ما الـذي يضـير **عمـاراً** في استلامه أجـره كمـا يسـتلمه العامة؟ إن إمارته لم تخرجه عن بشريته ، فهو لم يزل ابناً لآدم ، وآدم مـن تراب .

وأما عن أحواله في شؤون حياته فقد كانت تسـير أيضـاً كالمعتـاد في حياة العامة ، لم يطرأ على مفرداتها تغيير ، وها هو ابن أبي الهذيل يـروي فيقول :

" رأيت **عمـار بن يـاسـر** اشـترى قتـاً[1] بدرهـم ، فاسـتزاد حبـلاً فأبى .. " .

ترى هل هناك داع لاستدعاء صاحب الشرط ، إن الأمر أسهل مـن ذلك ..

" .. فجابذه – أي **عمار** – حتى قاسمه نصفـين وحملـه علـى ظهـره وهو أمير الكوفة "[2] .

كانت تصرفاته رضوان الله عليه في حياته كلها تشير إلى أنه لم يكن يتكلف هذا الخلق ، بـل كـان طبعـاً لـه وسـجية ، ومـا ذاك إلا لأن ذاتـه

---

(١) " القت : الفصفصة ، وهي الرطبة من علف الدواب ، وخصّ بعضهم به اليابسة منها ". لسان العرب (٢٩/١١) .

(٢) الطبقات الكبرى (١٩٣/٣) .

صغرت في عينيه فلم يعد يلتفت إلى ما يثير حميتها ويهين كرامتها ما دامت الأجواء أخوية إيمانية .

وحسب القارئ أن يجيل النظر في الرواية التالية ليرى حروفاً قد أنطقتها الروعة ، وليشهد ظلالاً قد أشخصتها الأصالة ، فلا يملك بعدها إلى أن يسلم لنا فيما قلناه مطأطئاً رأسه لعظمته ، ومقراً له بفضله وكرامته.

أخرج أبو داود بسنده عن ابن جريج قال : أخبرني أبو خالد عن عدي بن ثابت الأنصاري ، قال :

" حدثني رجل أنه كان مع **عمار بن ياسر** بالمدائن ، فأقيمت الصلاة، فتقدم **عمار** وقام على دكان يصلي والناس أسفل منه ، فتقدم حذيفة فأخذ على يديه ، فاتبعه **عمار** حتى أنزله حذيفة ، فلما فرغ **عمار** من صلاته قال له حذيفة : ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول : (إذا أمّ الرجل القوم فلا يقم في مكان أرفع من مقامهم) أو نحو ذلك . قال **عمار** (ويا للروعة) : لذلك اتبعتك حين أخذت على يدي[1] .

ويمر على **عمار** رضي الله عنه نصف قرن من الزمان قد أمضاه في خدمة الإسلام ، ويظن الظانّ أن رجلاً هذا شأنه وهذا فضله ، لا بد أن يغزو

---

(١) عون المعبود (٢/٢١٧) قال المنذري : " فيه رجل مجهول " .

قلبه نوع من الإعجاب بالنفس ؛ لما يرى لنفسه من الدالة على غيره .
لكن هذا لا ينطبق على عمار ، وما هو له بخلق . لقد أرسله علي رضي الله عنه إلى الكوفة مع ابنه الحسن الذي لم يبلغ من العمر نصف ما بلغ عمار يومذاك، ولم يكن له من الفضل ما كان لعمار ، ويصعدا المنبر .. قال الراوي : " فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه ، وقام عمار أسفل من الحسن "(١) .

قال ابن حجر معلقاً على هذه الرواية : " وفيه جواز ارتفاع ذي الأمر فوق من هو أسنّ منه وأعظم سابقة في الإسلام وفضلاً ؛ لأن الحسن ولد أمير المؤمنين ، فكان حينئذٍ هو الأمير على من أرسلهم علي ، وعمار من جملتهم ، فصعد الحسن أعلى المنبر فكان فوق عمار، وإن كان في عمار من الفضل ما يقتضي رجحانه فضلاً عن مساواته . ويحتمل أن يكون عمار فعل ذلك تواضعاً مع الحسن ، وإكراماً له من أجل جده ﷺ، وفعله الحسن مطاوعة له ، لا تكبراً عليه "(٢) .

- صبره وحلمه :

إنّ كل حركة وسكنة في حياة عمار رضي الله عنه تفصح بجلاء عن عمق هذا

---

(١) فتح الباري (٥٨/١٣) .
(٢) فتح الباري (٦٣/١٣) .

الخلق فيه ، والمتأمل في حقيقة هذا الدين يجد الصبر أساساً لا يكاد ينفك عن معانيه كلها . فعلماؤنا وهم يقسمون الصبر إلى أنواع يذكرون أنها ثلاثة :

١ – الصبر على طاعة الله .

٢ – الصبر عن معصية الله .

٣ – الصبر على أقدار الله .

ترى ماذا بقي من الدين لم يدخل تحت أحد هذه الأقسام ؟ ! .

وعندما ندرك حجم هذا الخلق في ميزان الإسلام ، ومكانته في كتاب الله وحديث رسوله ﷺ ، يسهل علينا أن نفسّر تعمقه في حياة عمار ، واعتبارها ترجمة حيّة لأقسامه . إذ ما كان لعمار المليء بالإيمان أن يختل هذا الجانب لديه أو ينقص ، وهو الفقيه في دين الله ، الحريص على طاعته ، الفار من معصيته . فأما قسما الصبر الأولان ، فليس مجال الحديث عنهما هنا ، إذ فصول البحث بكليتها تنطق بتصديقهما والتزامهما ، والفقرة لم تعقد لهما ، وأما القسم الثالث فهو المقصود .

والمتتبع لمواقف صحابينا ، الناشد لشواهد هذا الخلق في حياته ، لا يمكن أن يتجاوز فترة الإسلام الأولى – فترة المحنة والابتلاء – دون أن يسجل مواقف الصبر الرائعة التي وقفها عمار رضي الله عنه مع صحابة النبي ﷺ ، ولدى الغوص في وقائع هذه الفترة وشدتها لا يجد الباحث داعياً لأن

يتجاوزها إلى غيرها ، فليس في سواها غنية عنها ، وفيها الغنية عما سواها.

ولقد قدّمتُ الروايات التاريخية التي تصف محنة **عمار** رضي الله عنه في تلك الفترة ، ولكن الرواية التالية وإن كنت قد أوردتها مختصرة في مطلب : ﴿ **أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾ إلا أن إسهابها في بعض ما يبرز جانب الصبر عند **عمار** رضي الله عنه يدعوني لإعادتها .

أخرج ابن عساكر بسنده عن منصور عن مجاهد قال :

" أول من أظهر إسلامه سبعة ، رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وبلال، وخباب، وصهيب، **وعمار** ، وسمية أم **عمار** ، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه ، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه ، وأما الآخرون فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، حتى بلغ الجهد منهم كل مبلغ ، حتى يسيل منهم الصديد ، فجاء إلى كل رجل منهم قومه بأنطاع الأدم فيها الماء فألقوهم فها ، ثم حملوا بجوانبه ، فلمّا كان العشي جاء أبو جهل فجعل يشتم سمية ويرفث ، وفي رواية فجاء أبو جهل عدو الله بحربته فجعل يقول بها في قبل سمية حتى قتلها ، وكانت أول شهيدة قتلت في الإسلام ، إلا بلال ، فإنه هانت عليه نفسه في الله عز وجل ، فجعلوا في عنقه حبلاً ، ثم أمروا صبيانهم فاشتدوا به بين أخشبي مكة ، وجعل يقول : أحد أحد . فقال **عمار** : كلنا قد قال

ما أريد منه غير بلال ، هانت عليه نفسه في ا لله ، ولكن ا لله تداركنا منه برحمة "[١] .

أدراع الحديد ، الصهر في الشمس ، الصديد من الجسم يسيل ، غمس في الماء على أنطاع الأدم ، إهانات متتابعة متلاحقة ، قتل الأحبة .. إنها حقاً مأساة يستأهل آل عمار – وقد نالوا حظاً وافراً منها – موعود رسول ا لله ﷺ وقد مرّ بهم وهم يعذبون في البطحاء ، فقال : (أبشروا يا آل عمار فإن موعدكم الجنة)[٢] .

ومع عظم هذا البلاء ، ومع شفقة النبيﷺ على ذائقيه ، إلا أن عماراً يبقى شامخاً برأسه إلى الأفق ، يستحقر صبره في جنب صبر بلال ، فترى الحنين إلى منزلة بلال بادياً في عبارته ، وكأنه لم يقدم شيئاً : " كلنا قد قال ما أريد منه غير بلال ، هانت عليه نفسه في ا لله ، ولكن ا لله تداركنا منه برحمة " .

إنه نسيان العمل أمام رؤية أصحاب القمم ، وأمام استشعار حق ا لله الحقيقي الذي لا توازيه أعمال العباد وإن اجتمعت ، فهو الاتكال على رحمة ا لله فحسب .

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/٣٦٦-٣٦٧) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/١٨٨) .

" ومن فروع خلق الصبر الحلم ، إذ الحلم هو الأناة والتثبت في الأمر، وما يلزم عن ذلك من ضبط للنفس عن الغضب ، وكظم للغيظ ، وعفو عن السيئة .

والحليم هو ذو الأناة الذي لا يستفزه الغضب إذا واجه ما يغضبه ، ولا يتسرع بالعقوبة ، بل يضبط نفسه ويتريث ، وبعد الأناة يتصرف على وفق مقتضيات الحكمة ، وكل ذلك لا يكون إلا بضبط النفس عن الاندفاع بعوامل الغضب ، وهو وجه من وجوه الصبر "[1] .

وعمار رضي الله عنه الذي ضرب أمثالاً رائعة في الصبر ، لا بد وأن يقابلها ما يماثلها من حلمه ، وإليك هذين النموذجين اللذين لا يقلان روعة عن نماذج صبره .

عن علقمة ، عن خالد بن الوليد :

قال : " كان بيني وبين عمار كلام ، فأغلظت له في القول ، فانطلق عمار يشكوني إلى النبي ﷺ، فجاء خالد وهو يشكوه إلى النبي ﷺ ، قال: فجعل يغلظ له ، ولا يزيده إلا غلظة ، والنبي ﷺ ساكت لا يتكلم .. " .

إن موقفاً مثل هذا لحقيق بصاحبه أن يتفجر غيظاً وحنقاً ، غلظة على غلظة ، وعمار ينظر ، والنبي ﷺ ساكت لا يتكلم ولا يدافع ،

---

(١) الأخلاق الإسلامية (٢/٣٢٣) .

وعمار ينظر . أي قلب يمكن أن يحتمل مثل هذا ، ثم ماذا بعدُ ؟ .

انفجر عمار أخيراً ، لكن كيف انفجر ؟ وما نتيجة انفجاره ؟ إنه البكاء فقط ! .

بكى عمار وقال : " يا رسول الله ، ألا تراه ! .. " .

فقط !! هذا كل شيء ! ألا تراه ! .

التماس للرحمة المحمدية ، وانتظار للحكمة النبوية ، وكيف لنبي الله ﷺ أن يسكت عن مثل هذا ؟ ألا يكفي عماراً ما ذاقه على أيدي قريش الكافرة ، أفتتجدد مأساته على أيدي قريش المسلمة ، ونبي الله ﷺ ينظر، وينظر فقط .

" رفع رسول الله ﷺ رأسه وقال : (من عادى عماراً عاداه الله ، ومن أبغض عماراً أبغضه الله) .

الله مع عمار على من عاداه أو أبغضه ، أي انتصار بعد هذا الانتصار ؟ ! .

ويأتي دور خالد ، الذي أصبح يدرك بعد إسلامه معنى معاداة الله وبغضه ، فما كان له أن يتعرض لها وقد أدرك مغبتها ، عندها يجنح إلى الفيء الذي اعتيد في أخلاق صحابة رسول الله ﷺ ، الفيء العاجل الذي يجتث نتيجة الخطأ ، فيمحو أثرها ، لا تردد ولا انتظار ، ولا حسبان لميزان الكرامة الجاهلي .

" قال خالد : فخرجت فما كان شيء أحب إلي من رضا عمار ، فلقيته فرضي "(١) .

وأخرج ابن عساكر بسنده عن قيس بن مسلم ، قال : سمعت طارقاً يقول :

" إن أهل البصرة غزوا نهاوند ، وأيّدهم أهل الكوفة ، وعلى أهل الكوفة عمار بن ياسر ، فظهروا ، فأراد أهل البصرة أن لا يقسموا لأهل الكوفة من الغنيمة شيئاً ، فقال رجل من بني تميم من بني عطارد لعمار : أيها الأجدع ! تريد أن تشركنا في غنيمتنا ، قال : خير أذني سببت ، فكتب إلى عمر ، فكتب عمر : إن الغنيمة لمن شهد الوقعة "(٢) .

من الأجدع ؟ ! إنه عمار ، أمير الكوفة . وكيف جدع ؟ ! في موقعة اليمامة ، وهو يقاتل أهل الردة . سفاهة وتجنّ وسوء أدب يذكّر بنظيره في حنين مع معلم البشرية : " والله إن هذه قسمة ما عُدل فيها ، وما أريد بها وجه الله .. " ، وتعامل من التلميذ مع هذا السفه يذكّر

---

(١) تهذيب الكمال (٢٢٣/٢١) ، سير أعلام النبلاء (٤١٥/١) ، أسد الغابة (١٣٢/٤) ، تاريخ دمشق (٣٩٨/٤٣) . وله طرق كثيرة عند الحاكم (٤٣٩/٣-٤٤٢) صحح بعضها الحاكم ، ووافقه الذهبي . وذكره الذهبي في مجمع الزوائد وقال : " رواه أحمد والطبراني ورجاله رجال الصحيح " .

(٢) تاريخ دمشق (٤٤٢/٤٣) .

بتعامل المربي مع تلك الحماقة : (.. يرحم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر) "[1] .

فقط " خير أذني سبب " .. وكفى ..

● **إحسانه وإتقانه :**

إن خللاً في الصف الإسلامي لا يمكن أن يحدث في وجود فئة مؤمنة بالله حق الإيمان ، تدرك واجبها تجاه ربها فتؤديه ، وتلتزم بما عليها من تبعات فتقوم بها .

ومعرفة الفرد المسلم بما له من حقوق وماعليه من واجبات ، والتزامه بتطبيق ذلك كله يُسلس مسيرة الأمة نحو غاياتها ، ويختصر عليها أوقاتها، ويوفر لها طاقاتها ، فتندفع في طريق المجد ، متبوئة مكانتها اللائقة بها بين الأمم ، متربعة على عرش قيادة العالم .

والمتأمل في أحوال أمم سادت ، والمطّلع على أسرار أخرى بادت ، في قديم أو حديث ، يدرك قيمة هذا العنصر الأخلاقي في رقيها أوانهيارها ، ولعل شهادة عمر ﷺ تصف لنا جانباً من مساهمة هذا الخلق في صناعة أمجاد الأمم ، فها هو يرد على أبي بكر ﷺ ولاية القضاء على المدينة بعد أن مكث سنة كاملة لم يختصم فيها إليه أحد ، فيسأله أبو بكر:

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٠٥) ومسلم برقم (١٤٠) عن عبد الله بن مسعود .

" أمن مشقة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر ؟ ! " فيقول عمر : " لا يا خليفة رسول الله ، ولكن لا حاجة لي عند قوم مؤمنين ، عرف كل منهم ما له من حق فلم يطلب أكثر منه ، وما عليه من واجب فلم يقصر في أدائه ، أحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه ، إذا غاب أحدهم تفقدوه، وإذا مرض عادوه ، وإذا افتقر أعانوه ، وإذا احتاج ساعدوه ، وإذا أصيب عزّوه وواسوه ، دينهم النصيحة ، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ففيم يختصمون ؟ ! "(١) .

وليس ببعيد عن واقعنا تاريخ الاتحاد السوفيتي الذي كان من أسباب انهياره فساد ذمم أفراده ، وعدم إخلاصهم في خدمته وإقامة عماده ، مما جعله في إنتاجه ذيلاً لركب أمضى زمناً رائداً لأمداده .

فليس غريباً بعد ذلك أن تحتل مرتبة الإحسان المنزلة الأولى في أصول الدين ، متقدمة على الإيمان والإسلام ، كما في إخبار النبي ﷺ في حديث جبريل عليه السلام عندما سأله عن الإحسان فقال : " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك "(٢) ، والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة ، فالحياة بكاملها

---

(١) تاريخ القضاء في الإسلام (ص ٨٦-٨٧) نقلاً عن أخبار القضاة (١/١٠٤) .

(٢) أخرجه مسلم برقم (٨) عن عمر بن الخطاب ﷺ .

تستقيم إن تكللت بالإحسان ، وهي إلى الوراء ما لم تبنى عليه ، وتمضي إلى جنبتيه .

والإتقان فرع عن الإحسان ، ينبثق من جوهره ، فهو ينبع عن إحساس بمسئولية ، مهما كان نوعها ، إذ حقوق الله مسئولية ، وحقوق الخلق على مختلف مراتبهم مسئولية ، وحقوق النفس مسئولية ، والإتيان بكامل هذه الحقوق هو الإتقان الذي هو على الحقيقة ثمرة الإحسان .

إن شعور المرء بأنه يرى مولاه ، أو أن مولاه يراه ، لا يمكن أن يناله ابتداءً إلا بعد قرابين يتقرب بها الإنسان لربه ، فيعقبه الله بها شفافية في الروح تضفي عليه إحساساً بسعادة لا يصفها لسان ، ولا يستوعبها بيان، عندها يشق النكوص ، ويصعب التراجع ، فيندفع ليحبر أعماله تحبيراً ، إذ كيف ينكص وقد ذاق حلاوة الإيمان ؟ ! وكيف يتراجع وقد شم رائحة الجنان ؟ ![1] .

وعمار بن ياسر ﷺ – وقد ملئ بالإيمان – عبّرت مواقفه عن هذا

---

(١) قد تشم رائحة الجنة كما شمها أنس بن النضر : " الجنة ورب النضر ، إني أجد ريحها من دون أحد " . أخرجه البخاري برقم (٢٨٠٥) عن أنس بن مالك . وقد نقل عن ابن تيمية قوله : " إن في الدنيا جنة ، من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة " . الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص ٥٤) .

الخلق تعبيراً رائعاً برز في صورة فاقت المعتاد ، فبدا بـين صحابـة النـبي ﷺ متميزاً تميزاً واضحاً . ولنتأمل في الرواية التالية ، فإن فيها تصديقاً لما نقـول مما تعجب منه العقول :

أخرج ابن سعد في طبقاته قـال : أخبرنـا عفـان بـن مسـلم ، قـال : أخبرنـا وهيـب ، قـال : أخبرنـا داود بـن أبـي نضـرة ، عـن أبــي سـعيد الخدري، قال :

" لّما أخذ النبي ﷺ في بناء المسـجد ، جعلنـا نحمـل لبنـة لبنـة وجعـل **عمار** يحمل لبنتين لبنتـين ، فجئـت فحدّثـني أصحـابي أن النـبي ﷺ جعـل ينفـض الـتراب عـن رأسـه ويقـول : (ويحـك ابــن سميـة تقتلـك الفئـة الباغية)[1] . وفي رواية عن عبد الله بن عمرو بن العاص : (ويحك إنـك لحريص على الأجر ، وتقتلك الفئة الباغية)[2] .

والرواية الأعجب من هذه ما أخـرج ابـن عسـاكر بإسـناده إلى ابـن إسحاق ، قال : وحدثني سعيد بن المرزبان ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن جابر بن عبد الله رضـي الله عنهمـا: " أن رسـول الله ﷺ والمسـلمين لمـا أخذوا في حفر الخندق ، جعل **عمار بن ياسر** يحمل التراب والحجارة من

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/١٩١) . وانظر تخريجه (ص ١٩٣) تحقيق عمار تقتله الفئة الباغية .

(٢) تاريخ دمشق (٤٣/٤١٣-٤١٤) .

الخندق فيطرحه على شفيره ، وكان ناقهاً من مرض ، صائماً ، فأدركه الغشي !!! .. " .

إن القلم ليذهل عن إكمال الرواية وهو يتأمل - متحيراً - هذا الموقف العجيب ، تُرى هل صدقنا القول ونحن نخبر أن مواقف عمار في هذا المجال فاقت المعتاد ؟ . وهل أصبنا الحق إذ جعلناه متميزاً بمواقفه هذه بين صحابة النبي ﷺ كما تميز غيره في غيرها ؟ . إن الفرصة سانحة للتهرب من العمل ، والتفلت من المسئولية ، ولو اهتبلها لما لامه أحد ، ولالتُمس له العذر ، لكنه الإحسان ، والإحسان في أبهى صوره .

ويشعر الصديق بما يتحمله من مشقة ، فيبرهن بقوله على أن اللائمة سترتفع عن عمار لو انسحب من هذا المضمار ، لكن !! إنّه عمار .

" .. قال : فأتاه أبو بكر فقال : اربع على نفسك يا عمار ، قد قتلت نفسك ، وأنت ناقه من مرض .. " .

لكن الحقيقة أن هذا الصنف من الناس قتله في قعوده عن المشاركة ، والمشاركة المخلصة في مثل هذه الظروف ، إنه لم يتعود أن يغيب عن الساحة ، ودس الرؤوس في الرمال ليس من أخلاقه .

ويأتي الدور النبوي ختاماً لينهي الموقف بما يستحقه صاحبه ، لمسات حانية ، ووسام شرف :

" .. قال : فسمع رسول الله ﷺ قول أبي بكر ، فقام ، فجعل

يمسح التراب عن رأس عمار ومنكبه وهو يقول : (يزعمون أنك متّ وأنك قتلت نفسك ، كلا والله ، حتى تقتلك الفئة الباغية) "[1] .

إنه حقاً موقف متميز يستحق صاحبه أن تتميز بشخصه مواقف الأمة في يوم من الأيام : (تقتلك الفئة الباغية) .

والمشاركة الفعالة لعمار رضي الله عنه يوم اليمامة - وإن سقناها دليلاً على شجاعة نادرة المثال ، إلا أنها تصلح للاستدلال بها على موقف آية في الإحسان - فالقتال بحدّ ذاته قيام بالواجب ، لا ملامة على القائم به ما لم يقصر فيه ، أما أن يستشعر المقاتل أن واجبه لا يقف عند هذا الحد ، بل عليه أن يكون محركاً لمكامن العزيمة في أصحابه وإن لم يولّى قيادهم ، فهو إتقان منقطع النظير كما اعتبرناه شجاعة نادرة المثال سواءً بسواء .

وتمضي مواقف عمار في هذا المجال مبرهنة على عمق هذا المفهوم في حياته إلى درجة استشعرها من حوله من لداته .

فقد أخرج ابن عساكر بإسناده إلى يعقوب بن إبراهيم ، نا أبي ، عن أبي إسحاق ، نا محمد بن كعب القرظي ، عمن حدثه عن عبد الله ابن مسعود ، قال :

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/٤١٦) .

" بينا نحن يوم الجمعة في مسـجد الكوفـة ، و**عمـار بـن ياسـر** أمـير على الكوفة لعمر بن الخطاب ، وعبد الله بن مسعود على بيت المـال ، إذ نظر عبد الله بن مسعود إلى الظل فرآه قـدر الشـراك ، فقـال : إن يصـب صاحبكم سنة نبيكم ﷺ يخرج الآن .. " .

موقف في غاية الحرج ، وامتحان جد عسير ، لا يسع صاحبـه يسـير التأخير ، وإلا فهـي المخالفـة لسـنة الحبيـب النذيـر ، لكـن !! إن صاحبنـا **عمار**، وما أدراك ما **عمار** ؟ !

قال : " .. فوالله ما فرغ عبد الله بن مسعود من كلامه حتى خرج **عمار بن ياسر** يقول : الصلاة "[1] .

ولئن كان الشيطان للمحسنين لبالمرصاد ، فإنهم لا يعدمون الوسـيلة التي يتصدّون بها لشره ، وتراهـم دومـاً ينـافحون عـن طاعـاتهم أن ينالهـا بسوء ، أو يفقدهم فضلها ، فحيله معهم لا تنقطع ، وسـعيهم لـرد كيـده في نحره لا يرتفع ، هذه حياتهم ، وهذا همهم .

أخرج ابن عساكر بسنده إلى ابن عجلان ، عن سعيد المقبري ، عـن عمر بن الحكم ، عن عبد الله بن غنمة قال :

" رأيت **عمار بن ياسر** دخل المسجد فصلى فأخف الصلاة ، قال :

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/٤٣٨) .

فلما خرج قمت إليه فقلت : أبا اليقظان ، لقد خففت ، قال : فهل رأيتني انتقصت من حدودها شيئاً ؟ قلت : لا. قال : فإني بادرت بها سهوة الشيطان ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن العبد ليصلي الصلاة، وما يكتب له منها إلا عشرها ، تسعها ، ثمنها ، سبعها ، سدسها، خمسها ، ربعها ، ثلثها ، نصفها) "[١] .

إنه الفقه في دين الله ، والفقه في إحراز ثواب الله ، والمثال ليس يتيماً، فإليك له نظيراً:

أخرج ابن عساكر أيضاً بسنده إلى مسدد ، نا عبد العزيز بن المختار، نا عبد الله الداناج ، قال : وحدثني خلاس بن عمرو ، قال :

" شهدت **عمار بن ياسر** وسأله رجل عن الوتر ، قال : ترضى بما أصنع ؟ قال : إنّ فيك لمقنعاً . قال : أما أنا فأوتر من أول الليل ، فإن رزقت من آخر الليل شيئاً صليت شفعاً حتى أصبح "[٢] .

- **ورعه :**

ولأن الدين أغلى ما يملكونه ، ولأن ما يكسبونه من حسنات غنيمة يصعب عليهم التفريط بها أو التنازل عنها ، ولأنهم ورثوا عن النبي ﷺ

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤١/٤٣) . وانظر : سنن البيهقي الكبرى (٢٨١/٢) ، وصحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٢١٠/٥) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٤٢/٤٣) .

ورعه ووصيته به (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)[١] ، (فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه)[٢] ، فلا عجب بعد ذلك من تحرزهم مما يظنونه ماحقاً لحسناتهم، فلا يزالون يدعون ما ليس به بأس حذراً مما به بأس.

والرواية التالية تحكي جانباً من ورعهم في حياتهم وتخبر عن حساسية مرهفة تجاه كل ما يتعلق بعلاقتهم بربهم :

أخرج ابن سعد في طبقاته قال : أخبرنا موسى بن إسماعيل ، قال : أخبرنا وهيب ، عن داود ، عن عامر ، قال :

" سئل عمار عن مسألة فقال : هل كان هذا بعد ؟ قالوا : لا ، قال: فدعونا حتى يكون، فإذا كان تجشمناها لكم "[٣] .

ليست القضية بهذه البساطة ، فهي ليست كلمة تقال وينتهي أمرها، إنه توقيع عن رب العالمين ، فهو ثقيل على المتقين .

وتقع الفتنة بين أصحاب النبي ﷺ ، وينضم عمار رضي الله عنه إلى صفوف جيش علي ، فيرسله إلى الكوفة مع الحسن لدعوة أهلها للانضمام إليه ، وفي أجواء تحمل كل هذا التأزم ، وفي ظروف تضيع فيها الذمم ، ويبقى من الهموم هم دحر الخصم ، ينطلق عمار رضي الله عنه ليعلن ما يدين الله به دون

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٥١٨) عن الحسن بن علي ، والنسائي (٨/٣٢٧-٣٢٨) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٢) ، ومسلم برقم (١١٧) عن النعمان بن بشير .

(٣) الطبقات الكبرى (٣/١٩٤) .

مواربة أو شطط ، لم يحمله خلافه مع عائشة رضي الله عنها على الافتراء عليها ، أو استباحة عرضها ، أو الانتقاص من فضلها ، إنه الورِع الذي يخاف الله حتى في مثل هذه الظروف .

أخرج البخاري بإسناده إلى أبي مريم عبد الله بن زياد الأسدي ، قال :

" لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث علي **عمار بن ياسر** وحسن بن علي ، فقدما علينا الكوفة ، فصعدا المنبر ، فكان الحسن ابن علي فوق المنبر في أعلاه ، وقام **عمار** أسفل من الحسن ، فاجتمعنا إليه ، فسمعت **عماراً** يقول : إن عائشة سارت إلى البصرة ، والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة ، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي "[1] .

يقول ابن حجر : "ومراد **عمار** بذلك أن الصواب في تلك القضية كان مع علي ، وأن عائشة مع ذلك لم تخرج بذلك عن الإسلام ، ولا أن تكون زوجة النبي ﷺ في الجنة ، فكان يعد من إنصاف **عمار** وشدة ورعه وتحريه قول الحق .

قال ابن هبيرة : في هذا الحديث أن **عماراً** كان صادق اللهجة ، وكان

---

(١) فتح الباري (١٣/٥٨) . أخرجه البخاري برقم (٧١٠٠) عن أبي مريم الأسدي .

لا تستخفه الخصومة إلى أن ينتقص خصمه ، فإنه شهد لعائشة بـالفضل التـام مع ما بينهما من الحرب "[١] .

---

(١) فتح الباري (١٣/٦٣) .

المطلب الخامس

عمار هجرة وجهاداً

● عمار المهاجر :

وعندما يشتد البلاء على المؤمنين في مكة ، يأذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فيبادرون ، وتتوجه ركائبهم إليها .

ولقد شك المؤرخون في هجرة **عمار** رضي الله عنه إلى الحبشة ، فقد قال ابن إسحاق :

" فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين ، سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً ، وولدوا بها ، ثلاثة وثمانين رجلاً ، إن كان **عمار بن ياسر** فيهم ، وهو يشك فيه "(1) .

وذكر في تعداد من عاد من أرض الحبشة حينما بلغه إسلام قريش :

" ومن حلفائهم – أي حلفاء بني مخزوم – **عمار بن ياسر** ، يشك فيه أكان خرج إلى الحبشة أم لا "(2) .

وقال النووي : " واختلفوا في هجرته إلى الحبشة "(3) .

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٠) .

(2) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٣٥٧) .

(3) تهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٧) .

وقال ابن حجر : " واختلف في هجرته إلى الحبشة "[١] .

ولم ينسب ابن سعد القول بهجرته إلى أحد فقال : " قالوا : هاجر **عمار بن ياسر** إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية "[٢] .

وقال ابن عبد البر : " وهاجر إلى أرض الحبشة وصلى القبلتين ، وهو من المهاجرين الأولين ، ثم شهد بدراً والمشاهد كلها "[٣] .

والمؤمن با لله حق الإيمان لا يرتبط ببقعة من الأرض معينة ، ولا يقدس وطناً من الأوطان دون أن يرتبط وجوده عليه بمسمى الإيمان ، لأن عقيدته أغلى ما يملكه ، فلا كرامة عنده بدونها لشيء ، وحيث تكرم عقيدته يكون وطنه وبلدته .

ويعود مهاجرو الحبشة إلى مكة ، ثم يؤمرون بعد لأيٍ بمفارقتها كرة أخرى ، لكن إلى المدينة حيث إخوانهم في العقيدة هناك ، ويكون **عمار** في مقدمة المبادرين .

أخرج ابن عساكر بإسناده إلى محمد بن إسماعيل ، نا عبد الله بن رجاء ، نا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن البراء قال :

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤٧٣/٤) .

(٢) الطبقات الكبرى (١٨٩/٣) .

(٣) الاستيعاب (١١٣٦/٣) .

" كان أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو عبد الدار بن قصي ، فقلت له : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قال : هو مكانه ، وأصحابه على أثري ، ثم أتانا بعده عمرو بن أم مكتوم أخو بني فِهر ، فقال : ما فعل رسول الله ﷺ وأصحابه ؟ فقال : هم أولاي على أثري ، ثم أتانا بعده **عمار بن ياسر** ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله ابن مسعود ، وبلال ، ثم أتانا بعدهم عمر بن الخطاب في عشرين راكباً ، ثم أتانا بعدهم رسول الله ﷺ ، وأبو بكر معه ، قال البراء : فلم يقدم رسول الله ﷺ المدينة حتى قرأت سوراً من المفصل ، ثم خرجنا نتلقى العير فوجدناهم قد برزوا "(١) .

ويفتح الأنصار صدورهم وبيوتهم لإخوانهم المهاجرين الذين تركوا ديارهم وأوطانهم فداءً لدينهم وعقيدتهم ، فكان لزاماً عليهم أن يكون فيما يملكونه المواساة لإخوانهم ، وكغيره **عمار بن ياسر** ، كان لا بد له من مأوى يؤويه في المدينة بعد أن فارق الأرض التي نشأ عليها وترعرع، وقضى فيها أكثر من نصف قرن من الزمان .

أخرج ابن سعد قال : " أخبرنا محمد بن عمر قال : أخبرنا عمر بن عثمان ، عن أبيه ، قال : " لما هاجر **عمار بن ياسر** من مكة إلى المدينة

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/٣٨٠) .

نزل على مُبَشر بن عبد المنذر " "[١] .

ويعقد النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار أشرف عقد في التاريخ ، تمخضت عنه صور رائعة في التضحية والإيثار ، شهدت لذلك الجيل بتميزه عن الأجيال ، وتأهله لصحبة النبي ﷺ ، واستحقاقه لثناء الله تعالى عليه : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾[٢] .

﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[٣] .

وكان نصيب **عمار بن ياسر** الإخاء مع صاحب سر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه .

أخرج ابن سعد قال : أخبرنا محمد بن عمر ، عن عبد الله

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/١٨٩) .

(٢) سورة الحشر : الآيتان (٨-٩) .

(٣) سورة الفتح : الآية (٢٩) .

ابن جعفر ، قال :

"آخى رسول الله ﷺ بين **عمار بن ياسر** وحذيفة بن اليمان"(١) .

ويعرف أهل الفضل الفضل لأهله ، وتبقى هجرة **عمار** رضي الله عنه دليلاً على فضله وسبقه ، مما يجعلها موطناً للثناء عليه من علية أصحاب النبي ﷺ .

أخرج ابن عساكر بإسناده إلى وكيع ، نا سفيان ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، قال :

" جاء رجلان إلى علي مدهنين ، قد خرجا من الحمام ، قال علي : من أنتما ، قالا : نحن من المهاجرين ، قال علي : إنما المهاجر **عمار بن ياسر** "(٢) .

• عمار المجاهد

استقر رسول الله ﷺ وأصحابه في المدينة ، وقامت دولة الإسلام

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/١٩٠) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٣/٤٦١) . وذكره الهيثمي في المجمع (٩/٢٩٢) وقال : " رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح " .

قال محمد بن أحمد بن يعقوب ، قال جدي : أحسب أن الرجلين ليسا من الصحابة ، ولو كانا من الصحابة ، عرفهما ، وإنما يعنيان من المهاجرين ممن جاء فقاتل معه . تاريخ دمشق (٤٣/٤٦٢) .

الأولى في التاريخ هناك ، وآن للفئة المؤمنة أن تغير من أسلوبها مع عدوها، وأن تثأر لما نالها منه في عقيدتها ، بعد أن مكثت ردحاً من الزمن ، متجرعة مرارة أذاه ، كافّةً يديها عن دفع اعتداه ، منتظرة إذن مولاها جل في علاه ؛ لتنطلق محطمة قيودها ، مدافعة عن دينها ، معلنة شموخه وتساميه ، وذل من يتنكب طريقه ويعاديه .

ويستعد **عمار** مع المستعدين ، يعلن لروحه أن لا مستقر لها بعد الآن إلا على راحته ، فلقد باعها لبارئها ، واشترى الجنة بها ، وأنى له أن يستقيل ؟ .

وضع النبي ﷺ خطة عسكرية لزعزعة أمن عدوه ، كان من عناصرها سلسلة من السرايا ، تشعره بولادة دولة الإسلام ، وحجم قوتها؛ لئلا يتجرأ على التفكير بالتصدي لها. وكان من بين هذه السرايا سرية وجهها النبي ﷺ إلى نخلة ، ضمت عدداً من المهاجرين من بينهم **عمار بن ياسر** رضي الله عنهما ، ويشاء الله تعالى أن يبلو هذا المجاهد؛ ليعلم أصدق في بيعه أم لا.

قال الطبري : " حدثني موسى بن هارون قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وعن مرة ، عن ابن مسعود : ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن**

سبيل الله ﴾ . . . الآية[١] .

وذلك أن رسول الله ﷺ بعث سرية وكانوا سبعة نفر عليهم عبد الله بن جحش الأسدي ، وفيهم : **عمار بن ياسر** ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان السلمي حليف لبني نوفل ، وسهيل بن بيضاء ، وعامر بن فهيرة ، وواقد بن عبد الله اليربوعي حليف لعمر بن الخطاب ، وكتب مع ابن جحش كتاباً وأمره أن لا يقرأه حتى ينزل بطن ملل ، فلما نزل بطن ملل فتح الكتاب ، فإذا فيه: (أن سر حتى تنزل بطن نخلة) ، فقال لأصحابه : من كان يريد الموت فليمض ، وليوص ، فإني موصٍ وماضٍ لأمر رسول الله ﷺ ، فسار وتخلف عنه سعد بن أبي وقاص ، وعتبة ، أضلا راحلة لهما ، فأتيا بحران يطلبانها ، وسار ابن جحش إلى بطن نخلة ، فإذا هو بالحكم بن كيسان ، وعبد الله بن المغيرة ، والمغيرة بن عثمان ، وعمرو بن الحضرمي ، فاقتتلوا، فأسروا الحكم بن كيسان ، وعبد الله بن المغيرة ، وانفلت المغيرة ، وقتل عمرو بن الحضرمي ، قتله واقد بن عبد الله ، فكانت أول غنيمة غنمها أصحاب محمد ﷺ ، فلما رجعوا إلى المدينة بالأسيرين ، وما أصابوا من الأموال ، أراد أهل مكة أن يفادوا بالأسيرين ، فقال النبي ﷺ : (حتى

---

(١) سورة البقرة : الآية (٢١٧) .

ننظر ما فعل صاحبانا) ، فلما رجع سعد وصاحبه فادى بالأسيرين ، ففجر عليه المشركون ، وقالوا: محمد يزعم أنه يتبع طاعة الله ، وهو أول من استحل الشهر الحرام وقتل صاحبنا في رجب ، فقال المسلمون : إنما قتلناه في جمادى ، وقيل في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى ، وغمد المسلمون سيوفهم حين دخل رجب ، فأنزل الله عز وجل يعير أهل مكة ﴿ **يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير** ﴾ .. الآية "(١) .

إن لم يكن حب الشهادة دافعاً **لعمار** إلى المضي ، فإن التنافس في القربات الذي كان من دأب ذلك الجيل ، لا بد وأن يستنهض همم أولئك النفر ؛ ليمضوا مع أميرهم مسارعين دون أدنى تفكير في النكوص، وهذا ما حصل .

يقول ابن سعد : " وشهد **عمار بن ياسر** بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ "(٢) .

إن رفقة النبي ﷺ في مثل هذه المواطن شرف لا يدانيه شرف ، ولذا فإن **عماراً** رضي الله عنه لم يكن ليرضى لنفسه أن يتخلف عنه في مشهد من

---

(١) تاريخ الطبري (١/٥٢٤) . وانظر : تفسير القرآن العظيم (١/٢٦٠) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/١٩٠) .

مشاهده ، لقد رافقه في غزوة العشيرة ، وحدث عن نفسه أنه كان هو وعلي رفيقين معه في تلك الغزوة [١] .

ثم انطلق رسول الله ﷺ متصدياً لعير قريش ، وكان في رفقته عمار رضي الله عنه ، ويكتب الله له المشاركة في غزوة بدر[٢] التي أخبر رسول الله ﷺ عن أهلها فقال : (وما يدريك لعلَّ الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[٣] .

وكان رضي الله عنه في تلك الغزوة أسداً هصوراً ، وبطلاً مغواراً ، أتعب جيش المشركين وأثخن فيهم ، وكان من نصيبه قتل أربعة منهم : عامر ابن الحضرمي حليفاً لبني عبد شمس بن عبد مناف[٤] ، وعلي بن أمية بن خلف[٥] ، فيما قاله ابن إسحاق ، والحارث بن زمعة[٦] ، وأبي قيس بن الفاكه بن المغيرة[٧] ، فيما قاله ابن هشام .

---

(١) تاريخ الطبري (١/٥٢١) .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٣٢٦) .

(٣) أخرجه البخاري في باب الجاسوس برقم (٢٨٤٥) عن علي رضي الله عنه .

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (٢/٣٤٧) .

(٥) المصدر السابق (٢/٣٥٢) .

(٦) المصدر السابق (٢/٣٤٨) .

(٧) المصدر السابق (٢/٣٥٠) .

كانت المبادرة سمة من سمات شخصيته ﷺ ، كان يدق صدره إن أمر عَنَا ، ولسان حاله يهتف أنا له أنا ، لم يكن ينتظر تكليفاً ، فحياته قد جعلها وقفاً لربه كما أسلفنا ، وأمره في الخندق نموذج لمشاركاته الفعالة ومبادراته الوثابة كما سبق في إحسانه وإتقانه ، والرواية التالية ترفد استدلالاتنا على هذه السمة ، وتحكي جانباً من حياته الجهادية .

قال ابن إسحاق : " وحدثني عمي صدقة بن يسار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال :

" خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة من المشركين ، فلما انصرف رسول الله ﷺ قافلاً ، أتى زوجها - وكان غائباً - فلما أخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد ﷺ ، فخرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ، فنزل رسول الله ﷺ منزلاً ، فقال : (من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟) . قال : فانتُدب رجل من المهاجرين ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله . قال : (فكونا بفم الشعب). قال : وكان رسول الله ﷺ وأصحابه نزلوا إلى شعب من الوادي ، وهما **عمار بن ياسر** ، وعباد بن بشر فيما قاله ابن هشام " .

قال ابن إسحاق : " فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب ، قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيكه ، أوله أم آخره ؟ قال :

بل اكفني أوله ، قال : فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، قال : وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيئة القوم[١] ، قال : فرمى بسهم فوضعه فيه ، قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائماً ، قال: ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً ، قال: ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد، ثم أهّب صاحبه ، فقال : اجلس فقد أُثبتّ[٢] ، قال : فوثب ، فلما رآهما الرجل ، عرف أن قد نذر به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء ، قال : سبحان الله أفلا أهببتني أول ما رماك؟ قال : كنت في سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها، فلما تابع عليّ الرمي ركعت فآذنتك ، وايم الله ، لولا أن أضيع ثغراً أمرني رسول الله ﷺ بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها "[٣] .

نماذج ذهبية لا تتوفر إلا في المدرسة النبوية ، صانعة الرجال ومخرجة الأبطال .

---

(١) " ربيئة القوم : هو العين والطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو ، ولا يكون إلا على جبل أو شرف ينظر منه " . لسان العرب (٩٤/٥) .

(٢) " أثبت فلان فهو مثبت : إذا اشتدت به علته ، أو أثبتته جراحة فلم يتحرك " . لسان العرب (٨٠/٢) .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١٥٩/٣-١٦٠) .

وتكتمل حلقات جهاد عمار ﷺ مع النبي ﷺ بمسيره معه إلى تبوك، ويبرز ﷺ هناك لصيقاً للنبي ﷺ لا يفارقه ، ينتظر منه أمراً ليبادر إلى تنفيذه .

يروي الطبري قال : حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بريدة بن سفيان الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال :

" وقد كان رهط من المنافقين - منهم : وديعة بن ثابت أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له : مخشي بن حُمَيّر - يسيرون مع رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم ؟ والله لكأني بكم غداً مقرنين في الحبال ، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين ، فقال مخشي بن حُمَيّر : والله لوددت أني أقاضَى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وأنّا ننفلت أن ينزل الله قرآناً لمقالتكم هذه ، وقال رسول الله ﷺ فيما بلغني لعمار بن ياسر : (أدرك القوم فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ، قد قلتم كذا وكذا) . فانطلق إليهم عمار فقال لهم ذلك ، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت - ورسول الله على ناقته - فجعل يقول وهو آخذ

بحَقَبها[١] : يا رسول الله ، كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ **ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب** ﴾[٢] "[٣] .

ويقفل **عمار** رضي الله عنه عائداً مع النبي ﷺ مكللاً بما منحه الله تعالى لرسوله ولمن اتبعه من أصحابه : ﴿ **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم** ﴾[٤] .

إنها التوبة ، خاتمة صفحات جهاد **عمار** رضي الله عنه مع المصطفى ﷺ ، وأكرم بها من خاتمة ! .

---

(١) " الحقب بالتحريك : الحزام الذي يلي حقو البعير ، وقيل هو حبل يشد به الرحل في بطن البعير مما يلي ثيله ؛ لئلا يؤذيه التصدير ، أو يجتذبه التصدير فيقدمه " . لسان العرب (٣/٢٥٢) .

(٢) سورة التوبة : الآية (٦٥) .

(٣) تاريخ الطبري (٢/٥٤) .

(٤) سورة التوبة : الآية (١١٧) .

المبحث الثاني

عمار مع أبي بكر رضي الله عنهما

لم أعثر – رغم كثرة ما اطلعت عليه من مصادر – على موقف بارز لعمار مع أبي بكر الصديق رضي الله عنهما أو في عهده ، غير موقفه ﷺ في موقعة اليمامة ، ودوره المتميز فيها ، والذي يظهر لي من خلال ما سبق من أدوار حياته مع المصطفى ﷺ أنه كان جندياً مطيعاً ، وصاحباً أميناً ، كما كان لرسول الله ﷺ . ولم تطلعنا كتب التراجم والتواريخ على مساهماته في غير موقعة اليمامة ، ولعله شارك في حروب الشام أو العراق مع من شارك فيها من الصحابة ؛ لما قد علمناه من مبادرته إلى مثل تلك المواطن ، وعدم تخلفه عن أحدها في عهد النبي ﷺ ، ما لم يصدر من أبي بكر ﷺ أمر يخالف رغبته هذه .

المبحث الثالث

عمار مع عمر رضي الله عنهما

انتقل أبو بكر ﷺ إلى جوار ربه ، وتولى أمر الخلافة بعده عمر بن الخطاب ﷺ ، بعد أن عهد بها إليه مستلهماً استحقاقه لها من مكانة عمر ﷺ عند الله تعالى، وعند رسوله ﷺ، وعند الصحابة رضوان الله عليهم.

ويهيئ عمار ﷺ نفسه ليكون للخليفة الجديد كما كان لصاحبه من قبله وكما كان لرسول الله ﷺ : محبة وصحبة ، وخدمة وطاعة .

ولقد حظي عمار ﷺ بمكانة رفيعة عند الخليفة الجديد ، ذلك أن عمر ﷺ لم يكن لينسى سبقه إلى هذا الدين وبلاءه فيه ، وجهاده مع رسول الله ﷺ وصدق تفانيه ، وعلو قدره عند المصطفى ﷺ وتساميه .

" حضر باب عمر بن الخطاب ﷺ جماعة ، منهم : سهيل بن عمرو، وعيينة بن حصن ، والأقرع بن حابس ، فخرج الآذن ، فقال : أين صهيب ؟ أين عمار ؟ أين بلال ؟ فتمعرت وجوه القوم ، فقال واحد منهم : لم تتمعر وجوهكم ؟ دُعوا ودُعينا ، فأسرعوا وأبطأنا ، ولئن حسدتموهم على باب عمر ، لما أعدَّ الله لهم في الجنة أكثر "(١) .

---

(١) عيون الأخبار (١/٨٥) .

ولم يكن شأن عمر هذا مع عمار من الإكرام والتقدير في حضوره فحسب ، بل لقد تعدى الأمر بعمر أن يكنّ لعمار المودة ، ويحفظ له فضله حتى في غيابه .

أخرج ابن عساكر بإسناده إلى عثمان بن أبي شيبة ، نا علي بن المديني ، نا يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن ابي ليلى الكندي ، قال :

" جاء خبّاب إلى عمر ، فقال : ادنه ، فما أحد أحق بهذا المجلس منك إلا عمار ، قال : فجعل خباب يريه آثاراً مما عذبه المشركون "[١] .

لم يتوقف نشاط عمار رضي الله عنه الجهادي في عهد عمر رضي الله عنه - رغم أن عمره قد جاوز السبعين - ، لقد رافق عمر حين قدم الجابية[٢] ، وشارك في الفتح الإسلامي لأكثر من مصر ، وكان على رأس مدد أرسله عمر رضي الله عنه إلى أبي موسى لفتح تستر[٣] ، وكان ممن أشار بالمكان الذي اختطت عنده الكوفة[٤] ، ولقد أسلم على يديه في فتح السوس ثلاثمائة من عظماء

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/٤٣٦-٤٣٧) .

(٢) انظر : تاريخ دمشق (٤٣/٣٤٩) .

(٣) انظر : تاريخ خليفة (ص ١٤٤-١٤٥) .

(٤) انظر : تاريخ الطبري (٢/٣٣١) .

أصحاب يزدجرد ، وعلى رأسهم رجل يقال له : سياه[١] .

● عمار الأمير :

وانتهى به المطاف في عهد عمر رضي الله عنه في سنة إحدى وعشرين أن بعثه إلى الكوفة أميراً عليها بعد أن أنهكه أهلها بكثرة مشاكلهم مع أمرائهم ، وعدم تواؤمهم معهم ، وكثرة شكاياتهم لهم ، لقد بعثه رضي الله عنه متوسماً فيه قدرة على سياستهم ، وفيهم تقديراً لمكانته ، وعظيم فضله بعد أن بين لهم ذلك في كتابة إليهم .

أخرج ابن سعد ، قال : أخبرنا وكيع بن الجراح عن سفيان ، عن أبي إسحاق عن حارثة بن مضرب ، قال :

" قرئ علينا كتاب عمر بن الخطاب : أما بعد فإني بعثت إليكم **عمار بن ياسر** أميراً ، وابن مسعود معلماً ووزيراً ، وقد جعلت ابن مسعود على بيت مالكم ، وإنهما لمن النجباء من أصحاب محمد من أهل بدر ، فاسمعوا لهما وأطيعوا ، واقتدوا بهما ، وقد آثرتكم بابن أم عبد على نفسي ، وبعثت عثمان بن حنيف على السواد ، ورزقتهم كل يوم شاة ، فأجعل شطرها وبطنها **لعمار** ، والشطر الباقي بين هؤلاء الثلاثة "[٢] .

---

(١) انظر : البداية والنهاية (٧/٩١) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/١٩٣) . وانظر المستدرك (٣/٤٣٨) قال الحاكم : " صحيح على شرط الصحيحين و لم يخرجاه " . ووافقه الذهبي ، كما ذكر المحقق .

مكث عمار رضي الله عنه في إمارته التي لم يسرّه توليها سنة وبعض أخرى ، ولقد أثنى عليه بعض أهلها خيراً أمام عمر رضي الله عنه ، وهو أمر نادر في أهل الكوفة ، لم يكن ليحدث لولا حسن سياسة عمار رضي الله عنه .

لكن أنى لقوم عز فيهم الذليل ، وذل عندهم العزيز ، مع ما جبلوا عليه من سيء الأخلاق وفاسد الطباع[1] ، أنى لمثل هؤلاء أن يدوم رضاهم على عمار وقد سخطوا قبله من هو أفضل منه ، سعد بن أبي وقاص خال رسول الله ﷺ ، وأحد العشرة المبشرة بالجنة ، ويجيء دور عمار رضي الله عنه ليذوق بعض نكدهم .

أخرج ابن عساكر بإسناده إلى وكيع ، نا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن الحارث بن سويد :

" أن رجلاً من أهل الكوفة وشى بعمار إلى عمر ، فقال له عمار: إن كنت كاذباً ، فأكثر الله مالك وولدك ، وجعلك موطأ العقبين "[2] .

ويروي الطبري في السبب الذي لأجله أبغض أهل الكوفة عماراً فيقول :

---

(١) ليس هذا على الإطلاق ، فقد خرج منها فطاحل الرجال ، من محدثين وفقهاء وعباد وصلحاء .

(٢) تاريخ دمشق (٤٣/٤٤٨) .

" كتب إليّ السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : أقام **عمار بن ياسر** عاملاً على الكوفة سنة في إمارة عمر وبعض أخرى ، وكتب عمر بن سراقة - وهو يومئذ على البصرة - إلى عمر بن الخطاب يذكر له كثرة أهل البصرة وعجز خراجهم عنهم ، ويسأله أن يزيدهم أحد الماهين[1] أو ما سبذان[2] ، وبلغ ذلك أهل الكوفة ، فقالوا **لعمار** : اكتب لنا إلى عمر أن رامهرمز[3] وإيذج[4] لنا دونهم لم يعينونا عليهما بشيء ، ولم يلحقوا بنا حتى افتتحناهما .." .

ولما كان أمر المال لا يعني **عماراً** في شيء ، وهو من آخر ما يفكر فيه، والخليفة أعلم بكيفية توزيعه ومن أحق به ، فقد أجابهم : ما لي ولما ها هنا .

---

(١) " الماهان : الدينور ونهاوند ، وماهان : مدينة بكرمان " . معجم البلدان (٥/٤٨) .

(٢) " يبدو أنها قرب مِهرجان قَذَق ، ومهرجان قَذَق : قرب الصيمرة من نواحي الجبال عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همذان في تلك الجبال " . معجم البلدان (٥/٤١) .

(٣) " اسم مختصر من رامهرمز أردشير ، وهي مدينة مشهورة بنواحي خوزستان " . معجم البلدان (٣/١٧) .

(٤) " قال أبو سعد : إيذج في موضعين ، أحدهما : بلدة من كور الأهواز وبلاد الخوز ينسب إليها جماعة من ولد المهدي بن منصور . والثاني : إيذج من قرى سمرقند " . معجم البلدان (١/٢٨٨) .

" .. فقال له عطارد : فمن علام تدع فيأنا أيها العبد الأجدع ؟ فقال : لقد سببت أحبَّ أذنيّ إليّ ، و لم يكتب في ذلك فأبغضوه "[١] .

وقاحة وجرأة نادرة المثال على أصحاب النبي ﷺ ، من قد أكرمهم الله ، وأحبهم رسوله ، ومن لو أنفق الواشي وعطارد مثل أحد ذهباً ما بلغا مدّ أحدهم ولا نصيفه ، ولكن هل ينتظر من أهل الكوفة أقل من ذلك ؟ .

ويشتد الأمر على عمار رضي الله عنه بعد أن أكثر أهل الكوفة رفع شكاياتهم فيه إلى عمر ، وأنى له أن يصبر على ما لم تمتد رغبته إليه ، مع ما يناله من الأذى في المحافظة عليه ؟ فيرفع أمره إلى عمر رضي الله عنه ، ويطلب منه إعفاءه من هذا العمل ، ويستجيب عمر رضي الله عنه لرغبته ، فيعفيه كما أعفى من قبله عن غير عجز ولا خيانة ، ولا يلتفت إلى ما روي في أسباب عزل عمار من ادعاء ضعفه في السياسة أو غيره ، فلا صحة لهذه الروايات ، وقد أوردها الذهبي في السير بصيغة التمريض[٢] ، وهي لا تلائم الخطاب الذي رافق تولية عمار رضي الله عنه على الكوفة ، والذي وجهه عمر إلى أهلها مبيناً فيه فضل عمار ونجابته ، وصحبته لرسول الله ﷺ وسابقته .

---

(١) تاريخ الطبري (٢/٣٩٠-٣٩١) .

(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (١/٤٢٣) .

ويبقى في صدر عمار رضي الله عنه شيء من عزل عمر له ، رغم إفصاحه عن رغبته فيه ، إذ النفوس العظيمة يعظم عندها تشويه سمعتها ، وتدنيس عرضها بما افتري عليها ، ولذلك نبه عمر رضي الله عنه عند جعله أمر الخلافة في الستة الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض على أنه لم يعزل سعداً عن خيانة ولا ضعف[1] ؛ لما قد يُظن بسعد من السوء من جراء عزل عمر له .

أخرج ابن سعد ، قال : أخبرنا عفان بن مسلم ، قال : أخبرنا خالد ابن عبد الله ، قال : أخبرنا داود بن عامر ، قال :

" قال عمر لعمار : أساءك عزلنا إياك ؟ قال : لئن قلت ذاك ، لقد ساءني حين استعملتني ، وساءني حين عزلتني "[2] .

لم تُفرح الولاية عماراً ، إذ ما كان ينتظر منها خيراً في دينه أما وقد كلف بها ، فلم يكن ليرضى أن يُعزل عنها في مثل أجواء الكوفة مقر قالات السوء .

---

(١) انظر : تاريخ الطبري (٢/٤٢٥) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/١٩٣) .

الفصل الثاني
عمار في الفتن

وفيه مباحث :

المبحث الأول : عمار في الفتنة الأولى . وفيه مطالب :

المطلب الأول : عمار مع عثمان رضي ا لله عنهما .

المطلب الثاني : التحقيق في الخلاف بين عمار وعثمان وأسبابه.

المطلب الثالث : هل لعمار دور في قتل عثمان ؟

المبحث الثاني : عمار في الفتنة الثانية ، وفيه مطالب :

المطلب الأول : عمار مع علي رضي ا لله عنهما .

المطلب الثاني : تصور عمار للفتنة وأثره على اتخاذ مواقفه.

المبحث الثالث : استشهاده

المبحث الرابع : تحقيقات ، وفيه مطالب :

المطلب الأول : (عمار تقتله الفئة الباغية) .

المطلب الثاني : (يزول مع الحق حيث زال) .

المطلب الثالث : (إنما قتله من جاء به) .

المطلب الرابع : (القاعد فيها خير من القائم) .

المبحث الخامس : شذرات من حياة عمار .

المبحث الأول

عمار في الفتنة الأولى

وفيه مطالب :

المطلب الأول : عمار مع عثمان رضي الله عنهما .

المطلب الثاني : التحقيق في الخلاف بين عمار وعثمان وأسبابه.

المطلب الثالث : هل لعمار دور في قتل عثمان ؟

المطلب الأول

عمار مع عثمان رضي الله عنهما

إن نقطة الانطلاق في هذا المبحث لا بد أن ترتكز على دعائم ثابتة توصل المعتمد عليها إلى الحق الذي يليق بصحابة النبي ﷺ ، ويحفظ لنا مكانتهم في القلوب .

وعندما نختار أن نجعل انطلاقتنا من كتاب الله تعالى الذي وصف أصحاب نبيه ﷺ أبلغ وصف فقال :﴿ **رحماء بينهم** ﴾[١] ، وقال : ﴿ **وألف بين قلوبهم** ﴾[٢] ، فإنما نختار هذه الانطلاقة ؛ ليتسنى لنا فهم طبيعة العلاقة بين صحابة النبي ﷺ على العموم ، وأن قلوبهم قد سكنتها الرحمة والمودة ، وخالط شغافها الألفة والمحبة ، بينما انتفت من حياتهم مظاهر العداوة والبغضاء ، والحقد والشحناء ، وليس الذي سقناه عن ولاية عمر بن الخطاب رضي الله عنه القضاء في عهد الصديق رضي الله عنه إلا شاهداً على هذا التقرير .

وهذه العلاقة الحميمة التي اعتمدت على سلامة الصدر كمبدأ

---

(١) سورة الفتح : الآية (٢) .

(٢) سورة الأنفال : الآية (٦٣) .

أساسي شمل حتى من بعد الصحابة من التابعين : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا** ﴾(١) . هذه العلاقة هي التي كانت تحكم تعاملاتهم فيما بينهم زمن النبوة ، وترتب عليها تسطير التاريخ لمئات الصفحات تحكي للأجيال من بعدهم نماذج فذة للأخوة والوئام والمحبة والإيثار .

وهذا الذي يمكن أن يقال ابتداءً عن علاقة عمار مع عثمان رضي الله عنهما ، كصحابي ارتبط مع آخر برباط الإيمان ، وشملتهما كغيرهما مظلة الإسلام .

لم ترو لنا كتب التراجم والسير والتواريخ حادثة معينة وقعت في عهد النبوة أو عهد أبي بكر أو عمر رضي الله عنهما يمكن أن يستدل بها على خلاف ما قلناه ، وسكوت التاريخ عن ذلك يجعل نقطة الانطلاق التي ذكرناها تسير في مسارها الصحيح .

لكن الروايات التي تحكي جانباً من علاقة عمار مع عثمان رضي الله عنهما قد تغيرت لهجاتها مع بداية العهد بخلافة عثمان ﷺ ، وأصبحت النبرة في معظمها تشي بعداوة واضحة المعالم ، وتنبئ عن خلاف عميق

---

(١) سورة الحشر : الآية (١٠) .

يحكـي تدهـوراً في العلاقـة بينهمـا ، وانفصامـاً في عُـرى أخوتهمـا ، وسيضطرنا ذلك إلى محاولـة للبحـث عـن جـذور هـذا الخلاف وأسباب وقوعه ، وهذا لا يعني انسياقنا وراء أهوائها وتصديق ادعاءاتها دون تحقيق لأسانيدها ، وتمحيص لأخبار متونها .

إن عظمـة النبي ﷺ في قيادتـه ، وبراعـة أبي بكـر الصديـق ﷺ في خلافته ، وعبقرية عمر ﷺ في إمارته ، جعلت من يتسلم بعدهـم يتعـرض لنقمة الرعية التي يشق عليها أن ترضى بغيرهم ممن لم يصل درجتهم ، ولا بلغ مكانتهم ، وها هي عائشة رضي الله عنها تخشى على أبيها من قيامه مقام رسول الله ﷺ في الصـلاة معللة ذلـك بـأن النـاس لـن يرضـوا بعـد رسول الله ﷺ عن أحد ، ولعلهم يتشاءمون بمن يخلفه في مقاماته .

لكن اتكاء المصطفى ﷺ على فضل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما خاصة ، لم يترك مجـالاً لأحـد بالاعـتراض علـى طريقتهمـا ، أو الطعـن في سيرتهما ، وكان التسليم بتقدمهما ، والإقرار بتميزهما مظهـراً عامـاً بـين الصحابة وغير الصحابة .

ويجـيء دور عثمـان ﷺ ليخلـف صاحبيـه في قيـادة الأمـة ، كـانت مؤهلاته ﷺ التي تكمن في ثناءات المصطفى ﷺ المتكررة عليـه ، وتبشـيره بالجنة ، والإشارة الخفية بخلافته لصاحبيه ، كانت تؤكـد علـى استحقاقه للقيام بما اضطلع به ، وتسلم أمانـة إمـرة المؤمنين ، ولم يكـن غـيره أهـلاً

لتقديمه عليه بإجماع أهل السنة .

أخرج ابن عساكر بإسناده إلى سفيان بن وكيع ، نا حفص ، قال : سمعت سفيان يقول : " من قدم علياً على عثمان فقد أزرى على اثني عشر ألف قبض رسول الله ﷺ وهو عنهم راض ، الذين أجمعوا على بيعة عثمان "[١] .

إلا أن فاتحة الروايات التي تروي طرفاً من علاقة عمار مع عثمان رضي الله عنهما ، تجعل عماراً في مقدمة من اعترض على خلافة عثمان، وتحاول أن تعطي للخلاف الدائر بينهما عمقاً تاريخياً ، وأن عماراً لم تكن له رغبة في استخلاف غير علي ، وينتهي قارئها بنتيجة تقضي بأن علاقتهما لم تكن بالحميمة أصلاً ، اعتماداً على ما سيدور بينهما في أيام خلافة عثمان رضي الله عنه .

ولأن هذه الرواية لم تسلم من طعن النقاد ، ولأن رواتها فيهم من لا يعتمد عليه في مثل هذه النقول ، مع احتواء سندها على مجموعة من العلل، ولأنها انفردت بذكر ما لم تذكره الروايات الصحيحة التي تحدثت عن الحادثة نفسها ، فقد فضلت ألا أورد متنها ، اكتفاء بما قيل فيها .

يقول صاحب كتاب أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/٥٠٦) .

الأول الهجري ضمن فصل أثر التشيع في روايات خلافة عثمان بن عفان ما نصه : " وأظهروا - يقصد الشيعة - أن عماراً كان يناشد الناس في تولية أهل بيت النبي ﷺ ، ويطالب بمبايعة علي ، وكذلك كان موقف المقداد بن الأسود "[١] .

ثم يقول راداً هذه الفرية : " وأما موقف عمار بن ياسر والمقداد ابن عمرو فقد ورد في رواية أبي مخنف[٢] ، والجوهري[٣] "[٤] .

وعلى فرض صحة هذه الرواية ، فليس في كلام عمار رضي الله عنه يومئذ ما يوهم كراهته لعثمان رضي الله عنه ، وليس في حب آل بيت النبي ﷺ عارٌ أو خطأ،

---

(١) أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري (ص ٣٢١) .

(٢) " هو : لوط بن يحيى الكوفي ، قال يحيى بن معين : ليس بثقة . قال أبو حاتم : متروك الحديث . وقال الدارقطني : أخباري ضعيف " . سير أعلام النبلاء (٧/٣٠٢). وقال الذهبي في ميزان الاعتدال (٣/٤١٩) : " أخباري تالف لا يوثق به ، ونقل قول ابن عدي فيه : شيعي محترق صاحب أخبارهم " .

(٣) " هو : أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، من أهل الكوفة ، كان أخبارياً ، وعاش في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري " " لم تترجم كتب السنة له ، وإنما ذكرته كتب الشيعة ، وفي هذا دلالة واضحة أنه من رجالهم " " ومما يدل على تشيعه ، ورود بعض الألفاظ الشنيعة ، والقذف في الصحابة رضوان الله عليهم ، ويظهر ذلك على ألسنتهم " . أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري (ص ١١٤،١١٥) .

(٤) أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري (ص ٣٢٤) .

وعدم اختياره لبيعة عثمان ﷺ مبني على اجتهاد رآه ، كما لم ير طلحة البيعة لعمر رضي الله عنهما ابتداءً ، وليس في ذلك قدح في **عمار** ﷺ أو في علاقته مع عثمان ، كما لم يكن قدحاً في طلحة ﷺ أو في علاقته مع عمر رضي الله عنهم أجمعين.

استقر الإجماع في المدينة على بيعة عثمان ﷺ ، وكان قد عاهد عبد الرحمن بن عوف أن يسير في الأمر بسيرة رسول الله ﷺ والشيخين من بعده ، وصدق ما عاهد عليه ، وأحبه الناس كما لم يحبوا عمر ﷺ ؛ لما رأوا في عهده من الرخاء والنعمة ؛ ولما نالهم منه من عطاياه الحسنة ، ولقد نال **عماراً** ﷺ شيء من هذا العطاء ، كان دليلاً على صفاء في مودتهما، وبرهاناً على متانة رابطتهما . فقد أخرج عمر بن شبة ، قال : حدثنا حبان بن بشر ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا محمد بن فضيل، عن الأعمش ، عن إبراهيم بن المهاجر ، عن موسى بن طلحة ، قال :

" أقطع عثمان بن عفان عبد الله بن مسعود النهرين[١] ، وأقطع سعد بن أبي وقاص قرية هُرمز[٢] ، وأقطع **عمار بن ياسر**

---

(١) " نهران : من قرى اليمن من ناحية ضمار " . معجم البلدان (٥/٣١٥) .

(٢) " هرمز : مدينة في البحر إليها خور، وهي على ضفة ذلك البحر، وهي على بر فارس، وهي مربط كِرمان ، إليها ترفأ المراكب، ومنها تنقل أمتعة الهند إلى كِرمان وسجستان=

استينيا[١] ، وأقطع خباباً صعنْبى[٢] ، قال : فكلا جاريّ قد رأيته يعطي بالثلث والربع "[٣] .

- وخراسان . وهرمز أيضاً قلعة بوادي موسى بين القدس والكَرَك " . معجم البلدان (٥/٤٠٢) .

(١) " استينيا : قرية بالكوفة " . معجم البلدان (١/١٧٦) .

(٢) " صعنبى : قرية باليمامة " . معجم البلدان (٣/٤٠٧-٤٠٨) .

(٣) تاريخ المدينة المنورة (٣/١٠٢٠) .

المطلب الثاني
التحقيق في الخلاف بين عمار وعثمان وأسبابه

لم أجد في هذا الموضوع بعد طول بحث في المصادر والمراجع إلا روايات تاريخية تحمل في طياتها غثاً وسميناً ، قد خطم بعضها بأسانيد ، وأخرى لا خطام لها ولا زمام، ولم أجد من أغنى فيه بحثاً وتحليلاً إلا لماماً.

والتعرض لمثل هذا الموضوع الذي يَمَسُّ كرامة أطهر خلق الله وأحبهم إليه وإلى نبيه ، لا يمكن معه الاعتماد على روايات تسرح في أعراض الصحابة كما تشاء وتمرح من غير زمام أو خطام . كما أن الروايات المسندة لا يصلح منها إلا ما خرج ممن لقدر الصحابة عارف ، ولفضلهم حافظ ، وهو في ذاته عارف حافظ ، وعليه فلا مكان في مثل هذا الموضوع إلا للروايات الصحيحة أو الروايات الضعيفة المعروضة على النقد الذي يؤول بها إلى التهافت والسقوط[١] .

---

(١) " هذه الكتب المصنوعة والأخبار المبالغ فيها أو المكذوبة شحنت بها أسفار الأخبار وكتب الأدب . ولتمييز الحق فيها من الباطل طريقان :

أحدهما : طريق أهل الحديث في أن لا يقبلوا إلا الأخبار المسندة إلى أشخاص بأسمائهم، ثم يستعرضون أحوال هؤلاء الأشخاص ، فيقبلون من صادقهم ويضربون وجه الكذاب بكذبه .

مرّت على عثمان رضي الله عنه فترة من الزمن تتبع فيها آثار الشيخين من قبله ما وسعه جهده ، كما قد تعهد بذلك لعبد الرحمن بن عوف[١] ، إلا أن الظروف بعد ذلك لم تعد تسمح له بمواصلة مسيرة صاحبيه ، وكان لا بد أن يطرأ على سياسته بعض تغيير يواكب ما جدّ في عصره من متغيرات .

إن العبقرية التي أهّلت عثمان لاستلام هذه الأمانة هي التي دفعت به إلى اتخاذ طرق وأساليب لسياسة الأمة تختلف عما عهده كبار الصحابة في عهد صاحبيه[٢] .

وكان لا بد لمن نعتهم الله في كتابه فقال : ﴿ **كنتم خير أمة**

= والطريق الثاني : طريق علماء التاريخ : وهو أن يعرضوا كل خبر على سجايا من يخبر عنه ، ويقارنوه بسيرته ، وهل هو مما ينتظر وقوعه ممن نسب إليه ، ويلائم المعروف من سابقته وأخلاقه أم لا ؟ . وتمحيص تاريخنا يحتاج إلى هاتين الطريقتين معاً يقوم بهما علماء راسخون فيهما " .

هامش كتاب العواصم من القواصم رقم (١) (ص ١٧٠) لمحب الدين الخطيب .

(١) انظر : صحيح البخاري ، حديث رقم (٧٢٠٧) .

(٢) يقول المحب الطبري في الرياض النضرة في مناقب العشرة (٨٧/٣) : " ولم يتحقق في شيء مما أتاه عثمان معصية ، بل من المحامل الجلية الظاهرة ما يمنع من اعتقاد الحرمة ، بل الكراهة . غاية ما في الباب أنه ترك الأولى وما هو الأفضل اللائق به مما كان عليه الشيخان ، ولعله اعتقد أنه ما لا يشبه الأفضل في زمانه وعصره ، فلكل عصر حكم " .

أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[1] ، كان لا بد لهم أن يحافظوا على موطن الخيرية فيهم بالسعي إلى عثمان ﷺ للاستفهام عما بدر منه من مستجدات خرج بها عن طريقة صاحبيه .

وعلى رأس هؤلاء كان عبد الرحمن بن عوف الذي نصح الأمة باختياره لعثمان أولاً ، وكان لا بد له أن ينصحها أخيراً بنصح عثمان ﷺ وتقويمه ، حيث ظن فيه العدول عن النهج الأقوم .

ذكر الهيثمي عن شقيق قال : " لقي عبد الرحمن بن عوف الوليد بن عقبة ، فقال له الوليد : ما لي أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان . قال: أبلغه عني أني لم أفر يوم عينين ، قال عاصم : يعني يوم أحد ، ولم أتخلف عن بدر ، ولم أترك سنة عمر . قال : فانطلق ، فخبر ذلك عثمان ، قال : فقال : أما قوله إني لم أفر يوم عينين ، فكيف يعيرني بذنب قد عفا الله عنه ، قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم** ﴾. وأما قوله : إني لم أتخلف عن بدر ، فإني كنت أمرّض رقية بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت ، وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهم ، ومن ضرب لهم رسول الله ﷺ بسهم فقد شهدوا . وأما قوله : إني لم أترك سنة عمر ،

---

(١) سورة آل عمران : الآية (١١٠) .

فإني لا أطيقها أنا ولا هو . فأته فحدثه بذلك "[١] .

لم يكن هذا شأن عبد الرحمن ﷺ فحسب ، بل هو شأن جمع لا بأس به من كبار الصحابة رضوان الله عليهم ، ولا غرابة فهم أخوة ، بعضهم من بعض ، تربوا في مدرسة واحدة ، ونهلوا من معين واحد .

غير أنه مما يجدر التنبيه عليه أن نقد الصحابة البناء لبعض سياسات عثمان ﷺ ، يختلف عن النقد الهدام الذي ولدته حماقات أقوام ممن دخلوا الإسلام أخيراً من الأعراب أو غيرهم ، وأبطرتهم النعمة التي تمخض بها عهد عثمان ﷺ الزاهر ، وأغراهم طمعهم بالثورة الجائرة ذات المظهر المخلص والدخيلة الرخيصة الحاقدة الدنيئة ، ولعل هذا النوع من رؤوس الفتنة هو الذي قصده ابن عمر ﷺ وهو يقول : " لقد عتبوا على عثمان أشياء لو فعلها عمر ما عتبوا عليه "[٢] .

كان عمار ﷺ ضمن الصحابة الذين شعروا بالتغير الذي طرأ على مظهر الخلافة الذي ألفوه وعاشوا في كنفه ردحاً من الزمان في عهد الصديق وصاحبه ، وتحرك في عمار ﷺ إحساسه بواجبه تجاه هذا التغير ،

---

(١) مجمع الزوائد (٩/٨٣-٨٤) قال الهيثمي : " رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني باختصار ، والبزار بطوله بنحوه . وفيه عاصم بن بهدلة ، وهو حسن الحديث . وبقية رجاله ثقات " .

(٢) تهذيب الكمال (١٩/٤٥١) .

فكان أن أسرع مع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما للقيام بما يمليه عليهما دينهما[١] الذي تمثل النصيحة منه لأئمة المسلمين ركناً من الأركان .

أخرج عمر بن شبة ، قال : حدثنا عفان ، قال : حدثنا أبو محصن ، قال : حدثنا حصين بن عبد الرحمن ، قال : حدثني جهيم (الفهري) قال:

" أنا شاهد للأمر ، [جاء][٢] سعد وعمار فأرسلوا إلى عثمان أن ائتنا ، فإنا نريد أن نُذاكرك أشياء أحدثتها ، وأشياء فعلتها . فأرسل إليهم أن انصرفوا اليوم فإني مشتغل ، وميعادكم يوم كذا وكذا حتى أتشوف لكم . فانصرف سعد وأبى عمار أن ينصرف . . . " .

ولعل الغيرة على الدين التي عهدت في أصحاب النبي ﷺ هي الباعث له على اتخاذ هذا الموقف .

---

(١) حسب اجتهادهما ، وإلا فإن عثمان ﷺ على الحق في جميع ما فعله . كما أخرج الترمذي عن مرة بن كعب ، قال : " لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت ، وذكر الفتن فقربها ، فمر رجل مقنع في ثوب ، فقال : (هذا يومئذ على الهدى) ، فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان ، قال : فأقبلت عليه بوجهه ، فقلت : هذا ؟ قال : (نعم) " . سنن الترمذي رقم (٣٧٠٤) .

(٢) ما بين المعكوفتين من مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٢٠) .

" . . . قال : فتناوله رسول عثمان فضربه "[١] .

حمل عمار رضي الله عنه في نفسه شيئاً من هذا التعدي غير المبرر ، وكان طبيعياً أن يتوقع أن صدوره لا يكون إلا بعد أمر من عثمان رضي الله عنه ، لا سيما مع وجود روايات تذكر تردد الرسول بين عمار وعثمان رضي الله عنهما عدة مرات ، فهو المسؤول إذن عما بدر من رسوله ، وانضم ذلك إلى ما كان ينكره على عثمان رضي الله عنه ، مما ولّد توتراً في العلاقة بينهما .

وهنا يشترك عمار رضي الله عنه فيما وقع فيه نفر من الصحابة المدفوعين - كما ذكرت - بتأولات حملهم عليها اجتهادات ناجمة عن غيرتهم المتحرقة على الدين ، لقد كان يعزّ عليهم أن يروا منكراً واقعاً لا يتمكنون من تغييره ، وكيف يصبرون على الميل عن الحق[٢] والحق شرعتهم يقولون به وبه يعدلون . فتضيق صدورهم ، وتنطلق ألسنتهم تقدح فيما ظنوه ظلماً وحيفاً عن الحق، كان مقصدهم نقد الخطأ وتقويم الاعوجاج، ورد الأمر إلى النصاب ، ولكن لعل أسلوباً آخر غير الذي سلكوه كان أولى لهم اتباعه للوصول إلى ما يريدون ، ولم يظهر لهم ذلك إلا بعد حين.

---

(١) تاريخ المدينة المنورة (٣/١١٠١) ، وأخرج نحوه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٥/٢٢٠) . وذكره المحب الطبري في كتابه الرياض النضرة (٣/٨٤) وقال عنه : " صحيح " . وستأتي دراسة أحوال رجاله .

(٢) هذا فيما ظنوه ، وقد سبق أن عثمان رضي الله عنه على الحق في جميع ما فعله .

أخرج ابن عساكر بإسناده إلى عبد الرحمن بن جبير عن أبيه ، عن عائشة ، قالت :

" كان الناس يختلفون إليّ في عتب عثمان ، ولا أرى إلا أنها معاتَبة، وأما الدم ، فأعوذ با لله من دمه ، فوا لله لوددت أني عشت في الدنيا برصاء سالخ ، وأني لم أذكر عثمان بكلمة قط ، وايم ا لله لأصبع عثمان التي يشير بها إلى الأرض خير من طلاع الأرض مثل فلان "[1] .

وأخرج ابن سعد في الطبقات قال : أخبرنا عبد ا لله بن إدريس ، قال : أخبرنا محمد بن أبي أيوب ، عن هلال بن أبي حميد عن ابن عُكيم قال :

" لا أعين على دم خليفة أبداً بعد عثمان ، قال : فيقال له : يا أبا معبد أو أعنت عليه ؟ قال : إني لأُعدُّ ذكر مساويه عوناً على دمه "[2] .

وأما عمار رضي الله عنه ، فقد هزت التغيرات الطارئة كيانه هزّاً عنيفاً ، ولم يكن نسيان الصورة المشرقة التي حفل بها عهد الرسول ﷺ وصاحبيه أمراً هيناً لديه ، إنه على استعداد لبذل الغالي والنفيس لإعادتها ، وهل بإمكانه أن يقف مكتوف اليدين ؟ . وكيف والمبادرة سمة من سمات شخصيته ؟ ثم ما الذنب الذي ارتكبه ليناله ما ناله على يد رسول عثمان رضي الله عنه ،

---

(١) تاريخ دمشق (٣٩/٤٨٨) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/٥٨) .

لقد سلك السبيل الأقوم للنصيحة ، كان يود لو التقى بعثمان رضي الله عنه فبثه جميع ما لديه مما ينقمه عليه ، وهل في هذا ما يوجب العقوبة ، ويبعث على الإيذاء ؟ ! .

ولم يعد عمار رضي الله عنه يطيق الاحتمال أكثر من ذلك ، لقد ظن أن بإمكانه حمل عثمان رضي الله عنه على الرجوع إلى الحق عندما يكثر المطالبون بذلك ، ومن هنا ابتدأت حيدته عن الطريقة المثلى التي كان قد سلكها باتباع طرق النصيحة الصحيحة بمرافقة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

عن كلثوم بن جبر ، قال : كنت بواسط القصب عند عبد الأعلى ابن عبد الله بن عامر بن كريز القرشي في منزل عنبسة بن سعيد ، إذ جاء رجل فقال :

" إن قاتل عمار بالباب ، أفتأذنون له فيدخل ، فكره بعض القوم ، وقال بعض : أدخلوه ، فدخل ، فإذا رجل عليه مقطعات له ، فقال : لقد أدركت رسول الله ﷺ وأنا أنفع أهلي فأرد عليهم الغنم ، فقال رجل من القوم : أبا الغادية ، كيف كان أمر عمار ، قال : كنا نعدّ عمار من خيارنا ، حتى سمعته يوماً في مسجد قباء يقع في عثمان "[1] .

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢٩٨/٩) . وقال الهيثمي : " رواه الطبراني وعبد الله باختصار ، ورجال أحد إسنادي الطبراني رجال الصحيح " . وانظر : السلسلة الصحيحة (١٨/٥-١٩) .

ولأجل هذا التصرف من عمار رضي الله عنه قال الذهبي : " كان عمار ينكر على عثمان أموراً لو كف عنها لأحسن ، فرضي الله عنهما "[١] .

أحس عثمان رضي الله عنه بالتغيرات التي اكتنفتها مؤخراً أجواء المدينة ، و لم يكن حرصه على تبرير سياسته لأحد بقدر حرصه على ذلك لصحابة النبي ﷺ ، ويبادر رضي الله عنه للاجتماع بكبارهم ، فيجتمعون . ونعود لرواية جهيم الفهري ففيها أخبار ذلك الاجتماع .

قال : " فلما اجتمعوا للميعاد ومن معهم ، قال لهم عثمان : ما تنقمون ؟ قالوا : ننقم عليك ضربك عماراً ، فقال : جاء سعد وعمار فأرسلت إليهما ، فانصرف سعد ، وأبى عمار أن ينصرف ، فتناوله رسولي من غير أمري ، فوالله ما أمرت ولا رضيت ، فهذي يدي لعمار، ليصطبر - قال أبو محصن : يعني يقتص - . . . "[٢] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤١٦/١) .

(٢) تاريخ المدينة المنورة (١١٠١/١) . ورجاله ثقات .

- عفان بن مسلم ، قال الحافظ : " ثقة ثبت " التقريب (ص ٣٩٣) .

- حصين بن نمير أبو محصن الضرير ، قال الحافظ : " لا بأس به ، رمي بالنصب ، وأخرج له البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي " التقريب (ص ١٧١) .

حصين بن عبد الرحمن السلمي ، قال الحافظ : " ثقة تغير حفظه في الآخر ، من رجال الجماعة " التقريب (ص ١٧٠) . =

إنها العدالة العثمانية وريثة العدالة العمرية الصديقية النبوية .

لم يكتف عثمان ﷺ بهذا الاجتماع ، ولعله أحس أن ما في النفوس لا يطهر بمحاولة واحدة ، فكان أن أتبع مبادرته تلك بأخرى ، وهذا تفصيلها :

أخرج أحمد في مسنده ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال :

" دعا عثمان ناساً من أصحاب النبي ﷺ فيهم **عمار بن ياسر** ، فقال : إني سائلكم ، وإني أحب أن تصدقوني ، نشدتكم با لله ، أتعلمون أن رسول ا لله ﷺ كان يؤثر قريشاً على سائر الناس ، ويؤثر بني هاشم على سائر قريش ، فسكت القوم ، فقال : لو أن مفاتيح الجنة بيدي أعطيتها بني أمية حتى يدخلوا من عند آخرهم " .

كان الحرص على تصفية صدر **عمار** ﷺ هدفاً رئيساً في كلام عثمان ﷺ ، ولعل الراوي أدرك ما في علاقتهما من التوتر فخص **عماراً** ﷺ بالذكر من بين النفر الذين دعاهم عثمان ﷺ ، ولم يُنسِ الخلاف عثمانَ سابقة **عمار** وفضله ، والفرصة سانحة ليغسل ما علق في صدره بذكر ما حفظ من رسول ا لله ﷺ في قدره .

= - " جهيم ، ويقال جهم العنزي ، روى عن عثمان وسعد وعبد الرحمن بن عوف **وعمار ابن ياسر** ، روى عنه أبو عون الثقفي ، وحصين " الجرح والتعديل (٥٤٠/٢). وذكره ابن حبان في الثقات .

قال الراوي : " . . . فبعث إلى طلحة والزبير ، فقال عثمان : ألا أحدثكما عنه ، يعني عماراً ، أقبلت مع رسول الله ﷺ آخذاً بيدي نتمشى بالبطحاء حتى أتى على أبيه وأمه وعليه يعذبون ، فقال أبو عمار: يا رسول الله ! الدهر هكذا ؟ ! فقال له النبي ﷺ : (اصبر) . ثم قال : (اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت) "(١) .

لم ترد بعد ذلك روايات صحيحة تحكي إصرار عمار رضي الله عنه على الإنكار على عثمان رضي الله عنه أو التحريض عليه ، وهذا ما يرجح أن عماراً رضي الله عنه ندم على ما كان منه تجاه عثمان رضي الله عنه ، لا سيما بعد أن ظهر له نقاء سريرته ، واستعداده لإقادته ، وتبريره لما استجد من سياسته ، ولعله قد لزم بيته كما فعل ذلك كثير من الصحابة بعد أن عزّ عليهم عدم مقدرتهم على نصرة عثمان رضي الله عنه(٢) .

إلا أن رواية واحدة ذكرت حادثة تخص عماراً في فترة حصر عثمان رضي الله عنه في الدار ، وهي مما يؤكد ما ذهبنا إليه من ندم عمار رضي الله عنه ، ورجوع

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٢٩٣/٩) . وقال الهيثمي : " رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح " . وذكره في (٢٢٧/٧) وزاد : " إلا أنه منقطع " .

(٢) قال المحب الطبري في الرياض النضرة في مناقب العشرة (٨٥/٣) : " وقد روي أنه (أي عمار) رضي عنه (أي عن عثمان) لما أنصفه بحسن الاعتذار ، فما بال أهل البدعة لا يرضون ! . وما مثله إلا كما يقال : رضي الخصمان و لم يرض القاضي " .

مودته لعثمان ﷺ وأسفه على ما يناله على أيدي السفهاء .

عن أبي الزناد ، عن أبي هريرة ﷺ :

" أن عثمان لما حوصر ومُنع الماء ، قال لهم عمار : سبحان الله ، قد اشترى بئر رومة ، وتمنعونه ماءها ، خلو سبيل الماء ، ثم جاء إلى علي وسأله إنفاذ الماء إليه ، فأمر براوية الماء "(١) .

سعيٌ لإعادة الحق إلى نصابه مع عثمان ، يشبه سعيه لإعادته بالإنكار على عثمان ﷺ ، فالحق هو الذي يحركه ، والحق هو الذي يسكّنه، الحق وجهته والحق رائده، يدور معه حيثما دار.

لقد استغل التوتر الذي حدث بين عمار وعثمان رضي الله عنهما من قبل السبئية وأذنابهم من أهل الأهواء والأغراض استغلالاً بشعاً ، ولعله يشبه إلى حد كبير ما فعله السبئية في استغلالهم لعتب الصحابة على عثمان ﷺ بتزوير الكتب على ألسنتهم وإرسالها إلى أهل الأمصار للتحريض عليه .

إن ما حدث بين عمار وعثمان رضي الله عنهما يمثل البيئة الصالحة التي يحلو لأصناف أهل الأهواء التفريخ فيها :

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة (٣/٨٤) . وقال المحب الطبري معلقاً : " وهذا يدل على رضائه عنه "

فالسبئية[1] – من جهة – لا أعون لهم من نسبة من تثق الأمة بهم ، وتنقاد بتوجيههم ، وتتبع آثارهم ، لا أعون لهم من نسبتهم إليهم ، وضمهم إلى صفوفهم ، وظروف التوتر بين الأصحاب فرصة لا يسعهم التفريط بها للوصول إلى ما يريدون من إثارة الشبهات ، وتمزيق الشتات ، ووضع حدّ لما أحرزه الدين من الانتصارات .

والرافضة – من جهة أخرى – التي تتخذ من الانتصار لآل البيت سلماً للوصول إلى دنيء أغراضها ، وسيء أهوائها ، لا بد أن ترتع في هذه الأجواء كما تشاء ، وكم يفيدها أن تعثر على من تتترس به في

---

(١) أتباع عبد الله بن سبأ الذي غلا في علي وزعم أنه كان نبياً ، ثم غلا فيه حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قوماً من غواة الكوفة ، ورفع خبرهم إلى علي ، فأمر بإحراق قوم منهم في حفرتين ، وهو أول من أظهر القول بالنص بإمامة علي ، ومنه تشعبت أصناف الغلاة . وخلاصة مذهبهم :

١ – إحداث القول برجعة محمد ﷺ .

٢ – إحداث القول بأن علي وصي محمد ﷺ .

٣ – القول بالحلول .

٤ – قرروا نبوة علي رضي الله عنه .

٥ – قالوا بألوهية علي رضي الله عنه .

انظر : الفرق بين الفرق (ص ٢١٣-٢١٤) ، والملل والنحل (ص ١٧٤) ، والتعريفات (ص ١١٧) ، والأديان والفرق والمذاهب المعاصرة (ص ١٤٦-١٤٩) .

مواجهة الظلم المزعوم الواقع على آل بيت النبي ﷺ .

وتواتي هؤلاء وهؤلاء الفرصة بما حصل بين عمار وعثمان رضي الله عنهما ، فلا بد من اهتبالها ، غير أن السير في ركاب الروايات الصحيحة لا يهيء لهم ما يريدون ، فماذا عليهم لو صوروا القضية كما يشاءون ، ومن الذي سينقب وراءهم في مثل تلك الأجواء ؟ .

ولعل الفرصة قد سنحت أخيراً للتحقيق فيما ورد في شأن الخلاف بين عمار وعثمان رضي الله عنهما من روايات ، ثم إسدالِ الستار على ما تضمنته من افتراءات شوهت من أصحاب النبي ﷺ القدوات ، ودنست أعراضهم بما نسبته إليهم من التهم الساقطات .

أولاً : ضرب عثمان لعمار :

تعتبر الروايات التي تحدثت عن ضرب عثمان لعمار من أشهر الروايات في هذا الموضوع وأكثرها ، ولقد تفنن واضعوها في ذكر الأساليب التي استخدمها عمثان رضي الله عنه في الضرب ، وفي ذكر ما نتج عنه . وهي مع فساد أسانيدها تحمل نكارة شديدة في متونها[1] ، وسوف أنزه

---

(١) قال في كتاب أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري (ص ٣٢٩) : " أما روايات أبي مخنف ، فتظهر الخليفة عثمان رضي الله عنه بمظهر الرجل الذي كثرت سقطاته ، فاستحق ما آل إليه أمره " . إلى أن قال : " فمن السقطات التي تشير إليها روايات أبي مخنف ، قال: ومن ذلك أن عثمان أخذ حلياً من بيت المال فحلى به=

قلمي عن إثباتها مكتفياً بما ورد في نقد متونها .

يقول القاضي أبو بكر بن العربي في عواصمه ضمن تفنيده لما نسب إلى عثمان رضي الله عنه من افتراءات :

" وأما ضربه لابن مسعود ومنعه عطاءه فزور ، وضربه لعمار إفك مثله ، ولو فتق أمعاءه ما عاش أبداً ، وقد اعتذر عن ذلك العلماء بوجوه لا ينبغي أن يشتغل بها ؛ لأنها مبنية على باطل ، ولا يبنى حق على باطل، ولا نُذهب الزمان في مماشاة الجهال ، فإن ذلك لا آخر له "[١] .

" إن أخلاق عثمان رضى الله عنه في سنه وإيمانه وحيائه ولين عريكته ورقة طبعه وسابقته وجليل مكانته في الإسلام أجل من أن تنزل به إلى هذا الدرك من التصرف مع رجل من أجلاء أصحاب النبي ﷺ ، يعرف له عثمان سابقته وفضله مهما كان بينهما من اختلاف في الرأي ، أفيرضى عثمان لنفسه – وهو الذي أبى على الناس أن يقاتلوا دونه ،

= أهله ، فغضب الناس لذلك ، ولكنه أصر على موقفه ، وهدد وتوعد المنكرين إذا استمروا بالإنكار ، فأصر عمار بن ياسر على الإنكار عليه ، فضربه حتى غشي عليه ، وجرت بذلك أمور " .

أقول : وأشهر روايات ضرب عثمان لعمار على الإطلاق ، رواية ضربه مع العباس بن عتبة بن أبي لهب ، ولم أجد لهذه الرواية سنداً صحيحاً .

(١) العواصم من القواصم (ص ٨٢-٨٤) .

ورضي بالموت صابراً محتسباً حقناً لدماء المسلمين واتقاء للفتنة العامة - أفيرضى أن يصنع بعمار - وهو أعلم بسابقته وفضله في الإسلام - ما ذكرت الروايات المزعومة بأنه أمر غلمانه بأن يضربوه حتى أغمي عليه ، ثم يقوم عثمان في هذه الحال فيطأه في بطنه ؟ ! .

ثم هل ترضى أخلاق عثمان وحياؤه بأن يدعو بدعوة الجاهلية ، فيعير عماراً بأمه سمية ، وهي من السابقة والفضل ، وعثمان يعرف شرف انتساب عمار إلى أمه سمية رضي الله عنها ، أول شهيدة في الإسلام ؟ ! .

كلا إن الأخبار الصحيحة والموثوقة لا يوجد فيها ما يدني عثمان من هذا الأسلوب المنحط في الزجر والتأديب ، علاوة على أن أخلاقه وطبيعته وسيرته تستبعد ذلك تماماً . ومما لا شك فيه أن عرض أمثال تلك الروايات الموضوعة على ما عرف من مواقف وأخلاق أولئك الأئمة الأعلام ، والأخذ بالاعتبار مقاييس ذلك العصر ومعاييره لهو أصدق ميزان في النقد لكشف دخائل الوضاعين والمفترين "[١] .

---

(١) الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان (ص ١٤٠-١٤١) ، بتصرف . د. محمد أمحزون في تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١/٤٥٩-٤٦٠) .

ثانياً : اتهام عمار عثمان بالكفر .

بعض ما ذكر في هذه الفرية لم أقف له على إسناد أصلاً ، والبعض الآخر اتصل بإسناد يستحيا من الله تعالى أن يعتمد عليه في اتهام أصحاب النبي ﷺ ، كما قال الهيثمي في أحد هذه الأسانيد : " رواه الطبراني ، وفيه عبد المنعم بن بشير، ولا يحل الاحتجاج به "(١) .

وما نقلناه في ورع عمار رضي الله عنه عن ابن هبيرة في رأي عمار في عائشة هو أكبر دليل على دحض هذه الفرية ، ومن المفيد هنا إثبات النص مرة أخرى : قال : " في هذه الحديث أن عماراً كان صادق اللهجة ، وكان لا تستخفه الخصومة إلى أن ينتقص خصمه ، فإنه شهد لعائشة بالفضل التام مع ما بينهما من الحرب "(٢) .

أي ميزان في الدنيا يمكن أن يوازن بين اتهام عمار عثمان بالكفر ، وبين ورعه عن أن يذكر عائشة بسوء ، مع أن ظروف الأخرى أسوأ من الأولى ، وحاجته في الأخرى لمثل هذه الاتهامات أكثر من حاجته في الأولى، بل لقد صح عنه في أهل الشام أنه قال فيهم - وقد سمع من يكفرهم - : " لا تقولوا ذلك ، نبينا ونبيهم واحد ، وقبلتنا وقبلتهم

---

(١) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/٩٧) .

(٢) فتح الباري (١٣/٦٣) .

واحدة ، ولكنهم قوم مفتونون ، جاروا عن الحق فحق علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا إليه "(١) فأين هذا من اتهامه عثمان بالكفر . ثم ما الذي فعله عثمان حتى يتهمه عمار بالكفر ، إن أشنع الروايات التي يذكر فيها عثمان بسوء، وتعدد فيها جرائمه المزعومة ، لا يصل الحال بفقيه من فقهاء الصحابة أن يتهمه عليها بالكفر ، إلا أن ينسب إلى عمار تأسيس مذهب الخوارج ، فإن فيه التبرير الوحيد لمثل هذا الافتراء ، وعلى حد علمنا فإن رأي الخوارج لم يظهر إلا بعد موت عمار .

ثالثاً : مساهمة عمار في الفتنة وإثارة الشغب ضد عثمان .

اعتمد المؤرخون في نسبة هذه الافتراءات إلى عمار ﵁ على روايات لم تسلم إحداها من الطعن في صحة أسانيدها ، أو في استقامة متونها . وتتنوع التهم المنسوبة إلى عمار ﵁ في تحريكه لأمر الفتنة ، وتحريضه على عثمان ﵁ ، وسعيه بين العامة للثورة عليه .

فمنها ما يذكر إرسال عثمان ﵁ له إلى مصر لاستجلاء ما يحدث فيها مما نقل إليه عن ثورة العامة هناك ، وهذا الخبر الذي يرويه الطبري(٢)

---

(١) انظر : مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٩٠) .

(٢) تاريخ الطبري (٢/٤٨٠-٤٨١) .

فيه شعيب بن إبراهيم التميمي الكوفي راوية كتب سيف ، فيه جهالة ، وقال عنه الرازي : " ليس بالمعروف " ، وله أحاديث وأخبار ، وفيها بعض النكرة ، وفيها ما فيه تحامل على السلف[١] . وفيه سيف بن عمر التميمي ، وهو عند أهل الحديث من الضعفاء ، بل لقد اتهم بالزندقة[٢] ، ومثل هذه الروايات لا يقبل فيها إلا الثقات .

ورواه عمر بن شبة في تاريخ المدينة المنورة ، وفيه شيخ عمر : علي ابن عاصم . قال عنه ابن المديني : " كان علي بن عاصم كثير الغلط ، وإذا رُد عليه ، لم يرجع ، وكان معروفاً في الحديث ، ويروي أحاديث منكرة "[٣] .

وقال يحيى بن معين : " ليس بشيء "[٤] ، وقال مرة : " كذاب ليس بشيء "[٥] .

---

(١) استشهاد عثمان ووقعة الجمل (ص ٣٠) .

(٢) قال في التقريب (ص ٢٦٢) : " سيف بن عمر التميمي صاحب كتاب الردة ، ويقال: الضبي ، ويقال غير ذلك ، الكوفي ، ضعيف الحديث ، عمدة في التاريخ ، أفحش ابن حبان القول فيه . من الثامنة ، مات في زمن الرشيد . أخرج له الترمذي " .

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/٢٥٣) .

(٤) المصدر السابق (٩/٢٥٥) .

(٥) المصدر السابق (٩/٢٥٧) .

وقال النسائي : " متروك الحديث "(١) .

وقال البخاري : : " ليس بالقوي عندهم ، يتكلمون فيه "(٢) .

وهناك من تلطف في الكلام عليه ، وقال عنه ابن حجر : " صدوق يخطئ ويصر ، ورمي بالتشيع "(٣) .

وخبر هذه حال إسناده ، لا يمكن الاطمئنان إليه ، لا سيما مع ما عُرف عن **عمار** ﷺ من الورع الذي يربأ به عن الانغماس في مثل تلك الأوحال التي ما عهدنا مرتاداً لها إلا سبئياً يهودياً حاقداً ، ومعاذ الله أن يصل الحال بصحابي من صحابة النبي ﷺ إلى هذا المستوى .

يقول خالد الغيث : " وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم ، هذا فضلاً عن عدم وروده من طريق صحيح "(٤) .

ومن هذه الروايات ما يدعي طمعَ الثوار بمساندة ثلاثة في المدينة ، منهم **عمار بن ياسر**، وهي تحمل مرض سابقتها ، حيث شعيب وسيف من رجال إسنادها . وعلى فرض صحتها ، فليس في طمعهم دليل على

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/٢٥٥) .

(٢) المصدر السابق (٩/٢٥٥) .

(٣) تقريب التهذيب (ص ٤٠٣) .

(٤) اشتشهاد عثمان ووقعة الجمل (ص ٨٦) .

اشتراك عمار معهم .

ومن الروايات التي هذه حالها ما يذكر امتناع عمار ﷺ من الاستجابة لطلب عثمان ﷺ في رد الثوار وإقناعهم بالعودة ، وبطل هذه الرواية محمد بن عمر الواقدي .

" قال عنه البخاري : " سكتوا عنه ، تركه أحمد وابن نمير " .

وقال مسلم وغيره : " متروك الحديث " .

وقال النسائي : " ليس بثقة " "[١] .

وقال عنه ابن حجر : " متروك مع سعة علمه "[٢] .

وإذا بلغ الأمر بصحابة رسول الله ﷺ أطوع خلق الله عصيان صريح أمر الله : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم** ﴾[٣] ، فليس في الوجود طائع ، وعلى الدنيا السلام.

ومنها ما يروي حواراً دار بين سعد بن أبي وقاص وعمار رضي الله عنهما ينسب فيه سعد إلى عمار تهمة السعي في الفساد بين المسلمين، والتأليب على أمير المؤمنين ، ويخلع فيها عمار ﷺ عثمان ﷺ كخلعه لعمامته .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٩/٤٥٧) .

(٢) تقريب التهذيب (ص ٤٩٨) .

(٣) سورة النساء : الآية (٥٩) .

وهي رواية عن سيف بن عمر ، عن مبشر بن الفضل الذي قال عنه الذهبي : " شيخ لسيف لا يدرى من هو "[١] . وسهل بن يوسف السلمي ، قال خالد الغيث : " لم أقف على ترجمته "[٢] .

وذكر الحديث مختصراً العقيلي في الضعفاء ، فهو ضعيف[٣] .

وما قلناه في اتهام عمار عثمان بالكفر عن ورع عمار يمكن سياقته هنا لدحض هذه الفرية ، كما أن الألفاظ التي تفوه بها عمار في الرواية ، والاتهامات التي وجهها سعد إليه ، لو صحت لوسعنا أن نحذف ما كتبناه عن أخلاق عمار، فليس للمتفوه بتلك الألفاظ أخلاق.

ومنها[٤] ما يتحدث عن مساهمة عمار رضي الله عنه في منع الماء عن عثمان رضي الله عنه ، وهي رواية منقطعة رواها سعيد بن أبي هلال ، قال عنه ابن حجر:

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/٤٣٤) .

(٢) استشهاد عثمان ووقعة الجمل (ص ٢٥) .

(٣) ذكره العقيلي في الضعفاء الكبير (٤/٢٣٦) رقم (١٨٢٩) في ترجمة مبشر بن [الفضيل] وقال عنه : " مجهول بالنقل عن محمد بن سعد بن أبي وقاص ، إسناده لا يصح " . وما ذكره العُقيلي هو قول سعد بن أبي وقاص : " سمعت رسول الله ﷺ يقول : (الحق مع عمار ما لم يغلب عليه دلهة الكبر) .

وقد لاحظت أن بعض الأحاديث التي يذكر فيها عمار قد أضيفت إليها روايات تاريخية بنفس الإسناد تحمل نكارة شديدة .

(٤) تاريخ المدينة المنورة (٤/١٢٠٣) .

" صدوق لم أر لابن حزم في تضعيفه سلفاً ، إلا أن الساجي حكى عن أحمد أنه اختلط ، من السادسة "[١] ، وبين سعيد ومن رواها عنه مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي ، والرواية التي ذكرناها عن أبي هريرة ﷺ تدفع هذا الاتهام الجائر ، وعلى الكذاب أن يكون ذكوراً .

ومنها[٢] ما يرد فيها **عمار** على أبي جهم بن حذيفة اشتراطه في البيعة الاقتصاص من قتلة عثمان ، وفي إسنادها عمرو بن علقمة بن وقاص، وهو مقبول[٣] ، وابنه محمد صدوق له أوهام[٤] ، وما أظنها إلا من أوهامه ، والجلدات المزعومة قد بينا زيف الروايات القائلة بها، فلا مناص للرواية من السقوط .

وخاتمة هذه الروايات ، هي الرواية التي نسبت إلى سعيد بن المسيب، وفيها أن الصحابة بمجملهم نقموا على عثمان ﷺ مع من نقم ، وحنقوا عليه ، وخاصة أبا ذر ﷺ ، وابن مسعود ﷺ ، **وعمار بن ياسر**[٥] رضي الله عنهما ، " وآفة هذه الرواية أن فيها تدليساً ليس من النوع

---

(١) تقريب التهذيب (ص ٢٤٢) .

(٢) تاريخ الإسلام - عهد الخلفاء الراشدين - (ص٤٦٠) .

(٣) تقريب التهذيب (ص ٤٢٤) .

(٤) تقريب التهذيب (ص ٤٩٩) .

(٥) تاريخ دمشق (٣٩/٤١٥) .

الممكن إقراره والتجاوز عنه ، فقد أسقط منها راو متهم بالوضع والكذب، وهو إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله ، ولذلك جاء تضعيف علماء الحديث لهذه الرواية ، وبيان زيفها عند ترجمتهم لمحمد بن عيسى بن سميع راوي الخبر عن ابن أبي ذئب ، يقول الإمام البخاري عن ابن سميع : " يقال : إنه لم يسمع من ابن أبي ذئب هذا الحديث ، يعني حديثه عن الزهري في مقتل عثمان . ويقول ابن حبان : إن ابن سميع لم يسمع حديثه من ابن أبي ذئب ، وإنما سمعه من إسماعيل بن يحيى ، فدلس عنه ، وقال الحاكم : " أبو محمد -يعني ابن سميع- روى عن ابن أبي ذئب حديثاً منكراً ، وهو حديث مقتل عثمان ، ويقال : كان في كتابه عن إسماعيل ابن يحيى عن ابن أبي ذئب فأسقطه ، وإسماعيل ذاهب الحديث "(١) .

ويقول يوسف العش : " والرواية المنسوبة إلى سعيد بن المسيب يجب استبعادها ، فهي بعد التحري تظهر موضوعة ، فقد نص الحاكم النيسابوري أن أحد رجال سندها قد أسقط من السند رجلاً واهياً ، وأنها منكرة ، **والواقع أنها لا تنبئ عن الاحترام الذي يكنه سعيد بن المسيب للصحابة في أقواله الأخرى الصحيحة** "(٢) .

وبعد . . فهل لعمار يا ترى دور في قتل عثمان ؟؟

---

(١) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (٢/١٦-١٨) .

(٢) الدولة الأموية (ص ٣٩) .

المطلب الثالث

هل لعمار دور في قتل عثمان ؟

كان بإمكاننا الإجابة على هذا السؤال للوهلة الأولى التي قررنا فيها اعتماد كتاب الله تعالى كنقطة للانطلاق ، فإن الرحمة التي قذفها الله تعالى في قلوب صحابة النبي ﷺ ، والألفة التي وصف بها علاقتهم ، لتستهجن طرح مثل هذا السؤال ، فضلاً عن التحقيق في الإجابة عنه ، إلا أننا فضلنا ألا نكتفي بذلك ، وواكبنا الروايات الصحيحة في سيرها للتحقيق فيما نسب إلى عمار وعثمان رضي الله عنهما ، وكان لا بد أن نخرج بعد كل ما قدمناه بأنه . . لا دور لعمار في قتل عثمان .

وكما حققنا في الروايات المتهمة لعمار بمساهمته في الفتنة ، فلا بد من التحقيق في الروايات المتهمة له بالمشاركة في قتل عثمان رضي الله عنه .

ومما يروى في ذلك اتهام مسروق وأبي موسى الأشعري رضي الله عنه لعمار بذلك عند قدومه مع الحسن لاستنفار أهل الكوفة[1] ، وهذه الرواية قد وَهَى إسنادها بشعيب المجهول ، وسيف المعلول . كما أن الرواية التي في صحيح البخاري لا تذكر شيئاً من ذلك ، فزيادتها لا تحتمل القبول ،

---

(١) تاريخ الطبري (٢/٥٥١،٥٥٢) .

لا سيما مع طعنها في صحابي مثل عمار بن ياسر المجار - على لسان النبي ﷺ - من الشيطان[١]، والمليء إلى المُشاش من الإيمان .

والرواية الأخرى التي اطلعنا عليها في هذا الموضوع كذلك تتحدث عن عزم معاوية ﷺ على قتل عمار بقتل عثمان[٢] ، وهي من طريق أبي مخنف المحترق تشيعاً .

بقي أن نسوق آراء العلماء في مثل هذا الاتهام الذي لم يختص بعمار فحسب ، بل تعداه إلى مجموعة أخرى من أجلة الصحابة .

قال خليفة : حدثنا عبد الأعلى بن الهيثم ، قال : حدثني أبي ، قال : قلت للحسن :

" أكان فيمن قتل عثمان أحد من المهاجرين والأنصار ؟ ، قال : لا، كانوا أعلاجاً من أهل مصر "[٣] .

يقول الإمام النووي : " أما عثمان ﷺ ، فخلافته صحيحة بالإجماع، وقتل مظلوماً ، وقتلته فسقة ؛ لأن موجبات القتل مضبوطة[٤] ،

---

(١) ثبت هذا المعنى في حديث أخرجه البخاري برقم (٣٧٤٣) عن أبي الدرداء ، ويأتي نصه .

(٢) تاريخ الطبري (٥/٣) .

(٣) تاريخ خليفة (ص ١٧٦) .

(٤) أي : معلومة ، بيّنها المصطفى ﷺ في الحديث الذي يرويه ابن مسعود قال : " قال -

ولم يجر منه ﷺ ما يقتضيه ، ولم يشارك في قتله أحد من الصحابة ، وإنما قتلته همج رعاع من غوغاء القبائل ، وسفلة الأطراف والأراذل ، تحزبوا وقصدوه من مصر ، فعجزت الصحابة الحاضرون عن دفعهم ، فحصروه حتى قتلوه رضي الله تعالى عنه "(١) .

وقال ابن كثير : أما ما يذكره بعض الناس من أن بعض الصحابة أسلمه ورضي بقتله ، فهذا لا يصح عن أحد من الصحابة ، بل كلهم كرهه ومقته وسب من فعله . ولكن بعضهم يود لو خلع نفسه من الأمر **كعمار بن ياسر** ، ومحمد بن أبي بكر ، وعمرو بن الحمق "(٢) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " إن خيار المسلمين لم يدخل واحد منهم في دم عثمان ، لا قتل ولا أمر بقتله ، وإنما قتلته طائفة من المفسدين في الأرض أوباش القبائل وأهل الفتنة ، وكان علي رضي الله تعالى عنه

- رسول الله ﷺ : (لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزاني ، والمفارق لدينه التارك للجماعة " أخرجه البخاري رقم (٦٨٧٨) .

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/١٥٨) .

(٢) البداية والنهاية (٧/٢٠٧) ، وقد بينا ضعف الروايات التي تتهم عمار بذلك ، وما ساقه ابن كثير رحمه الله تعالى لم يورد له سنداً ، ومحمد بن أبي بكر ليس من الصحابة .

يقول : " اللهم العن قتلة عثمان في البر والبحر والسهل والجبل "[١] "[٢] .

ويقول القاضي أبو بكر بن العربي في عواصمه بعد أن فند المزاعم التي أخذت على عثمان ﷺ : " فهذا أشبه ما روي في الباب ، وبه يتبين - وأصل المسألة سلوك سبيل الحق- أن أحداً من الصحابة لم يسع عليه ، ولا قعد عنه ، ولو استنصر ما غلب ألف أو أربعة آلاف غرباء عشرين ألفاً بلديين أو أكثر من ذلك ، ولكنه ألقى بيده إلى المصيبة "[٣] .

ويقول : " وقد انتدبت المردة والجهلة إلى أن يقولوا : إن كل فاضل من الصحابة كان عليه مشاغباً مؤلباً ، وبما جرى عليه راضياً ، واخترعوا كتاباً فيه فصاحة وأمثال كتب عثمان به مستصرخاً إلى علي ، وذلك كله مصنوع؛ ليوغروا قلوب المسلمين على السلف الماضين والخلفاء الراشدين.

فالذي ينخل من ذلك أن عثمان مظلوم محجوج بغير حجة ، وأن الصحابة بُرآء من دمه بأجمعهم ؛ لأنهم أتوا إرادته ، وسلموا له رأيه في إسلام نفسه "[٤] .

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٦٨) .

(٢) منهاج السنة (٤/٣٢٢-٣٢٣) .

(٣) العواصم من القواصم (ص ١٦٦) .

(٤) المصدر السابق (ص ١٦٩) .

المبحث الثاني
عمار في الفتنة الثانية

وفيه مطالب :

المطلب الأول : عمار مع علي رضي الله عنهما .

المطلب الثاني : تصور عمار للفتنة وأثره على اتخاذ مواقفه

المطلب الأول

عمار مع علي رضي الله عنهما

ليس عجيباً أن تظهر علاقة **عمار** مع علي رضـي الله عنهمـا حميمـة وثيقة في أيام خلافة علي ، فلقد ارتبط الاسمان رابطـة يعـز انفصامهـا منـذ بزوغ فجر الدعوة ، ذلك أن العامل في امتزاج روحيهما لم يكن أرضيـاً ، وحسبك لتآلف الأرواح أن ترتبط الأسماء في السماء .

يحدّث علي ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : (لم يكن نبي إلا وقد أعطـي سبعة رفقاء نجباء وزراء ، وإني قد أعطيت أربعة عشر)[1] .

وعندما يسرد النبي ﷺ الأسمـاء الـتي اختارهـا الله في السـماء ، يـبرز علي **وعمار** رضـي الله عنهمـا ضمنهـا ، وقـد اتفقـا في إحـراز العطـاء ، واتحدت منحة الجليل لهما فصارا لنبيه الرفقاء والنجباء والوزراء .

ولقد بلغ من تآلف روحيهما أن يعز على الجنة التفريق بينهما عندمـا تشتاق ، ويقترن الاسمان للمرة الثانيـة في إخبـار النـبي ﷺ حينمـا يقـول : (ثلاثة تشتاق لهم الجنة : علي **وعمار** وسلمان)[2] .

---

(١) سبق تخريجه (ص ٣٢) .

(٢) سبق تخريجه (ص ٣٥) .

إن المداد الذي يغذي الروابط الإيمانية ويزيدها متانة ونماء يكمن في مدى اقتراب المرتبطين من الله واتصالهم به ، وكان لزاماً أن تنتشي العلاقة بين عمار وعلي رضي الله عنهما وقد عرف كل منهما مكانة الآخر عند ربه ، ومنزلته في قلب نبيه ، وكيف ينسى علي ﷺ رسول الله ﷺ وهو يخبر : (دم عمار ولحمه حرام على النار)[1] ؟ ، ولم لا تطيب علاقته مع عمار وقد سمع ترحيب النبي ﷺ به مع التطييب : (مرحباً بالطيب المطيب)[2] .

وفي الأسفار : يحرص المرء على اختيار رفيقه بدقة ، وغالباً ما يقع الاختيار على الأصفياء ، وهناك يحلو تعانق الأرواح .

روى الطبري فقال : حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي ، قال : حدثنا محمد بن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يزيد بن خثيم ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثنا أبوك يزيد بن خثيم ، عن **عمار بن ياسر** ، قال :

" كنت أنا وعلي رفيقين مع رسول الله ﷺ في غزوة العشيرة ، فنزلنا منزلاً ، فرأينا رجالاً من بني مدلج يعملون في نخل لهم ، فقلت : لو

---

(١) سبق تخريجه (ص ٣٦) .

(٢) سبق تخريجه (ص ٣٣) .

انطلقنا فنظرنا إليهم كيف يعملون ، فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعة ، ثم غشينا النعاس ، فعمدنا إلى صِور من النخل فنمنا تحته في دقعاء من التراب، فما أيقظنا إلا رسول الله ﷺ أتانا وقد تتربنا في ذلك التراب ، فحرَّك علياً برجله ، فقال : (قم يا أبا تراب ، ألا أخبرك بأشقى الناس ، أحمر ثمود عاقر الناقة ، والذي يضربك على هذا - يعني قَرْنه - فيخضب هذه منها) ، وأخذ بلحيته "(١) .

وتمتد الأيدي الآثمة تزهق روح أفضل الأمة يومذاك - عثمان ﷺ - تزعم نصحاً لدينها ، وليس فيما ارتكبته إلا الغش والخداع والتضليل .

وتتلفت الأمة حولها ، تبحث عمن يلي أمرها ويتسلم قيادها ، فلا تجد مستحقاً لذلك إلا أفضل الأمة بعد أفضل الأمة حينها ، فتسارع إليه ملقية بأحمالها بين يديه ، ويتولى أمر تسليمه الأمانة عظماؤها ، ومن هؤلاء

عمار بن ياسر :

ذكر ابن سعد في الطبقات قال :

" قالوا : لما قتل عثمان رحمه الله يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وبويع علي بن أبي طالب رحمه الله بالمدينة - الغد من يوم قتل عثمان - بالخلافة ، بايعه طلحة

---

(١) تاريخ الطبري (١/٥٢١) .

والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل **وعمار بن ياسر** وأسامة بن زيد وسهل بن حنيف وأبو أيوب الأنصاري ومحمد بن مسلمة وزيد بن ثابت وخزيمة بن ثابت ، وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم "[١] .

ويحتل **عمار** رضي الله عنه المكانة اللائقة به عند علي ، لقد غدا وزيراً مخلصاً، ومستشاراً مؤتمناً، كان لا يفارقه في حله أو ترحاله ، لقد رافقه في رحلته إلى البصرة ، وأرسله سفيراً إلى الكوفة يوم احتاج إلى من يقنع أهلها بنصرته ، وكان له يداً يمنى في جميع شؤونه ، وقائداً عسكرياً في سائر حروبه ، وقتل يوم قتل ذائداً عن حقوقه ، لقد جمعهما الحق الذي كانا يدوران حوله ، فأضحت محبة **عمار** لعلي تملأ كيانه ، وبات تقدير علي **لعمار** يأسر وجدانه.

فقد أخرج ابن سعد في طبقاته قال : أخبرنا مسلم بن إبراهيم ، قال: أخبرنا غسان بن مضر ، قال : أخبرنا سعيد بن يزيد ، عن أبي نضرة ، عن مطرف ، قال :

" دخلت على رجل بالكوفة ، وإذا رجل قاعد إلى جنبه ، وخياط يخيط إما قطيفة سنّور أو ثعالب ، قال : قلت : ألم تر ما صنع علي ؟

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/٢٢) .

صنع كذا وصنع كذا ، قال : فقال : يا فاسق ، ألا أراك تذكر أمير المؤمنين ؟! . قال : فقال صاحبي : مهلاً يا أبا اليقظان ! فإنه ضيفي ، قال: فعرفت أنه **عمار** "(١) .

وأخرج ابن عساكر بإسناده إلى وكيع ، نا سفيان ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة ، قال :

" جاء رجلان إلى علي مدَّهنين قد خرجا من الحمام ، قال علي : من أنتما ؟ ، قالا : نحن من المهاجرين ، قال علي : إنما المهاجر **عمار بن ياسر** "(٢) .

وتمضي الأيام .. ويقدر الله لعلي أن يشهد مصرع **عمار** ، فتعظم مصيبته ، ويشتد خطبه ، وينطلق اللسان يهتف مستلهماً من القلب البيان:

" إن امرؤاً من المسلمين لم يعظم عليه قتل ابن ياسر ، وتدخل به عليه المصيبة الموجعة لغير رشيد ، رحم الله **عماراً** يوم أسلم ، ورحم الله **عماراً** يوم قتل ، ورحم الله **عماراً** يوم يبعث حياً ، لقد رأيت **عماراً** وما يذكر من أصحاب رسول الله ﷺ أربعة إلا كان رابعاً ، ولا خمسة إلا كان خامساً ، وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله ﷺ يشك

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/١٩٣) .

(٢) تاريخ دمشق (٤٣/٤٦١) .

أن عماراً قد وجبت له الجنة في غير موطن ولا اثنين . فهنيئاً لعمار بالجنة ، ولقد قيل : إن عماراً مع الحق والحق معه ، يدور عمار مع الحق أينما دار ، وقاتل عمار في النار "[١] .

كلمات بر ووفاء ، وصدق ورثاء ، ينعي بها علي إلى الأمة فقيدها .. قتيل الفئة الباغية.

---

(١) الطبقات الكبرى (١٩٨/٣) .

المطلب الثاني

تصور عمار للفتنة وأثره على اتخاذ مواقفه

مرت أحداث الفترة السابقة على الأمة وكأنها كوابيس يستحيل وقوعها ، وتصحو الأمة من شرودها بعد تلك الفترة العصيبة التي هزت كيانها ، لتجد نفسها أمام واقعها : قد قُتل إمامها ، ودُنس حرمها ، وانتُهكت حرمات دينها ، وتصطدم بواجبها الملقى على أكتافها ، لا بد من إمام لها يلملم شعثها ، ويجمع شتاتها ، ويوحد طاقاتها ، ويثأر لدماء قد غضب ربها لإسالتها ، لكن أين المتطلع لتولي أمرها ، وواجباتها أمانة يعز حملها ، وتبعاتها مسئولية يعجز عظماؤها عن القيام بها ، وكان لا بد أن تلقي بأحمالها إلى خيرها وأبرها[١] .

هرع أصحاب النبي ﷺ إلى علي رضي الله عنه يناشدونه تولي الأمر بعد عثمان ، لقد كانت القلوب مجمعة على أهليته للقيام بأعباء هذه الفترة[٢]،

---

(١) قال القاضي أبو بكر بن العربي في عواصمه (ص ١٧٣) : " فلما قضى الله من أمره ما قضى ، ومضى في قدره ما مضى ، علم أن الحق لا يترك الناس سدى ، وأن الخلق بعدها مفتقرون إلى خليفة مفروض عليهم النظر فيه ، ولم يكن بعد الثلاثة كالرابع قدراً وعلماً وتقى وديناً ، فانعقدت له البيعة " .

(٢) قال الإمام ابن حجر في الفتح (١٣/٣٨): أخرج الطبري بسند صحيح عن حصين بن=

ويتقبل علي رضي الله عنه التكليف على مضض ، ويسارع للقيام بواجباته .

كان عمار رضي الله عنه ينتظر من الأمة وقد سلمت بتقدم أميرها وأهليته ، أن تدين له بالولاء والطاعة كما دانت لمن قبله ، وأن تتقبل اجتهاداته وتلتزم بها كما تقبلت اجتهادات غيره والتزمت بها ، فلقد غدا إماماً شرعياً تجب طاعته في غير معصية الله ، وغدت اجتهاداته أمراً لا مناص من التزامه ما دامت لا تخرج عن شرعة الله[1] .

= عبد الرحمن ، عن عمرو بن جاوان قال : " قلت له أرأيت اعتزال الأحنف ما كان ؟ قال : سمعت الأحنف قال : حججنا فإذا الناس مجتمعون في وسط المسجد - يعني النبوي -وفيهم علي والزبير وطلحة وسعد إذ جاء عثمان ، فذكر قصة مناشدته لهم في ذكر مناقبه ، قال الأحنف : فلقيت طلحة والزبير فقلت : إني لا أرى هذا الرجل - يعني عثمان - إلا مقتولاً ، فمن تأمراني به ؟ قالا : علي . فقدمنا مكة ، فلقيت عائشة وقد بلغنا قتل عثمان ، فقلت لها : من تأمريني به ؟ قالت : علي . قال فرجعنا إلى المدينة فبايعت علياً ورجعت إلى البصرة ، فبينما نحن كذلك إذ أتاني آت فقال : هذه عائشة وطلحة والزبير نزلوا بجانب الخريبة يستنصرون بك ، فأتيت عائشة فذكرتها بما قالت لي، ثم أتيت طلحة والزبير فذكرتهما .. " ، فذكر القصة ، وفيها : " فقلت : والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين وحواري رسول الله ﷺ ، ولا أقاتل رجلاً أمرتموني ببيعته ، فاعتزل القتال مع الفريقين " .

وانظر الخبر في مصنف ابن أبي شيبة (٨/٧١٣-٧١٤) .

(١) قال ابن حزم في الفصل (٣/٨٢): "إنه قد صح ووجب فرض الإمامة بما ذكرنا قبل في=

ويفاجأ عمار رضي الله عنه بما لم يكن في الحسبان ، لقد خرج طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم يطالبون بدم عثمان بعد أن استشعروا تقصيراً في نصرته ، وكان الأولى إتيان البيوت من أبوابها ، فهو الأسلم والأحكم .

لم ير عمار رضي الله عنه تهاوناً من علي في المطالبة بدم عثمان ، وكان من المفترض على أولياء الدم الذين يتمثلون في أولاد عثمان : عمرو وأبان والوليد وسعيد أن يبادروا للاحتكام إلى علي في دم أبيهم ، ولو احتكموا إليه ما منعهم وهو أقضى الصحابة[1] .

وكان عمار رضي الله عنه يعلم أنه لم يتعين لعثمان رضي الله عنه قاتل ، ولم يكن لعلي أن يقتل بمجرد الدعوى[2] ، ثم ما الذي سيحدث لو بادر علي إلى

= إيجاب الإمامة ، وإذ هي فرض ، فلا يجوز تضييع الفرض ، وإذ ذلك كذلك ، فالمبادرة في تقديم إمام عند موت الإمام فرض واجب ، وقد ذكرنا وجوب الائتمام بالإمام ، فإذ هذا كله كما ذكرنا ، فإذ مات عثمان رضي الله عنه - وهو الإمام - ففرض إقامة إمام يأتم به الناس لئلا يبقوا بلا إمام ، فإذ بادر علي فبايعه واحد من المسلمين فصاعداً ، فهو إمام قائم ، ففرض طاعته ، لا سيما ولم تتقدم بيعته بيعةٌ ، ولم ينازعه الإمامة أحد جملة ، فهذا أوضح وأوجب في وجوب إمامته وصحة بيعته ولزوم إمرته للمؤمنين ، فهو الإمام بحق ، وما ظهر منه قط إلى أن مات رضي الله عنه شيء يوجب نقض بيعته ، وما ظهر منه قط إلا العدل ، والجد والبر ، والتقوى والخير " .

(١) انظر التذكرة (٢/٢١٨) .

(٢) يقول الإمام الباقلاني : " وعلى أنه إذا ثبت أن علياً ممن يرى قتل الجماعة بالواحد ، =

الاقتصاص دون بينة في مثل تلك الأجواء التي يخشى فيها من تعصب القبائل للأعراب الذين كانت لهم في المدينة صولة وجولة ؟ ، وما الذي سيضر المطالبين بدم عثمان لو أخر القصاص إلى أن تهدأ الأوضاع ؟ ، أليس للإمام الحقُّ في الانتظار عند خوف إثارة الفتنة أو تشتيت الكلمة؟[1] ، لقد علم عمار رضي الله عنه من علي حكمة في التصرف ، ودراية في

= فلم يجز أن يقتل جميع قتلة عثمان إلا بأن تقوم البينة على القتلة بأعيانهم ، وبأن يحضر أولياء الدم مجلسه ، ويطلبوا بدم أبيهم ووليهم ، وبأن يؤدي الإمام اجتهاده إلى أن قتل قتلة عثمان لا يؤدي إلى هرج عظيم ، وفساد شديد قد يكون فيه مثل قتل عثمان أو أعظم منه ، وإن تأخير إقامة الحد إلى وقت إمكانه وتقصّي الحق فيه أولى وأصلح للأمة ، وألّم لشعثهم ، وأنفى للفساد والتهمة عنهم " .

تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (١٥٩/٢) نقلاً عن التمهيد في الرد على الملحدة (ص ٢٣١) .

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " لم يكن علي – مع تفرق الناس عليه – متمكناً من قتل قتلة عثمان إلا بفتنة تزيد الأمر شراً وبلاءً ، ودفع أفسد الفاسدَيْن بالتزام أدناهما أولى من العكس ؛ لأنهم كانوا عسكراً ، وكان لهم قبائل تغضب لهم ، والمباشر منهم للقتل –وإن كان قليلاً – فكان ردؤهم أهل الشوكة ، ولولا ذلك لم يتمكنوا ، ولما سار طلحة والزبير إلى البصرة ليقتلوا قتلة عثمان ، قام بسبب ذلك حرب قتل فيها خلق " .

منهاج السنة (٤٠٧/٤) .

ويروي الإمام الطبري في خبر إرسال علي للقعقاع بن عمرو إلى طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم ، قال : " . . . فلما نزلوا على ذي قار ، دعا القعقاع بن عمرو فأرسله إلى أهل =

. . . .

= البصرة وقال له : الق هذين الرجلين يا ابن الحنظلية – وكان القعقاع من أصحاب النبي ﷺ – فادعهما إلى الإلفة والجماعة ، وعظّم عليهما الفرقة ، وقال له : كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة مني ؟ فقال : نلقاهم بالذي أمرت به ، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا الرأي ، وكلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي ، قال : أنت لها . فخرج القعقاع حتى قدم البصرة ، فبدأ بعائشة رضي الله عنها ، فسلم عليها ، وقال : أي أمَّهْ ، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة ؟ قالت: أي بُنيَّ إصلاحٌ بين الناس ، قال : فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما ، فبعثت إليهما ، فجاءا ، فقال : إني سألت أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد ؟ ، فقالت : إصلاح بين الناس ، فما تقولان أنتما ؟ أمُتابعان أم مُخالفان ؟ قالا : مُتابعان ، قال : فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح ؟ فوالله لئن عرفنا لنصلحن ، ولئن أنكرناه لا نُصلح . قالا : قتلة عثمان ﷺ ، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن ، وإن عُمل به كان إحياء للقرآن . فقال : قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة ، وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم ، قتلتم ستمائة إلا رجلاً ، فغضب لهم ستة آلاف ، واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم ذلك الذي أفلت – يعني حرقوص بن زهير – فمنعه ستة آلاف وهم على رجل ، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون ، وإن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم ، فالذي حذِرتم وقربتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون ، وأنتم أحميتم مضروب ربيعة من هذه البلاد ، فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نُصرة لهؤلاء ، كما اجتمع هؤلاء لأهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير ، فقالت أم المؤمنين : فتقول أنت ماذا ؟ قال : أقول هذا الأمر دواؤه =

السياسة ، فهل يليق بالإمام أن يُجبر على ما لا يراه ، وهو لم يخالف كتاباً ولا سنة[1] .

ويواكب هذا الحدث الجلل خطب أعظم ، عدّه عمار رضي الله عنه الأول من نوعه ، لقد عهد الولايات الإسلامية في عهد الخلفاء الثلاثة تابعة للمدينة ، ولم يكن لها في عهد الأشياخ اختيار في قبول البيعة أو عدمه ، كان اختيار من بالمدينة من المهاجرين والأنصار لإمامهم كافياً لأن ترسل الولايات

= التسكين ، وإذا سكن اختُلجوا ، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير ، وتباشير رحمة ، ودرَكٌ بثأر هذا الرجل وعافية وسلامة لهذه الأمة . وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه ، كانت علامة شر ، وذهاب هذا الثأر ، وبعثة الله في هذه الأمة هزاهِزها ، فآثروا العافية ترزقوها ، وكونوا مفاتح الخير كما كنتم تكونون ، ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرَّضوا له فيصرعنا وإياكم . وايم الله ، إني لأقول هذا وأدعوكم إليه ، وإني لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله عز وجل حاجته من هذه الأمة التي قلّ متاعها ونزل بها ما نزل ، فإن هذا الأمر الذي حدث أمرٌ ليس يقدّر ، وليس كالأمور ، ولا كقتل الرجل الرجل ، ولا النفر الرجل ، ولا القبيلة الرجل " . تاريخ الطبري (٢/٥٥٤-٥٥٥) .

(١) قال ابن العربي في العواصم (ص ١٧٧) : " فإن قيل : بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان ، قلنا : هذا لا يصح في شرط البيعة ، وإنما يبايعونه على الحكم بالحق ، وهو أن يحضر الطالب للدم ، ويحضر المطلوب ، وتقع الدعوى ، ويكون الجواب ، وتقوم البينة ، ويقع الحكم . فأما على الهجم عليه بما كان من قول مطلق ، أو فعل غير محقق ، أو سماع كلام ، فليس ذلك في دين الإسلام " .

الأخـرى بولائهـا معلنـة الطاعـة لـه والخضـوع ، فمـا الـذي دعـا - يا ترى - أهل الشام إلى التوقف في بيعة من اختاره أهل المدينة الآن مع كونهم رأوها بيعة شرعية ملزمة مـا وسعهم تركهـا أو التلكؤ فيهـا فيمـا سبق ؟ . وما هو الرابط بـين إعطـاء البيعـة الشـرعية السـائرة علـى منهـج الأشياخ وبين اشتراط التمكن من قتلة عثمان وأخذ القود منهـم ؟ . كـان اللائق بالمطالبين بدم عثمان في مثل تلـك الظـروف أن ينضمـوا إلى صـف الإمام الحق ؛ ليقوى على إقادتهم ممن يريدون ، وهكذا تؤكل الكتف(١) .

---

(١) قال ابن العربي في العواصم (ص ١٩٨) : " أما وجود الحرب بينهم فمعلوم قطعاً ، وأما كونه بهذا السبب (أي بسبب المطالبة بالاقتصاص من قتلة عثمـان) فمعلـوم كذلـك قطعاً ، وأما الصواب فيـه فمع علي ؛ لأن الطـالب للـدم لا يصـح أن يحكـم ، وتهمـة الطالب للقاضي لا توجب عليه أن يخرج عليه ، بل يطلـب الحـق عنـده ، فـإن ظهـر لـه قضاء وإلا سكت وصبر ، فكم من حق يحكم ا لله فيه ، وإن لم يكن لـه ديـن ، فحينئـذ يخرج فيقوم له عذر في الدنيا ".

ويقول الإمام ابن حزم في الفصل (٨٧/٣) : " أما قولهم إن أخذ القود واجب مـن قتلـة عثمان ﷺ والمحـاربين لله تعـالى ولرسـوله ﷺ السـاعين في الأرض بالفسـاد ، والهـاتكين حرمة الإسلام والحرم والإمامة والهجرة والخلافة والصحبة والسابقة ، فنعم . ومـا خـالفهم قط علي في ذلك ، ولا في البراءة منهم ، ولكنهم كانوا عدداً ضخماً جماً لا طاقة لـه عليهـم ، فقد سقط عن علي ﷺ ما لا يستطيع عليه ، كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج ولا فرق ، قال ا لله تعالى: ﴿**لا يكلف ا لله نفساً إلا وسعها**﴾ =

وهنا يستشعر عمار ﷺ واجبه تجاه إمامه ، لقد بايعه مع المبايعين ، وأصبح له في عنقه حقوق لا يسعه التملص منها ، ومِنْ أظهرِها نُصْرَتُه على من خرج عليه أو بغى ، وخذلانه في مثل تلك الظروف لا تحمد عقباه لا في الدنيا ولا في الآخرة .

ولأنه ﷺ تربى على السير في ركاب الحق ، ولأن نصرة الحق باتت تجري في دمه ، فلقد عزم على نصرة علي ﷺ ، وعدم التخلي عنه ما وسعه جهده ، ومهما كلفه ذلك من ثمن حتى ولو كان إزهاق روحه .

كان ﷺ يستغرب من عدم وضوح هذه المعاني عند غيره ، وكان غيره يتعجب من مسارعته في أمره ، ولكن لا غرابة ما دام الوقود الذي يحركه حب الحق والسعي إلى إعادته .

أخرج البخاري بإسناده عن شقيق بن سلمة قال :

" كنت جالساً مع أبي مسعود وأبي موسى وعمار ، فقال أبو مسعود : ما من أصحابك أحدٌ إلا لو شئت لقلت فيه غيرك ، وما

= [سورة البقرة : الآية (٢٨٦)] .

وقال رسول الله ﷺ : (إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم) . ولو أن معاوية بايع علياً ؛ لقوي به على أخذ الحق من قتلة عثمان . فصح أن الاختلاف هو الذي أضعف يد علي عن إنفاذ الحق عليهم ، ولولا ذلك ؛ لأنفذ الحق عليهم كما أنفذ علي قتلة عبد الله بن خباب ، إذ قدر على مطالبة قتلته " .

رأيت منك شيئاً منذ صحبت النبي ﷺ أعيب عندي من استسراعك في هذا الأمر ، قال عمار : يا أبا مسعود ، ما رأيت منك ولا من صاحبك هذا شيئاً منذ صحبتما النبي ﷺ أعيبَ عندي من إبطائكما في هذا الأمر ، فقال أبو مسعود - وكان موسراً - يا غلام هاتِ حُلَّتين ، فأعطى إحداهما أبا موسى والأخرى عماراً ، وقال : روحا فيه إلى الجمعة "[1] .

ورغم قوة الاندفاع التي اندفع بها عمار رضي الله عنه لنصرة الحق الذي رآه في الكينونة مع علي ، إلا أنه كان يحسب لكل خطوة من خطواته حساباً خاصاً . فلقد امتثل أمر علي له بالتوجه إلى الكوفة لاستنفار أهلها[2] ، ولم يكن يجهل ما الذي سيقوله لهم مما يعتقده ويعتنقه ويدين الله به ،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧١٠٥،٧١٠٦،٧١٠٧) .

قال الحافظ في الفتح (٦٤/١٣) : " وجعل كل منهم الإبطاء والإسراع عيباً بالنسبة لما يعتقده ، فعمار : لما في الإبطاء من مخالفة الإمام وترك امتثال : ﴿ **فقاتلوا التي تبغي** ﴾ والآخران لما ظهر لهما من ترك مباشرة القتال في الفتنة ، وكان أبو مسعود على رأي أبي موسى في الكف عن القتال تمسكاً بالأحاديث الواردة في ذلك ، وما في حمل السلاح على المسلم من الوعيد ، وكان عمار على رأي علي في قتال الباغين والناكثين والتمسك بقوله تعالى : ﴿ **فقاتلوا التي تبغي** ﴾ وحمل الوعيد الوارد في القتال على من كان متعدياً على صاحبه " .

(٢) انظر صحيح البخاري ، حديث رقم (٧١٠٢،٧١٠٣،٧١٠٤) .

وكان منطقه سليماً مفحماً .

أخرج البخاري بسنده عن أبي وائل : قام عمارٌ على منبر الكوفة ، فذكر عائشة وذكر مسيرها ، وقال : إنها زوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة ، ولكنها مما ابتليتم "[١] . وفي رواية عن أبي مريم عبد الله بن زياد الأسدي : " إن عائشة قد سارت إلى البصرة ، والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ ، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ؛ ليعلم إياه تطيعون أم هي "[٢] .

وفي مقابل إحساسه رضي الله عنه برسوخ خطواته ، كان يحس بعدم سلامة موقف أهل الجمل ، ولا يزال يتبين له سداد موقفه كلما تقدم إلى الأمام خطوة .

لقد حذر النبي ﷺ عائشة من مسيرها كما ذكر الحافظ في الفتح من طريق قيس بن أبي حازم قال : " لما أقبلت عائشة فنزلت بعض مياه بني عامر ، نبحت عليها الكلاب ، فقالت : أي ماء هذا ؟ . قالوا : الحوأب - بفتح الحاء المهملة وسكون الواو بعدها همزة ثم موحدة - قالت : ما

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧١٠١) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧١٠٠) . قال الحافظ في الفتح (٦٣/١٣) : " ومراد عمار بذلك أن الصواب في تلك القصة كان مع علي ، وأن عائشة مع ذلك لم تخرج بذلك عن الإسلام ، ولا أن تكون زوجة النبي ﷺ في الجنة " .

أظنني إلا راجعة . فقال لها بعض من كان معها : بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله ذات بينهم . فقالت : إن النبي ﷺ قال لنا ذات يوم : (كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب) "(١) .

ومن طريق عصام بن قدامة ، عن عكرمة بن عباس : " أن رسول الله ﷺ قال لنسائه : (أيتكن صاحبة الجمل الأدبب - بهمزة مفتوحة ودال ساكنة ثم موحدتين الأولى مفتوحة - تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب ، يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة ، وتنجو من بعدما كادت) "(٢) .

ونبه ﷺ الزبير إلى ما يكون منه تجاه علي ، وأعلمه بظلمه له في ذلك الموقف كما ذكر ابن حجر في الفتح ، قال :

" أخرج إسحاق من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن عبد السلام -رجل من حيه- قال : خلا علي بالزبير يوم الجمل فقال: أنشدك الله، هل سمعت رسول الله ﷺ يقول وأنت لاوي يدي : (لتقاتلنه وأنت ظالم

---

(١) فتح الباري (٥٩/١٣) . قال الحافظ : " وأخرج هذا أحمد وأبو يعلى والبزار وصححه ابن حبان والحاكم ، وسنده على شرط الصحيح ، وعند أحمد : " وقال لها الزبير : تقدمين .." فذكره .

وانظر مصنف ابن أبي شيبة (٧٠٨/٨) ، والبداية والنهاية (٢١٧/٦) . وقال ابن كثير : " وهذا إسناد على شرط الصحيحين و لم يخرجوه " .

(٢) فتح الباري (٥٩/١٣) . قال الحافظ : " وهذا رواه البزار ورجاله ثقات " .

له ، ثم لينصرن عليك) ؟ قال : قد سمعت ، لا جرم لا أقاتلك[١] .

وكان مما يزيده رسوخاً واقتناعاً بالطريق الذي اختاره لنفسه موقف علي ﷺ بمنطقيته واستقامته .

قال الحافظ : " وأخرج إسحاق ابن راهويه من طريق سالم المرادي ، سمعت الحسن يقول : لما قدم علي البصرة في أمر طلحة وأصحابه ، قام قيس بن عباد وعبد الله بن الكواء فقالا له : أخبرنا عن مسيرك هذا ، فذكر حديثاً طويلاً في مبايعته أبا بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم ذكر طلحة والزبير ، فقال : بايعاني بالمدينة ، وخالفاني بالبصرة ، ولو أن رجلاً ممن بايع أبا بكر خالفه لقاتلناه ، وكذلك عمر "[٢] .

---

(١) فتح الباري (٦٠/١٣) . وقد قال الحافظ قبل ذكر هذه الأخبار (٥٩/١٣) : " وقد جمع عمر بن شبة في " كتاب أخبار البصرة " قصة الجمل مطولة ، وها أنا ألخصها ، وأقتصر على ما أورده بسند صحيح أو حسن ، وأبين ما عداه " . وهذا مما سكت عنه .
وانظر : المطالب العالية (٥٧/١٠-٥٨) .
قال ابن كثير (٢١٨/٦) : " وهذا كله وقع في أيام الجمل ، وقد ندمت عائشة رضي الله عنها على ما كان من خروجها ، على ما سنورده في موضعه ، وكذلك الزبير بن العوام أيضاً تذكر وهو واقف في المعركة أن قتاله في هذا الموطن ليس بصواب ، فرجع عن ذلك " .
وانظر طريق هذا الحديث في البداية والنهاية (٢١٩/٦) .

(٢) فتح الباري (٦٠/١٣) . وينطبق على هذه الرواية الهامش السابق .
وانظر : المطالب العالية (٤١/١٠-٤٣) .

ويبقى رضي الله عنه يتحرى الدقة في مواقفه ، ولم يكن نصره للحق الذي يؤمن به دافعاً له إلى الموافقة على الخطأ أو الحيدة عن الصواب .

أخرج ابن عساكر بسنده إلى معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد ، عن حميد ، قال :

قال عمار لعلي يوم الجمل : ما تريد أن تصنع بهؤلاء ؟ . قال : قال له علي : حتى ننظر لمن تصير عائشة . قال : فقال عمار : وتقسم عائشة ؟ قال : فكيف نقسم هؤلاء ؟ فقال له عمار : أما إنك لو أردت غير هذا ما بايعناك "[١] .

وأخرج ابن أبي شيبة في مصنفه ، قال : حدثنا قبيصة ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن حميد بن مالك ، قال :

" قال عمار لعلي يوم الجمل : ما ترى في سبي الذرية ؟ . قال : فقال : إنما قاتَلْنا من قاتَلَنا . قال : لو قلت غير هذا خالفناك "[٢] .

وضوح في غير مواربة ، وصراحة في سداد رأي ، وهكذا العهد بعمار .

ويقدر الله للحق أن ينتصر ، وتصفو النفوس ، ويلتقي الأحبة ، ويحصل العتاب ، ويُنسب الحق لأهله .

---

(١) تاريخ دمشق (٤٣/٤٦١) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٦٩-٢٧٠) .

قال الحافظ في الفتح : " أخرج الطبري بسند صحيح عن أبي يزيد المديني ، قال : قال **عمار بن ياسر** لعائشة لما فرغوا من الجمل : ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عهد إليكم - يشير إلى قوله تعالى : ﴿ **وقرن في بيوتكن** ﴾ - . فقالت : أبو اليقظان ؟ . قال : نعم، قالت : والله إنك ما علمت لقوال بالحق ، قال : الحمد الله الذي قضى لي على لسانك "(١) .

لقد حفظ **عمار** ﷺ مكانة عائشة رضي الله عنها رغم كل ما وقع منها ، وبقي يكن لها الاحترام والتقدير ، ولم يكن يسمح بالتطاول عليها أو النيل من عرضها ، وكيف له أن يرضى بذلك وهو يعلم مكانتها من رسول الله ﷺ ؟ وكما انبرى للرد على الطاعن في علي أمير المؤمنين ، بادر لدحر المفتري على عائشة أم المؤمنين :

أخرج الحاكم في المستدرك قال : حدثنا أبو بكر بن إسحاق ، ثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ، ثنا محمد بن أبان الواسطي ، ثنا أبو شهاب الحناط ، ثنا عمرو بن قيس وسفيان الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن غالب :

" أن رجلاً نال من عائشة رضي الله عنها عند علي ﷺ ، فقال له **عمار بن ياسر** : اسكت مقبوحاً منبوحاً ، أتؤذي حبيبة

---

(١) فتح الباري (١٣/٦٣) . وانظره في تاريخ الطبري (٢/٥٨٣) .

رسول الله ﷺ "[١] .

انتهت جولة الحق الأولى ، وبقي له مع أهل الشام أخرى ، كان الأمر يستدعي علاجاً سريعاً قبل أن يستفحل الداء ، ويسري السم في الجسد . فلقد عُرض عليهم إعطاء البيعة للإمام الذي اختاره أهل الحل والعقد من أهل المدينة ، وكان لزاماً عليهم أن يبادروا إلى إرسالها ، كما فعل أهل الأمصار الأخرى ، لم يكن لهم خيار في ذلك ، فهي سنة قد مضت ، وهو شرع قد وُضع ، فإما الدخول في الطاعة طواعية أو الإدخال فيها كراهية .

ويشهد عمار رضي الله عنه علياً وهو يسعى إلى حقن الدماء ما استطاع ، فها هو يرسل جريراً البجلي رضي الله عنه إلى معاوية رضي الله عنه يدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه الناس ، فيمتنع[٢] ، ثم يرسل إليه أبا مسلم الخولاني ، فيدور بينهما الحوار التالي :

أبو مسلم : أنت تنازع علياً في الخلافة ، أو أنت مثله ؟

معاوية : لا ، وإني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر ، ولكن ألستم

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٣/٤٤٤) . وقال عنه الحاكم : " صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه " . ووافقه الذهبي كما قال المحقق .

(٢) انظر فتح الباري (١٣/٩٢) ، وسير أعلام النبلاء (٢/٥٣٥-٥٣٦). وتاريخ الطبري (٢/٥٩١) . والبداية والنهاية (٧/٢٦٤-٢٦٥) .

تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً ، وأنا ابن عمه ووليه أطلب بدمه ! فأتوا علياً فقولوا له يدفع لنا قتلة عثمان[١] .

ويخبر علي الخبر فيدلي بالحجة الشرعية التي فقهها عمار ، وعلم من النبي ﷺ سدادها، وتصويب صاحبها في إخبار حذيفة رضي الله عنه :

فعن زيد بن وهب قال :

" بينا نحن حول حذيفة إذ قال : كيف أنتم وقد خرج أهل دينكم فرقتين يضرب بعضهم وجوه بعض بالسيف ، فقلنا : يا أبا عبد الله ، وإن ذلك لكائن ؟ ! . فقال بعض أصحابه : يا أبا عبد الله ، فكيف نصنع إن أدركنا ذلك الزمان ؟ . قال : انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي فالزموها ، فإنها على الهدى "[٢] .

قال علي رضي الله عنه : " يدخل في البيعة ويحاكمهم إلي "[٣] .

---

(١) انظر فتح الباري (٩٢/١٣) . ذكره الحافظ عن يحيى بن سليمان الجعفي أحد شيوخ البخاري في كتاب صفين في تأليفه بسند جيد عن أبي مسلم الخولاني .

(٢) مجمع الزوائد (٢٣٦/٧) . وقال الهيثمي : رواه البزار ورجاله ثقات ، وقال الحافظ في الفتح (٩٢/١٣) : " وقد أخرج البزار بسند جيد " وذكره .

وهذا الحديث له حكم الرفع ؛ لأن فيه إخباراً عن الغيب من صحابي لا يعرف عنه الأخذ عن أهل الكتاب ، بل هو المختص في أمر الفتن من بين الصحابة . وانظر بيعة علي (ص ٨٧) .

(٣) انظر فتح الباري (٩٢/١٣) .

ويمتنع معاوية ﷺ من الدخول في الطاعة للمرة الثانية ، وكان لا بد من اللجوء إلى الكي -آخر الدواء- ؛ لإعادة أهل الشام إلى الجادة .

عزم **عمار** ﷺ على مرافقة علي ومساندته ضد أهل الشام ، ويسير مع جيشه من العراق ، يحدوه قول الله تعالى : ﴿ **فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله** ﴾(١) ويقف مع نفسه لحظات يناجي فيها ربه ، ويستلهم منه هداية إلى الرشد وتوفيقاً للسداد ، فإنه وإن استنفذ جهده في تحري طريق الجادة ، إلا أنه بقي مشفقاً من مكر الله به ، خائفاً من ضلال سعيه مع ظنه أنه يحسن صنعاً .

أخرج ابن سعد في طبقاته عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن **عمار بن ياسر** أنه قال وهو يسير إلى صفين على شط الفرات :

" اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن أرمي بنفسي من هذا الجبل فأتردى ، فأسقط ، فعلت . ولو أعلم أنه أرضى لك عني أن أوقد ناراً عظيمة ، فأقع فيها فعلت . اللهم لو أعلم أنه أرضى لك عني أن ألقي نفسي في الماء فأُغرق نفسي فعلت ، فإني لا أقاتل إلا وأنا أريد وجهك ، وأنا أرجو أن لا تخيبني وأنا أريد وجهك "(٢) .

كلمات تقطر رجاءً ، وإشفاقاً ، وخشيةً ، لا تشبع قارئها من تأمل

---

(١) سورة الحجرات : الآية (٩) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/١٩٥) ، وانظر الكامل (٣/١٨٦) .

فيها ، وتفيؤ لظلالها ، وكأنها حداء خالد يترنم به كل من رام هداية إلى الرشاد .

وينزل الجيش بصفين ، وتجري بين الفريقين مراسلات عدة[١] ، ينشد منها الفيء إلى الحق الذي تُحقن به الدماء ، لكن قدر ا لله تعالى كان قد سبق ، وسنته في أمة قتلت خليفتها لا بد أن تجري لا محالة .

عن عبد ا لله بن سلام أنه قال حين هاج الناس في أمر عثمان :

" يا أيها الناس لا تقتلوا هذا الشيخ واستعتبوه ، فإنه لن تقتل أمة نبيها فيصلح أمرهم حتى يهراق دماء سبعين ألفاً منهم ، ولن تقتل أمة خليفتها فيصلح أمرهم حتى يهراق دماء أربعين ألفاً منهم "[٢] .

دار القتال بين الفريقين أياماً أظهر عمار رضي الله عنه خلالها ضروباً من الشجاعة تحكي صولات الأسود ، وكان موقفه ثابتاً واضحاً لم تخالطه الأهواء ، ولم تزعزعه رهبة الأجواء . كان يهتف بقوة : " من سرّه أن يكتنفه الحور العين ، فليتقدم بين الصفين محتسباً "[٣] .

---

(١) انظر : البداية والنهاية (٧/٢٦٨-٢٧٢) . وممن تولى أمرها عبيدة السلماني وعلقمة بن قيس وعامر بن عبد قيس وعبد ا لله بن عتبة بن مسعود وأبو الدرداء وأبو أمامة .

(٢) مجمع الزوائد (٧/٢٤٦) وقال الهيثمي : " رواه الطبراني من طريقين وجال هذه رجال الصحيح " .

(٣) فتح الباري (١٣/٩٢) . قال الحافظ : " أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح عن أبي الرضا ، قال : سمعت عماراً يوم صفين يقول .. " وذكره .

ويعلن بصراحة لا هوادة فيها : " لقد قاتلت بهذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، وهذه الرابعة . والذي نفسي بيده ، لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحق ، وهم على الضلالة "(١) .

وتحين الفرصة ليصرح عمار رضي الله عنه برأيه الذي انبثقت عنه مواقفه كلها ، كان في غمرة القتال وقتذاك ، وكان ذهنه مشتغلاً في الرؤوس المتطايرة ؛ في الأوصال والدماء ، والجراح والأشلاء. ومع ذلك كله فهو لم يزل متذكراً لباعثه على القتال ، ولم يزل يحفظ موقفه ممن يقاتل:

عن زياد بن الحارث :

" كنت إلى جنب عمار ، فقال رجل : كفر أهل الشام ، فقال عمار : لا تقولوا ذلك ، نبينا واحد ، ولكنهم قوم حادوا عن الحق ، فحق علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا "(٢) .

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٢٤٣) عن عبد الله بن سلمة ، قال : " رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن سلمة ، وهو ثقة " . إلا أن الطبراني قال : " لقد قاتلت صاحب هذه مع رسول الله ﷺ وهذه الرابعة " .

(٢) انظر فتح الباري (١٣/٩٢) نقلاً عن مصنف ابن أبي شيبة .

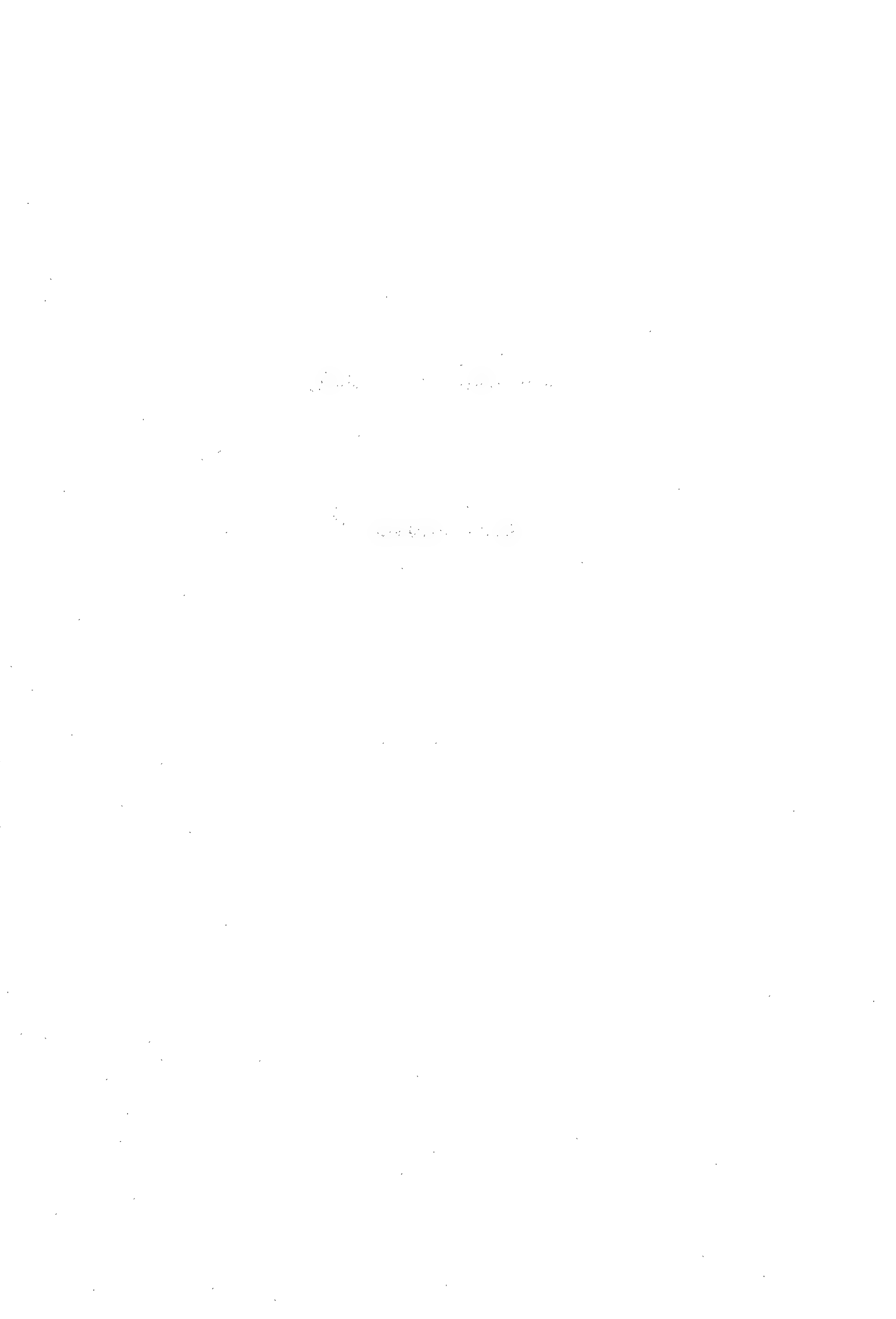
وانظر : مصنف ابن أبي شيبة (١٥/٢٩٠) قال : " حدثنا يزيد بن هارون عن الحسن ابن الحكم عن زياد بن الحارث ، قال : كنت إلى جنب عمار بن ياسر بصفين ، وركبتي تمس ركبته ، فقال رجل : كفر أهل الشام ، فقال عمار : لا تقولوا ذلك ، =

ويظل ﷺ يقاتل مع الرجالة تارة وتارة مع الفرسان ، تملأ هتافاته أرجاء الميدان ، وتظل الأمة تنتظر مصرعه ؛ لترجح كفةُ الحق في الميزان ، ثم لا تلبث حتى يطرق مسامعها قتل **عمار بن ياسر** ، قتلته الفئة الباغية .

= نبينا ونبيهم واحد ، وقبلتنا وقبلتهم واحد ، ولكنهم قوم مفتونون جاروا عن الحق فحق علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا إليه " .

المبحث الثالث

استشهاده



المبحث الثالث

استشهاده

في سنة سبع وثلاثين ، وفي صفر من هذه السنة ، وبعد نيّف وخمسين عاماً أمضاها في خدمة هذا الدين ، كان عمار ﷺ وأرضاه على موعد مع ربه .

نصف قرن من العطاء ، أشعل لدى الجنة الاشتياق ، وكان لا بد من النهاية .

كنا قد قررنا ونحن نتكلم عن شجاعة عمار ﷺ أنها استمرت معه حتى آخر رمق ، ولسنا مبالغين ، بل نملك على قولنا البراهين :

لم أكن أظنّ أن عماراً جاوز التسعين يوم أن شهد صفين ، إذ الجلد الذي أظهره يومئذ لم يكن ليملكه فتى الثلاثين .

برز عمرو بن يثربي في ذلك اليوم - بعد أن أرهق جيش علي ﷺ يوم الجمل - وهو يريد أن يعيد أمجاده في تلك الموقعة ، كان قد قتل يوم الجمل علباء بن الهيثم السدوسي، وهند بن عمرو الجملي ، وزيد بن صوحان ، وكانوا خيار أصحاب علي ، وأخذ يصول في أرض المعركة ويجول وهو يقول :

أنا لمن أنكرني ابن يثربي قاتل علباء وهند الجملي

وابن صوحان على دين علي

ثقة بالنفس زائدة ، لم يكن ليملكها لو قدر له أن يلتقي مع عمار . ويجمعهما القدر . . .

يقول الراوي : " فبرز له عمار - وهو ابن تسعين - على فروة مشدودة الوسط بشريط ، حمائل سيفه نسعة[١] .

ونترك رواية ابن عساكر قليلاً ؛ لنرى ماذا يحدثنا الطبري فيما كتبه إليه السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن داود بن أبي هند ، عن شيخ من بني ضبّة :

" .. قال : فبرز له عمار بن ياسر وإنه لأضعف من بارزه ، وإن الناس ليسترجعون حين قام عمار ، وأنا أقول لعمار من ضعفه : هذا والله لاحق بأصحابه ، وكان قضيفاً[٢] ، حَمْش الساقين ، وعليه سيف حمائله تشف عنه قريب من إبطه ، فيضربه ابن يثربي ، فينشب في

---

(١) " نسعة : النسع سير يضفر على هيئة أعنة النعال ، تشد به الرحال ، والجمع أنساع ، والقطعة منه : نسعة " . لسان العرب (١٤/١٢٤) .

(٢) " قضيف : أي نحيف " . مختار الصحاح (ص ٥٤٠) .

حجفته[١] ، وضربه عمار وأوهطه[٢] ، ورمى أصحاب علي ابن يثربي بالحجارة حتى أثخنوه وارتثوه[٣] "[٤] .

ونعود إلى رواية ابن عساكر ، حيث يقول الراوي :

" .. فأخذه أسيراً ، فأتى به علياً عليه السلام ، فقال ابن يثربي : أدني منك – وهو يريد أن يثب عليه – فقال : لا ، ولكن أقتلك صبراً بالثلاثة الذين قتلتهم على ديني "[٥] .

وعندما تسمع أن الأبطال يتسمون للأهوال فلا تتعجب ، وصدِّق المخبر إذا عرفت هوية من يتحدِّث عنه .

فلقد حاوز عمار هذا المعنى وأضاف إليه الجديد ، إذ الأهوال قد تنجلي عن سلامة ، وتنتهي بالظفر . لكن الأمر يختلف عند تيقن لقي الحتف ، حيث يعز الثبات إلا على عظماء الأبطال .

---

(١) " يقال للترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب : حجفة " مختار الصحاح (ص ١٢٤) .

(٢) " أوهطه : أثخنه وأوقعه فيما يكره ، أو صرعه صرعة لا يقوم ، أو قتله " القاموس المحيط (ص ٨٩٥) .

(٣) " ارتث فلان على ما لم يسمى فاعله : حمل من المعركة " مختار الصحاح (ص ٢٣٣) .

(٤) تاريخ الطبري (٢/٥٧٦) .

(٥) تاريخ دمشق (٤٣/٤٦٤-٤٦٥) بتصرف .

ولو وقف عمار عند الثبات لما كان في الأمر جديد ، لكن حاله فاقت الثبات وتعدت إلى الابتسام ، وكأن الترويح عن قلبه يكمن في ملاقاة منيته .

أخرج ابن سعد في طبقاته ، وابن عساكر في تاريخه ، من طريق سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري : قال :

" أتى عمار يومئذ - أي يوم صفين - بلبن فضحك . فقيل له : وما يضحكك ؟. قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن آخر شراب تشربه لبنٌ حتى تموت)[1] .

ويشرب غير مبالٍ، ثم يعلن التحدي والثبات إعلاناً يرتعد له الجبان:

" .. والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا أن مصلحينا على الحق وأنهم على الباطل "[2] .

ويهتف اللسان مصدقاً الجنان :

" .. الجنة الجنة تحت الأسنة ، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه .. " .

" .. أزلفت الجنان وزوجت الحور العين، اليوم نلقى حبيبنا محمداً.. ".

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/١٩٥) ، تاريخ دمشق (٤٣/٤٦٧) . وانظر : مسند أبي يعلى (٣/١٨٥)

(٢) الاستيعاب (٣/١١٣٩-١١٤٠) .

" .. من رائح إلى الله ، الظمآن يرد الماء ، الجنة تحت أطراف العوالي ، اليوم ألقى الأحبة محمد وحزبه " .

" .. يا عباد الله روحوا إلى الجنة ، يا عباد الله روحوا إلى الجنة ، يا عباد الله روحوا إلى الجنة ، الجنة تحت ظلال الأسل "[١] .

ثم يتقدم ..

قال أبو الغادية الجهني[٢] وهو يحدث عن قتله لعمار : " فلما كان

---

١) انظر : تاريخ دمشق (٤٣/٤٦٥،٤٦٩،٤٤٠) .

٢) قال ابن عبد البر في الاستيعاب (٤/١٧٢٥) : " أبو الغادية الجهني ، وجهينة من قضاعة، اختلف في اسمه ، فقيل : يسار بن سبُع ، وقيل يسار بن أزهر ، وقيل : اسمه مسلم ، سكن الشام ونزل في واسط ، يعد من الشاميين ، أدرك النبي ﷺ **وهو غلام** (أي أنه لم يشهد بيعة الرضوان) ، روي عنه أنه قال : أدركت النبي ﷺ وأنا أيفع أرد على أهلي الغنم ، وله سماع من النبي ﷺ قوله ﷺ : (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) . وكان محباً في عثمان ، وهو قاتل عمار بن ياسر . وكان إذا استأذن على معاوية وغيره يقول : قاتل عمار بالباب ، وكان يصف قتله إذا سئل عنه لا يباليه . وفي قصته عجب عند أهل العلم ، روى عن النبي ﷺ ما ذكرنا أنه سمعه منه ، ثم قتل عماراً ، وروى عنه كلثوم بن جبر " . ثم قال (أي ابن عبد البر) في أبي الغادية المزني: " وليس هذا صاحب عمار ؛ لأن ذلك جهني ، قاله الباوردي " .

وقال ابن حجر في الإصابة (٧/٢٥٩) في ترجمة أبي الغادية الجهني : " قال الحاكم ، وهو قاتل عمار " . وقال في (٧/٢٥٨) " وعن ابن معين : أبو الغادية الجهني قاتل عمار له صحبة ، وفرق بينه وبين أبي الغادية المزني " .

يوم صفين ، أقبل يستن أول الكتيبة رَجلاً ، حتى إذا كان بين الصفين ، فأبصر رجلٌ عورة ، فطعنه في ركبته بالرمح فعثر ، فانكشف المغفر عنه ، فضربته فإذا رأس عمار . قال كلثوم بن جبر : فلم أر رجلاً أبين ضلالة عندي منه ، إنه سمع من النبي عليه السلام ماسمع[1] ، ثم قتل عماراً ، قال : واستسقى أبو غادية ، فأُتي بماء في زجاج ، فأبى أن يشرب فيها ، فأُتي بماء في قدح فشرب ، فقال رجل على رأس الأمير بالنبطية : أوى يد كفتا .. يتورع عن الشراب في الزجاج ، و لم يتورع عن قتل عمار "[2] .

ويخبر عمرو بن العاص ﷺ الخبر ، فيقول : " سمعت رسول الله ﷺ يقول : (قاتل عمار وسالبه في النار) "[3] .

= وقال ابن كثير في البداية والنهاية (٦/ ٢٢٠) : " ومعلوم أن عماراً كان في جيش علي يوم صفين ، وقتله أصحاب معاوية من أهل الشام ، وكان الذي تولى قتله يقال له أبو الغادية ، **رجل من أفناد الناس ، وقيل إنه صحابي** " .

(١) يقصد قوله ﷺ : (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/١٩٦) .

(٣) المستدرك على الصحيحين (٣/٤٣٧) ، قال الحاكم : وتفرد به عبد الرحمن بن المبارك ، وهو ثقة مأمون ، عن معتمر ، عن أبيه ، فإن كان محفوظاً ، فإنه صحيح على شرط الشيخين ، و لم يخرجاه . وإنما رواه الناس عن معتمر عن ليث عن مجاهد . ووافقه الذهبي. وانظر : المسند (٩/١٩٨) ، والمطالب العالية (١٠/٦١) ، والسلسلة الصحيحة (٥/١٨-١٩) ، والطبقات الكبرى (٣/١٩٧) . =

سقط البطل صريعاً ، وخلّف وراءه قلوباً منكسرة حزينه . لقد بكته الأمة ، بكت رجلها في محنتها ، بكت ميزانها في فتنتها ، بكت إيماناً كان يدرج على تربتها .

وتبكيه العيون كما بكته القلوب ، وينطلق البيان معبراً :

- قال ابن حجر في الإصابة بعد ترجمة أبي الغادية الجهني (٧/٢٦٠) : " والظن بالصحابة في تلك الحروب أنهم كانوا متأولين للمجتهد المخطئ أجر ، وإذا ثبت هذا في حق آحاد الناس فثبوته للصحابة بالطريق الأولى " .

وقال الذهبي في تاريخ الإسلام – عهد الخلفاء الراشدين – (ص ٦٥٤) : " وابن ملجم عند الروافض أشقى الخلق في الآخرة ، وهو عندنا أهل السنة ممن نرجوا له النار ، ونجوز أن الله يتجاوز عنه ، لا كما يقول الخوارج والروافض، وحكمه حكم قاتل عثمان ، وقاتل الزبير ، وقاتل طلحة ، وقاتل سعيد بن جبير ، وقاتل عمار ، وقاتل خارجة ، وقاتل الحسين ، فكل هؤلاء نبرأ منهم ونبغضهم في الله ، ونكل أمورهم إلى الله عز وجل " .

وقال الألباني في السلسلة الصحيحة معلقاً على قول ابن حجر السابق (١٩/٥) : " وأقول : هذا حق ، لكن تطبيقه على كل فرد من أفرادهم مشكل ؛ لأنه يلزم تناقض القاعدة المذكورة بمثل حديث الترجمة ، أي (قاتل عمار وسالبه في النار) ، إذ لا يمكن القول بأن أبا غادية القاتل لعمار مأجور ؛ لأنه قتله مجتهداً ، ورسول الله ﷺ يقول : (قاتل عمار في النار) ، فالصواب أن يقال : إن القاعدة صحيحة ، إلا ما دل الدليل القاطع على خلافها ، فيستثنى ذلك منها كما هو الشأن هنا ، وهذا خير من ضرب الحديث الصحيح بها . والله أعلم " .

يا للرجال لعين ودمعها جاري قد هاج حزني أبو اليقظان عمارُ

أهوى إليه أبو حوّا فوارسه يدعو السكون وللجيشين إعصارُ

فاختل صدر أبي اليقظان معترضاً للرمح قد وجبت فينا له النارُ

ا لله عن جمعهم لا شك كان عفا أتت بذلك آيات وآثارُ

من ينزع ا لله غلاً في صدورهم على الأسرة لم تمسسهم النار

قال النبي له تقتلك شرذمة سبطت لحومهم بالبغي فجارُ

فاليوم يعرف أهل الشام أنهم أصحاب تلك وفيها النار والعارُ[(١)]

أخرج ابن سعد قال : أخبرنا عبد ا لله بن أشعث بن سوار ، عن أبي إسحاق : " أن علياً صلى على **عمار بن ياسر** وهاشم بن عتبة رضي ا لله عنهما ، فجعل **عماراً** مما يليه ، وهاشماً أمام ذلك ، وكبر عليهما تكبيراً واحداً ، خمساً أو ستاً أو سبعاً " ، والشك في ذلك من أشعث[(٢)] .

قال ابن عمر : " والذي أُجمع عليه في **عمار** أنه قتل مع علي بن أبي طالب رضي ا لله عنهما بصفين في صفر سنة سبع وثلاثين وهو ابن ثلاث

---

(١) هامش كتاب الإمام علي بن أبي طالب كرم ا لله وجه رابع الخلفاء الراشدين (ص ٢٠٠) . والأبيات للحجاج بن عربة الأنصاري في رثاء عمار .

(٢) الطبقات الكبرى (١٩٨/٣) .

وتسعين سنة ، ودفن هناك بصفين "(١) .

أخرج ابن سعد قال : " أخبرنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن عمرو بن مرة ، عن أبي وائل ، قال : رأى عمر ابن شرحبيل أبو ميسرة ، وكان من أفاضل أصحاب عبد الله في المنام ، قال : رأيت كأني أُدخلت الجنة فإذا قباب مضروبة ، فقلت : لمن هذه ؟ قالوا : لذي الكلاع وحوشب - وكانا ممن قتل مع معاوية - ، قال : قلت : فأين **عمار** وأصحابه ؟ قالوا : أمامك ، قال : قلت : وقد قتل بعضهم بعضاً ، قيل : إنهم لقوا الله فوجدوه واسع المغفرة " (٢) .

" رحم الله **عماراً** يوم أسلم ، ورحم الله **عماراً** يوم قتل ، ورحم الله **عماراً** يوم يبعث حياً ، لقد رأيت **عماراً** وما يذكر من أصحاب رسول الله ﷺ أربعة إلا كان رابعاً ، ولا خمسة إلا كان خامساً ، وما كان أحد من قدماء أصحاب رسول الله يشك أن **عماراً** وجبت له الجنة في غير موطن ولا اثنين ، فهنيئاً **لعمار** بالجنة ، ولقد قيل : إن **عماراً** مع الحق ، والحق معه ، يدور **عمار** مع الحق أينما دار ، وقاتل **عمار** في النار "(٣) .

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٣/٤٣٦) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/١٤٠) .

(٣) الطبقات الكبرى (٣/١٩٢) . مما قاله علي بن أبي طالب عند استشهاد عمار .



المبحث الرابع
تحقيقات

وفيه مطالب :

المطلب الأول : (عمار تقتله الفئة الباغية) .

المطلب الثاني : (يزول مع الحق حيث زال) .

المطلب الثالث : (إنما قتله من جاء به) .

المطلب الرابع : (القاعد فيها خير من القائم) .

المطلب الأول

(عمار تقتله الفئة الباغية)

● درجة الحديث :

أخرج البخاري عن عكرمة قال : " قال لي ابن عباس ولابنه علي : انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا حديثه ، فانطلقنا ، فإذا هو في حائط يصلحه ، فأخذ رداءه فاحتبى ، ثم أنشأ يحدثنا ، حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال : كنا نحمل لبنة لبنة ، وعمار لبنتين لبنتين ، فرآه النبي ﷺ ، فينفض التراب عنه ويقول : (ويح عمار ، تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار) ، قال : يقول عمار: أعوذ با لله من الفتن "[1].

قال الحافظ رحمه ا لله تعالى : روى حديث : " تقتل عماراً الفئة الباغية جماعة من الصحابة منهم : [أبو][2] قتادة بن النعمان – كما تقدم – ، وأم سلمة عند مسلم[3] ، وأبو هريرة عند الترمذي[4] ،

---

(١) أخرجه البخاري في : باب التعاون على بناء المسجد رقم (٦٣) حديث رقم (٤٤٧) . وأخرج مسلم نحوه برقم (٢٩١٥) .

(٢) ما بين المعكوفتين من تصويبي ، فإن ابن حجر قال : " قتادة بن النعمان " .

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٩١٦) .

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٣٨٠٠) وقال : " هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث العلاء بن عبد الرحمن .

وعبد ا لله بن عمرو بن العاص عند النسائي ، وعثمان بن عفان وحذيفة وأبو أيوب ، وأبو رافع ، وخزيمة بن ثابت ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص، وأبو اليسر ، وعمار نفسه ، وكلها عند الطبراني وغيره ، وغالب طرقها صحيحة أو حسنة ، وفيه عن جماعة آخرين يطول عدهم[١] .

ويقول الإمام ابن عبد البر رحمه ا لله : " تواترت الآثار عن النبي ﷺ أنه قال : (تقتل عماراً الفئة الباغية) ، وهذا من إخباره بالغيب وأعلام نبوته ﷺ ، وهو من أصح الأحاديث[٢] .

وقال الذهبي رحمه ا لله بعد ما ذكر الحديث : " وفي الباب عن عدة من الصحابة ، فهو متواتر "[٣] .

- **فهم العلماء له :**

وبعد ..

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بما ورد عن ا لله ورسوله على مراد ا لله ورسوله ، ودلالة هذا الحديث ظاهرة لا خفاء فيها ، ومحاولة إخراجه عن ظاهره ضرب من التكلف لا يحتمله الحديث ، ولننظر كيف فهم علماؤنا هذا الحديث من خلال الأقوال التالية :

---

(١) فتح الباري (١٣/٦٤٦) .

(٢) الاستيعاب (٣/١١٤٠) .

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٤٢١) .

يقول الإمام ابن حجر : " وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، وفضيلة ظاهرة لعلي وعمار ، وردٌّ على النواصب الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه "(١) .

وقال أيضاً : " دل حديث (تقتل عماراً الفئة الباغية) على أن علياً كان المصيب في تلك الحروب ؛ لأن أصحاب معاوية قتلوه "(٢) .

---

(١) فتح الباري (٦٤٦/١) .

" والنصب سبع مراتب :

١ – أكثرها غلواً وأشدها بدعةً هم من يكفّرون علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

٢ – هم من يفسق علياً ويزعم أنه ظالم ، وأنه ليس من الخلفاء الراشدين .

٣ – من يلعن علياً ويشتمه ويسبه .

٤ – من يزعم أنه لم يكن مصيباً في حروبه ، وأنه قاتل للملك والدنيا وللرياسة .

٥ – من يجوز أن يكون غير علي أحق من علي ، وأولى بالحق منه .

٦ – من شك في أنه ربما لا يكون على الحق ، فهو متوقف شاك في حروب علي رضي الله عنه .

٧ – من وجد في كلامه تنقص أو انحراف يسير عن علي فعله باجتهاد أو غفلة أو تأويل.

وهذه الأخيرة قد توجد في بعض العلماء من فقهاء ومحدثين وزهاد ، مثلما يوجد يسير التشيع في أمثال هؤلاء " هامش البرهان الجلي في دفاع ابن تيمية عن خلافة علي (ص ١٦) .

(٢) فتح الباري (٩٢/١٣) .

ويقول الإمام النووي " وكانت الصحابة يوم صفين يتبعونه حيث توجه لعلمهم بأنه مع الفئة العادلة لهذا الحديث "[١] .

ويقول الإمام ابن كثير : " كان علي وأصحابه أدنى الطائفتين إلى الحق من أصحاب معاوية ، وأصحاب معاوية كانوا باغين عليهم ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ، قال : حدثني من هو خير مني - يعني أبا قتادة - : " أن رسول الله ﷺ قال لعمار : (تقتلك الفئة الباغية) "[٢] .

وقال أيضاً : " وهذا مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنهما مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، قتله أهل الشام ، وبان وظهر بذلك سر ما أخبر به الرسول ﷺ من أنه تقتله الفئة الباغية ، وبان بذلك أن علياً محق ، وأن معاوية باغ ، وما في ذلك من دلائل النبوة "[٣].

ويقول الذهبي : " هم طائفة من المؤمنين ، بغت على الإمام علي ، وذلك بنص قول المصطفى صلوات الله عليه لعمار : (تقتلك الفئة الباغية) "[٤].

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات (٢/٣٨) .

(٢) البداية والنهاية (٦/٢٢٠) .

(٣) المصدر نفسه (٧/٢٧٧) .

(٤) سير أعلام النبلاء (٨/٢٠٩) .

ويقول القاضي أبو بكر بن العربي في قوله تعالى : ﴿ **وإن طائفتان** ﴾ : هذه الآية أصل في قتال المسلمين ، والعمدة في حرب المتأولين ، وعليها عوَّل الصحابة ، وإليها لجأ الأعيان من هذه الملة ، وإياها عنى النبي ﷺ بقوله : (تقتل **عماراً** الفئة الباغية)(١) .

وروعة الفهم لمعنى هذا الحديث يمثلها قول الإمام أحمد كما أورده شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال : قال يعقوب بن شيبة في مسنده في المكيين في مسند **عمار بن ياسر** لما ذكر أخبار **عمار** : " سمعت أحمد بن حنبل سئل عن حديث النبي ﷺ في **عمار** : (تقتلك الفئة الباغية) ، فقال أحمد : قتلته الفئة الباغية كما قال النبي ﷺ ، وقال : في هذا غير حديث صحيح عن النبي ﷺ ، وكره أن يتكلم في هذا بأكثر من هذا "(٢) .

" وبوب الإمام النسائي في كتابه خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ص ١٦٧) : (باب الترغيب في نصرة علي) ، وساق بأسانيد كثيرة حديث **عمار** : (تقتله الفئة الباغية) ، وهذا التبويب منه رحمه الله يدل على الفهم الذي فهمه من الحديث(٣) .

---

(١) أحكام القرآن (١٧١٧/٤) .

(٢) منهاج السنة (٤١٤/٤) .

(٣) بيعة علي (ص ٢١١) .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : " وهذا أيضاً يدل على صحة إمامة علي ، ووجوب طاعته ، وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة ، والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار - وإن كان متأولاً - وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي ، وعلى هذا فمقاتله مخطئ - وإن كان متأولاً - أو باغ - بلا تأويل - ، وهو أصح القولين لأصحابنا ، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً ، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين "[١] .وقال أيضاً : " مع أن علياً أولى بالحق ممن فارقه ، ومع أن **عماراً** قتلته الفئة الباغية - كما جاءت به النصوص - فعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ، ونقر بالحق كله ، ولا يكون لنا هوى ، ولا نتكلم بغير علم ، بل نسلك سبل العلم والعدل ، وذلك هو اتباع الكتاب والسنة ، فأما من تمسك ببعض الحق دون بعض ، فهذا منشأ الفرقة والاختلاف "[٢] .

ويقول الإمام الشوكاني : " وهذا يتوقف على صحة نيات جميع المقتتلين في الجمل وصفين ، وإرادة كل واحد منهم الدين لا الدنيا ، وصلاح أحوال الناس ، لا مجرد الملك ومناقشة بعضهم لبعض مع علم

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٣٧) .

(٢) نفسه (٤/٤٤٩-٤٥٠) .

بعضهم بأنه المبطل وخصمه المحق ، ويبعد ذلك كل البعد، ولا سيما في حق من عَرف منهم الحديث الصحيح أنها تقتل عماراً الفئة الباغية ، فإن إصراره بعد ذلك على مقاتلة من كان معه عمار معاندة للحق ، وتماد في الباطل ، كما لا يخفى على منصف ، وليس هذا منا محبة لفتح باب المثالب على بعض الصحابة ، فإنا كما علم الله من أشد الساعين في سد هذا الباب ، والمنفرين للخاص والعام عن الدخول فيه "(١) .

ويقول المناوي : " (عمار تقتله الفئة الباغية) ، أي الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام الحق ، وزاد الطبراني في رواية (الناكثة عن الحق) . والمراد بهذه الفئة فئة معاوية ، كما جاء موضحاً في رواية الطبراني وغيره، وهذا من معجزاته ؛ لأنه إخبار عن غيب، وقد وقع "(٢).

وقال الحسن القمي النيسابوري : " واتفقوا على أن معاوية ومن تابعه كانوا باغين للحديث المشهور: (إن عماراً تقتله الفئة الباغية)"(٣) .

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز : " وقال ﷺ في حديث عمار : (تقتل عماراً الفئة الباغية) فقتله معاوية وأصحابه في وقعة صفين ،

---

(١) نيل الأوطار (٧/٢٠٠) .

(٢) فيض القدير (٤/٣٥٩) .

(٣) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان في هامش جامع البيان في تفسير القرآن (٢٦/٨٥) .

فمعاوية وأصحابه بغاة ، لكن مجتهدون ظنوا أنهم مصيبون في المطالبة بدم عثمان "[١] .

● **ما يعضد هذا الفهم من النصوص :**

وهذا الفهم الذي فهمه أئمتنا للحديث ، والذي انطلق من المعنى الظاهر الواضح له، عضدته نصوص شرعية أخرى تمنع من التباسه على سامعه ، وتعصمه من الانحراف إلى غيره ، وهذه بعضها :

أولاً – ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري ، عن النبي ﷺ ، قال : (تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق)[٢].

---

(١) بيعة علي بن أبي طالب (ص ٢٣٧) نقلاً عن فتاوى ومقالات متنوعة (٦/٨٧) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة رقم (١٠٦٤) .

" لا يجوز أن نقول إن علياً ومعاوية رضي الله عنهما على حق ، ولكن علياً أقرب إليه ، فهذا غلط محض . إذ الصواب أن معاوية مخطئ وباغ وإن كان متأولاً ، والحق كله مع علي في قتاله لأهل الجمل والشام والخوارج ، ولم يشك أئمة السنة وعلماؤهم في ذلك ، وكلمة (أولى) لا تدل على تعلق الطائفتين بالحق ؛ لأن كلمة أولى قد وردت في الخوارج أيضاً في أحاديث صحيحة أن (من قاتلهم كان أولى بالله منهم) و (أولى الطائفتين بالحق) لا يدل على التقارب ، عرفنا ذلك من حديث عمار في الصحيحين، فإن فيه : (يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار) ، ولا يشك عاقل أن هناك فرقاً كبيراً بين الحالتين ". هامش البرهان الجلي في دفاع ابن تيمية عن خلافة علي (ص ٥٢).

ثانياً – روى البزار[١] ، والطبراني[٢] ، والحاكم[٣] ، وابن عدي[٤] ، والخطيب[٥] ، وابن عساكر بأسانيد كثيرة[٦] ، عن علي ، وأبي أيوب ، وأم سلمة ، وغيرهم حديث أن النبي ﷺ أمر علياً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، وبمجموع هذه الطرق يرتقي الحديث إلى درجة الصحة أو الحسن على الأقل . قال الحافظ في تلخيص الحبير : " ثبت أن أهل الجمل وصفين والنهروان بغاة ، هو كما قال، ويدل عليه حديث علي : " أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين " ، الناكثين ؛ لأنهم نكثوا البيعة ، والقاسطين – أهل الشام – ، لأنهم جاروا على الحق في عدم مبايعته ، والمارقين – أهل

---

(١) مسند البزار (٢/٦٠٤) .

(٢) الطبراني في الكبير (١٠/١٠٠٥٣،١٠٠٥٤) (٤/٤٠٤٩) .

(٣) الحاكم في المستدرك (٣/١٥٠) .

(٤) الكامل لابن عدي (٢/٦٠٦-٦٠٧) بنحوه .

(٥) ذكره صاحب زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة (٦/٤٠١-٤٠٤) وقال بعد تخريجه: " الحديث بمجموع هذه الطرق والشواهد يصح إن شاء الله " . وقال الهيثمي في المجمع (٧/٢٣٨) : " رواه البزار والطبراني في الأوسط ، وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح ، غير الربيع بن سعيد ووثقه ابن حبان " .

(٦) تاريخ دمشق (٤٢/٤٦٨) . وانظر : كنز العمال (١٣/١١٠،١١٢-١١٣) .

القيروان – ؛ لثبوت الخبر الصحيح فيهم : (أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) "[١] .

ثالثاً – أخرج الإمام أحمد[٢] والحاكم[٣] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: " قال رسول الله ﷺ : (إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن ، كما قاتلت على تنزيله) فاستشرف لها القوم – وفيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما – ، قال أبو بكر : أنا هو ؟ ، قال : (لا)، قال عمر : أنا هو ؟ قال : (لا)، ولكن خاصف النعل –يعني علياً– . . . " الحديث .

" وهذا الحديث فيه بشارة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بأنه على الحق في قتاله للخارجين عليه من الخوارج والبغاة ، الذين تأولوا آيات القرآن الكريم ، وزعموا أنها أدلة تبيح لهم الخروج على ولي الأمر ، مثل تأويل الخوارج لآية : ﴿ **إن الحكم**

(١) تلخيص الحبير (٥١/٤) .

(٢) مسند الإمام أحمد (٣٣/٣) .

(٣) المستدرك على الصحيحين (١٣٢/٣) قال الحاكم : " هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه " ووافقه الذهبي ، كما قال المحقق.

وانظر : مسند أبي يعلى الموصلي (٣٤١/٢-٣٤٢) . ومجمع الزوائد (١٣٣/٩) . والسلسلة الصحيحة (٦٣٩/٥) رقم (٢٤٨٧) . ومسند البزار (١١٨/٣).

إلا لله ﴾[١] ، وتأويل البغاة – أهل الشام – لآية : ﴿ **ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً** ﴾[٢] "[٣] .

رابعاً – ما روي عن عمرو بن العاص ، قال :

" سمعت رسول الله ﷺ يقول : (قاتل **عمار** وسالبه في النار) "[٤].

" وهذا الإسناد صحيح ، ورجاله ثقات من رجال مسلم ، وهذا ظاهر الدلالة على صحة إمامة علي ، وتحريم مقاتلته ؛ لأن قاتل **عمار** لم يقطع عليه النبي ﷺ بالنار إلا و**عمار** مصيب وقاتله مخطئ، وصواب **عمار** دليل على صواب وصحة إمامة من يقاتل معه ، وهذا من دلائل النبوة ، وأوضح الدلالات على صحة بيعة علي وإمامته وصوابه في تلك الحروب تبعاً لصحة الخلافة وشرعيتها "[٥] .

خامساً – أخرج البزار في مسنده بسند جيد ، عن زيد بن وهب ، قال :

" كنا عند حذيفة فقال : كيف أنتم وقد خرج أهل دينكم يضرب

---

(١) سورة يوسف : الآية (٤٠) .

(٢) سورة الإسراء : الآية (٣٣) .

(٣) بيعة علي بن أبي طالب (ص ٨٠) .

(٤) سبق تخريجه (ص ١٨٦) .

(٥) بيعة علي بن أبي طالب (ص ٨٥) .

بعضهم وجوه بعض بالسيف ! قالوا : فماذا تأمرنا ؟ ، قال : انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي ، فالزموها ، فإنها على الحق "(١) .

وقد ذكرنا أن هذا الأثر له حكم الرفع ، ويؤيده ما ذكره الهيثمي عن أبي سعيد الخدري قال :

" كنا عند بيت النبي ﷺ في نفر من المهاجرين والأنصار فقال : (ألا أخبركم بخياركم) ؟ قالوا : بلى ، قال : (الموفون المطيبون ، إن الله يحب الخفي ، التقي) . قال : ومر علي بن أبي طالب فقال: (الحق مع ذا ، الحق مع ذا) "(٢) .

فهذه النصوص كلها تسير في مسار حديث (تقتله الفئة الباغية) ، ولا يمكن بعدها الالتفات إلى أي تأويل يخرج عن المعنى الذي أرادته ، لا سيما وأن ما ختم به يقطع كل حجة ، كيف لا ؟ وقد جعل النبي ﷺ دعوة عمار إلى طاعة علي رضي الله عنه والقتال معه دعوة إلى الجنة ، ودعوة غيره إلى خلاف ذلك دعوة إلى النار . قال ابن حجر : " فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها وهو طاعة الإمام ، وكذلك كان عمار يدعوهم

---

(١) فتح الباري (١٣/٩٢) وقد جود الحافظ إسناده .

(٢) مجمع الزوائد (٧/٢٣٤-٢٣٥) . قال الهيثمي : " رواه أبو يعلى ورجاله ثقات " .

إلى طاعة علي وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك ، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم "[١] .

• فهم الصحابة للحديث من خلال مواقفهم :

لكن الذي يمكن أن يستوحى ابتداء من تواتر هذا الحديث وانتشاره على نطاق واسع بين صحابة النبي ﷺ أن النبي ﷺ أراد من اتكائه على هذا المعنى ترسيخ مفهوم عام بين أصحابه يعصمهم فيه مما علمه واقعاً بينهم ، ويدعوهم فيه لنصرة الحق الذي تحمله الفئة العادلة ، وأي محاولة لتضييق معناه ، وصرفه عن ظاهره ، تودي بالحكمة النبوية التي حسمت هذا الأمر ، وتشكك فيها ، وأي فصاحة يمكن أن تنسب إلى النبي ﷺ إن حملنا كل ما قاله في هذا الشأن على معان قاصرة لا تدل على إعجاز نبوي ، ولا توجه سامعها لاتخاذ الموقف المناسب الذي يرضي الله ورسوله ؟! .

ولقد آتى هذا الحديث أكله ، وأينعت ثمرته - كما أراد منه النبي ﷺ - ، فلقد فهمه الصحابة رضوان الله عليهم فهماً صحيحاً ، ولم يلتبس أمره إلا على فئة قليلة كان لها شبهاً خاصة حالت دون المسير وراء المدلول الظاهر للحديث ، فما إن لاحت سحب التوتر بين علي رضي الله عنه

---

(١) فتح الباري (٦٤٥/١) .

ومعارضيه ، حتى سارع أصحاب النبي ﷺ إلى الانحياز إلى فئة **عمار** ، ونعم الانحياز .

قال خليفة بن خياط : " حدثنا أبو غسان ، قال : نا عبد السلام بن حرب ، عن يزيد بن عبد الرحمن ، عن جعفر - أظنه ابن أبي المغيرة - ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى ، عن أبيه ، قال : " شهدنا مع علي ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان ، قتل منا ثلاثة وستون منهم **عمار بن ياسر** "(1) .

وقال خليفة : " نا أبو غسان ، قال أنا يعقوب القمي ، عن جعفر ابن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير ، قال : كان مع علي يوم الجمل ثمانمائة من الأنصار ، وأربعمائة ممن شهد بيعة الرضوان "(2) .

---

(1) " سنده صحيح ورجاله بين الثقة والصدوق " .
" ومن المعلوم أن أهل بيعة الرضوان - وفيهم البدريون - كانوا نحو ألف وأربعمائة ، وهذه الثمانمائة منهم تعد أكثر أهل الرضوان ، فلم يبق منهم غير الثمانمائة ، إلا نحو ستمائة ماتوا خلال ثلاثين سنة في عهد النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ﷺ ، وشهدوا كثيراً من الفتوح ، فيكاد الـ (٨٠٠) أن يكونوا من تبقى من أهل بيعة الرضوان ، إلا أفراداً معدودين معروفين اعتزلوا القتال " . بيعة علي بن أبي طالب (ص ١٩٦) .

(2) " هذا مرسل ، وسنده صحيح ، وليس بين هذا الخبر والذي قبله تعارض ، فإن علياً وطلحة والزبير وعائشة لم يكن قصدهم إلا الإصلاح ، فلذلك قلَّ من ذهب مع هذا وهذا، ولكن بعد المعركة انضم إلى علي من كان بالبصرة والكوفة وواسط وفارس من=

" " ويقول الأعمش : وا لله تعجبت لعلي وأصحابه ، إنه كان مع علي أصحاب النبي ﷺ ، وكان مع معاوية أعاريب اليمن ولخم وجذام ". والأعمش تابعي أدرك بعض الصحابة ، وخبره هذا مرسل "(١) .

وقال السدي : شهد مع علي يوم الجمل (١٣٠) بدرياً وسبعمائة من أصحاب النبي ﷺ "(٢) .

ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء عن خليفة ، قال : " شهد مع علي من البدريين : **عمار بن ياسر** ، وسهل بن حنيف ، وخوات بن

= الصحابة ، وشهدوا معه صفين ، فارتفع عدد البدريين والرضوانيين معه ، أضف إلى أن مكانة طلحة والزبير وعائشة أكبر بكثير من مكانة معاوية ، فلذلك قد يتورع البعض عن قتال عائشة ، ولكنه لن يتورع عن قتال معاوية ، فهذه أسباب زيادة الصحابة مع علي يوم صفين عنها في يوم الجمل ، أضف إلى ذلك أن علياً جلس في الكوفة فترة طويلة يكاتب معاوية ، ويدعوه للدخول في الجماعة ، فهاجر إلى علي من هاجر من أرض الحجاز والبلاد الأخرى لإعانته على محاربة الخارجين عنه " . بيعة علي بن أبي طالب (ص١٩٧) .

(١) بيعة علي بن أبي طالب (ص ١٩٧-١٩٨) ، وقالت في الهامش : " أخرجه البخاري في التاريخ الصغير (ص ١٢٥) بسند صحيح إلى الأعمش ، وهو تابعي ، والخبر مرسل . لكنه حسن في الشواهد له أصول صحيحة لا ينكرها منصف ، قد سبق بعضها " (ص ١٩٨) .

(٢) تاريخ الإسلام (ص ٤٨٤) . " وهذا رواه الذهبي جازماً به ، فقال : قال المطلب بن زياد عن السدي ، والسدي تابعي، والخبر متفق مع الروايات الصحيحة في كثرة البدريين مع علي ﷺ " بيعة علي بن أبي طالب (ص ١٩٨) .

جبير ، وأبو سعد الساعدي ، وأبو اليَسَر ، ورفاعة بن رافع الأنصاري ، وأبو أيوب الأنصاري - بخُلف فيه - ، قال : وشهد معه من الصحابة ممن لم يشهد بدراً : خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين ، وقيس بن سعد بن عبادة، وأبو قتادة وسهل بن سعد الساعدي ، وقرظة بن كعب ، وجابر بن عبد الله ، وابن عباس ، والحسن ، والحسين ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وأبو مسعود عقبة بن عمرو ، وأبو عياض الزرقي ، وعدي بن حاتم ، والأشعث بن قيس ، وسليمان بن صُرد ، وجندب ابن عبد الله ، وجارية بن قدامة السعدي "[١] .

والذي يشكل على ما قدمناه من روايات ، ما ورد عن الشعبي وابن سيرين ، حيث قال الشعبي فيما أخرجه الخلال في كتاب السنة ، قال : " قرئ على عبد الله بن أحمد ، قال : حدثني أبي ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا منصور بن عبد الرحمن ، قال : قال الشعبي :

" لم يشهد الجمل من أصحاب النبي ﷺ غير علي وعمار وطلحة والزبير ، فإن جاءوا بخامس فأنا كذاب "[٢] .

وهذا القول قد رده الذهبي بقوله : " وكان الشعبي يبالغ ويقول : لم

---

(١) سير أعلام النبلاء - سير الخلفاء الراشدين (ص ١٨٨) .

(٢) السنة للخلال (ص ٤٤٦) .

يشهدها إلا علي وعمار وطلحة والزبير من الصحابة "[١] . والروايات الصحيحة تؤيد ما ذكره الذهبي .

أما ما ورد عن ابن سيرين فيما أخرجه عمر بن شبة ، قال : حدثنا محمد بن حاتم ، قال: حدثنا ابن عُلية ، عن أيوب ، عن محمد ، قال :

" هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرة آلاف ، فما خف فيها منهم مائة (قيل) لا يبلغوا ثلاثين "[٢] ، وفي رواية عبد الرزاق وأحمد : " بل لم يبلغوا ثلاثين "[٣] .

وهذه الرواية أوردها ابن شبة في فتنة عثمان ، وهو في تاريخه عن المدينة لم يتكلم عن موقعة الجمل أو صفين ، بل لم يورد شيئاً عن خلافة علي ، فلعل المقصود من قول ابن سيرين من تكلم من الصحابة في فتنة عثمان ، ويؤيده ما أخرجه الحاكم بإسناده عن ابن عمر ، قال :

" ما أعلم أحداً خرج في الفتنة يريد به وجه الله والدار الآخرة إلا **عمار بن ياسر** " .

قال الذهبي في التلخيص : " على شرط البخاري ومسلم ، ومراده

---

(١) تاريخ الإسلام (ص ٤٨٤) .

(٢) تاريخ المدينة المنورة (١٢٧١/٤) .

(٣) المصنف (٣٥٧/١١) .

بالفتنة هنا نيلهم من عثمان "[١] .

وأما إن صح إطلاق ابن سيرين ذلك عما حدث في عهد علي ، فيقال : إن روايته مرسلة ، ويقدم عليها رواية من شهد الأمر ، ثم إن من علم ، حجة على من لم يعلم ، وقول المثبت ، يقدم على قول النافي .

هذا بالنسبة لما توحيه مشاركة هذا العدد الكبير مع علي ﷺ في حروبه ضد مخالفيه من الفهم الصحيح لمعنى هذا الحديث .

إلا أن هناك ما يزيد الأمر توكيداً ، وهو ما يتعلق بحرص الصحابة على الاهتمام بشخصية **عمار** خاصة ، فإن في ذلك إشارة واضحة إلى تنبيهم للفهم الذي قدمناه لهذا الحديث واعتنائهم بدلالته .

ذكر الهيثمي عن أبي عبد الرحمن السلمي قال : شهدنا مع علي صفين ، وقد وكلنا بفرسه رجلين ، فكانت إذا كانت من الرجل غفلة غمز علي فرسه ، فإذا هو في عسكر القوم ، فيرجع إلينا وقد خضب سفيه دماً ويقول : يا أصحابي اعذروني اعذروني ، فكنا إذا توادعنا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء، فكان **عمار بن ياسر** علماً لأصحاب محمد ﷺ، لا يسلك **عمار** وادياً من أودية صفين إلا تبعه أصحاب محمد ﷺ ، فانتهينا إلى هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وقد ركز الراية فقال ما لك ،

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٣/٤٤٥) .

يا هاشم ؟ أعوراً وجبناً ، لا خير في أعور لا يغشى الناس ، فنزع هاشم الراية وهو يقول :

أعـور يبغي أهلـه محـلاً قـد عـالج الحياة حـتى ملا

لا بـد أن يفـلّ أو يُفـلا

فقال له عمار : أقبل فإن الجنة تحت الأبارقة ، وقد تزين الحور العين مع محمد وحزبه في الرفيق الأعلى ، فما رجعا حتى قتلا ، وكنا إذا توادعنا دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء ، وهؤلاء في عسكر هؤلاء ، فنظرت فإذا أربعة يسيرون ، معاوية وأبو الأعور السلمي وعمرو بن العاص وابنه ، فقلت في نفسي : إن أخذت عن يميني اثنين لم أسمع كلامهم ، فاخترت لنفسي أن أضرب فرسي فأفرق بينهم ففعلت ، فجعلت اثنين عن يميني واثنين عن يساري ، فجعلت أصغي بسمعي أحياناً إلى معاوية وإلى أبي الأعور ، وأحياناً إلى عمرو بن العاص ، وإلى عبد الله ابن عمرو ، فسمعت عبد الله بن عمرو يقول لأبيه : يا أبت قد قتلنا هذا الرجل ، وقد قال فيه رسول الله ﷺ ما قال . قال : وأي رجل ؟ قال : عمار بن ياسر ، أما سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم بناء المسجد ونحن نحمل لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين وأنت ترحض : (أما إنه ستقتلك الفئة الباغية ، وأنت من أهل الجنة) ، فسمعت عمراً يقول لمعاوية : قتلنا هذا الرجل وقد قال رسول الله ﷺ ما قال ، قال : أي

رجل ؟ قال : عمار بن ياسر ، إن رسول الله ﷺ قال يوم بناء المسجد ونحن ننقل لبنة لبنة ، وعمار يحمل لبنتين لبنتين ، فمر على رسول الله ﷺ ، فقال : (يا أبا اليقظان ، أتحمل لبنتين وأنت ترحض ، أما إنه ستقتلك الفئة الباغية ، وأنت من أهل الجنة) ، فقال معاوية : اسكت ! فوالله ما تزال تدحض في بولك ، أنحن قتلناه ؟ إنما قتله من جاءوا به ، فألقوه بين رماحنا ، قال : فتنادوا في عسكر معاوية ، إنما قتل عماراً من جاء به "(١) .

وأخرج الحاكم في المستدرك ، أنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، عن جده ، قال :

" لما قتل عمار بن ياسر ، دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال : قتل عمار بن ياسر ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : (تقتله الفئة الباغية) . فقام عمرو فزعاً حتى دخل على معاوية ، فقال له معاوية : ما شأنك ؟ ، قال : قتل عمار بن ياسر ، فقال : قتل عمار،

---

(١) مجمع الزوائد (٧/٢٤٠-٢٤١) ، قال الهيثمي : " رواه الطبراني وأحمد باختصار ، وأبو يعلى بنحو الطبراني ، والبزار بقوله : تقتل عماراً الفئة الباغية عن عبد الله بن عمر وحده ، ورجال أحمد وأبو يعلى ثقات " .

فماذا ؟ ، قال عمرو : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (تقتله الفئة الباغية) . فقال : معاوية : أنحن قتلناه ! إنما قتله علي وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بين رماحنا ، أو قال : سيوفنا "(١) .

" وعن حنظلة بن خويلد العنبري ، قال : بينا أنا عند معاوية إذ جاءه رجلان يختصمان في رأس عمار ، يقول كل واحد منهما : أنا قتلته. فقال عبد الله بن عمرو : ليطب به أحدكما نفساً لصاحبه ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (تقتله الفئة الباغية) ، فقال معاوية : فما بالك معنا ، قال : إن أبي شكاني إلى رسول الله ﷺ ، قال : (أطع أباك ما دام حياً ولا تعصه) ، فأنا معكم ولست أقاتل "(٢) .

فاهتمام الصحابة رضوان الله عليهم بعمار رضي الله عنه ، وشعورهم بإيحاءات مقتله، وما قد يؤدي إلبه من انقلاب الموازين ، يؤكد على أنهم كانوا يفهمون هذا الحديث الفهم الصحيح الذي ذكره أئمتنا ، وأيدته النصوص الأخرى ، وما محاولة معاوية رضي الله عنه دفع التهمة

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٤٣٦/٣) . وانظر : مجمع الزوائد (٢٤١/٧-٢٤٢) ، قال الهيثمي : " رواه أحمد ، وهو ثقة " .

أقول : هكذا في مجمع الزوائد ، ولعل سقطاً قد وقع هنا . وتقدير الكلام : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فلان ، وهو ثقة .

(٢) مجمع الزوائد (٢٤٤/٧) ، قال الهيثمي : " رواه أحمد ، ورجاله ثقات " .

عن فئته ، وحرصه على تبرير مقتل عمار لجيشه، إلا شاهد على ما أقول.

وفهم ابن عمر رضي الله عنهما لهذا الحديث يدفع كل شبهة ، فلقد كان من المعتزلين للقتال ، ثم بدا له أخيراً رأي آخر ذكره عنه الهيثمي حيث قال : " لم أجدني آسى على شيء إلا أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي "(١) .

وأخيراً فإن مما يستأنس به في هذا المجال ما ذكره الهيثمي عن محمد ابن عمارة بن خزيمة بن ثابت ، قال :

" ما زال جدي كافاً سلاحه حتى قتل عمار بصفين ، فسل سيفه فقاتل حتى قتل ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (تقتله الفئة الباغية) "(٢) .

● آراء غير مقبولة في الحديث :

ورغم كل ما سقناه مما يدفع الوهم والالتباس ، إلا أن هناك آراء أخرى في هذا الحديث، يجدر الوقوف عليها لدفعها وإثبات بطلانها .

---

(١) مجمع الزوائد (٧/٢٤٢) ، قال الهيثمي : " رواه الطبراني بأسانيد ، وأحدها رجاله رجال الصحيح " .

(٢) مجمع الزوائد (٧/٢٤٢) ، قال الهيثمي : " رواه أحمد والطبراني ، وفيه أبو معشر ، وهو لين " .

فالأول : " أن الحديث ضعيف "[١] . وهذا في غاية البطلان ، وهو يودي بصاحبه إلى الخسران .

الثاني : " أن علياً وأصحابه قتلوه، وأن الباغية المطالبة بدم عثمان ، فهذا من التأويلات الظاهرة الفساد ، التي يظهر فسادها للعامة والخاصة "[٢] .

الثالث : " أن الذين قتلوه هم الذي باشروا قتله ، والحديث أطلق فيه لفظ البغي لم يقيده بمفعول "[٣] .

والذي يهمنا هنا في مناقشة هذا الرأي ما يتعلق منه بالحديث ، فاعتبار الفئة الباغية أنها من باشر قتل عمار رضي الله عنه ، ترده أمور :

أولها : أن هذا المفهوم فيه إذهاب لروعة البيان النبوي ، وطعن في فصاحته - كما سبق - ، واجتهاد مع وجود نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة .

ثانيها : أن الذي كان يخفى على بعض الصحابة هو مَنْ مِنَ الفئتين على الحق ؟ وأيتهما العادلة ؟ وإلى أين ينسب البغي ؟ ، ولم يكن يخفى على أحد منهم بغي من باشر قتل عمار ، أو بغي المندسين في الصفوف ، فليس في الإخبار عن هؤلاء جديد .

---

(١) نقله ابن تيمية في منهاج السنة عمن قاله (٤/٤٠٥) .

(٢) منهاج السنة (٤/٤١٤) .

(٣) نفسه (٤/٤١٨) .

ثالثها : حمل حديث : (قاتله وسالبه في النار) على من باشر قتله وسلبه فقط دون أي لوم على العسكر الذي تصدى لقتاله بكامله سائغ مقبول ، وأما قصر مفهوم هذا الحديث على هذه الفئة وتبرئة بقية مقاتليه فإن فيه تعسفاً ، وهو مما لا يستساغ ولا تحتمله اللغة بحال .

رابعها : في قول المصطفى ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يقتل بينهما مقتلة عظيمة ، ودعواهما واحدة)[١] ، وقوله : (إن ابني هذا سيد يصلح الله به بين فئتين من المسلمين)[٢] دلالة واضحة على مقصود النبي ﷺ من الفئة في قوله : (تقتله الفئة الباغية) ، وأنها التي بغت على فئة علي رضي الله عنه بكاملها لا بعض أفرادها . وهو تأكيد للبند السابق .

خامسها : كون معاوية رضي الله عنه ينسب قتل عمار رضي الله عنه إلى من جاء به يدل على أنه فهم أن الحديث ينطبق على الفئة بكاملها ، وأن أفرادها جميعاً يؤخذون بجريرة قتله ، لا فئة بعينها من الجيش ، وإلا فلو كان المفهوم من الفئة الباغية من باشر قتله لكان أسلم لمعاوية أن ينسب قتله إليها وأحكم .

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧١٢١) . ومسلم برقم (١٥٧) عن أبي هريرة .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧١٠٩) عن أبي بكرة .

ولعل هذا الرأي تبناه من قال إن علياً أقرب إلى الحق من معاوية ، وأن الحق مع من اعتزل القتال ، فأما ما يتعلق بنسبة الحق إلى معتزلي القتال ، فمجال مناقشته تحقيق (القاعد فيها خير من القائم) ، وأما ما يتعلق ببعض الشبه التي أوردت مما يتعلق بنص هذا الحديث فيمكن دفعها من خلال الملاحظات التالية :

أولاً : انفرد بإيراد بعض ما يشتبه على الفهم الذي أوردناه لأئمتنا للحديث ، وما عضده من النصوص الأخرى ، انفرد بإيراد هذه الشبه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، وتبعه عليه آخرون، وابتداءً أقول : إن ما نقلته عنه رحمه الله تعالى مما قاله في مجموع الفتاوى هو الرأي الذي وافق فيه جمهور أهل السنة ، حيث قال : " وهذا أيضاً يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته ، وأن الداعي إلى طاعته داعٍ إلى الجنة ، والداعي إلى مقاتلته داعٍ إلى النار -وإن كان متأولاً- وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي ، وعلى هذا **فمقاتله مخطئ** -وإن كان متأولاً- أو باغ -بلا تأويل- **وهو أصح القولين لأصحابنا ، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين** " . فهو هنا يثبت أن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة ، وأن الداعي إلى مقاتلته داع إلى النار ، وأن مقاتله مخطئ ليس معه

جزء من الحق ، وذكر أنه أصح القولين لأصحابه، ونصره بقوله : " مع أن علياً كان أولى بالحق ممن فارقه ، ومع أن عماراً قتلته الفئة الباغية كما جاءت به النصوص ، فعلينا أن نؤمن بكل ما جاء من عند الله ، ونقر بالحق كله ، ولا يكون لنا هوىً، ولا نتكلم بغير علم ، بل نسلك سبل العلم والعدل ، وذلك هو اتباع الكتاب والسنة ، فأما من تمسك ببعض الحق دون بعض ، فهذا منشأ الفرقة والاختلاف "(١) .

ولعل هذا الرأي هو الذي يعتقده ويدين الله به : " ومثل هذه الأقوال الصريحة تمحو تلك الأقوال المشتبهة التي كتبها في المنهاج في حالة الرد ، والرد - غالباً - يحمل معه الحدة والهجوم على المردود عليه والحماس الذي يتسبب في تلبس الأقوال بالحق والباطل ، أو تُفهم على غير مجراها "(٢) .

ثانياً : كلام شيخ الإسلام يحمل شيئاً من الالتباس ، فهو ينسب الحق إلى علي من جهة ، وينزعه عنه من جهة أخرى :

فهو ينسبه إليه عندما يقول في حديث : " (تمرق مارقة على حين

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٣٣) .

(٢) هامش البرهان الجلي في دفاع ابن تيمية عن بيعة علي (ص ٤٥) .

فرقة من المسلمين، تقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق) يدل أن علياً وأصحابه أدنى إلى الحق من معاوية وأصحابه "[١] . وكذلك عندما يقول : " وجماهير أهل السنة متفقون على أن علياً أفضل من طلحة والزبير ، فضلاً عن معاوية وغيره . ويقولون : إن المسلمين لما افترقوا في خلافته ، فطائفة قاتلته ، وطائفة قاتلت معه، كان هو وأصحابه أولى الطائفتين بالحق ، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : (تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين ، يقتلهم أولى الطائفتين بالحق) ، فهؤلاء هم الخوارج المارقون الذي مرقوا فقتلهم علي وأصحابه ، فعلم أنهم كانوا أولى بالحق من معاوية رضي الله عنه وأصحابه ، لكن أهل العلم يتكلمون بعلم وعدل ، ويعطون كل ذي حق حقه "[٢] .

وهو ينزعه عنه حينما يقول : " والقتال يوم الجمل وصفين فيه نزاع: هل هو من باب قتال البغاة المأمور به في القرآن ؟ أو هو قتال فتنة القاعد فيها خير من القائم ؟ فالقاعدون من الصحابة وجمهور

---

(١) منهاج السنة (٤/٤١٣) .

(٢) منهاج السنة (٤/٣٥٨) .

أهل الحديث والسنة وأئمة الفقهاء بعدهم[١] يقولون : هو قتال فتنة، ليس هو قتال البغاة المأمور به في القرآن ، فإن الله لم يأمر بقتال المؤمنين البغاة ابتداء لمجرد بغيهم ، بل إنما أمر إذا اقتتل المؤمنون بالإصلاح بينهم "[٢] .

وحينما يقول : " فإذا قيل : إن علياً كان مجتهداً في ذلك فيما فعل، قيل : وعثمان كان مجتهداً فيما فعل ، وأين الاجتهاد في تخصيص بعض الناس بولاية أو إمارة أو مال ، من الاجتهاد في سفك المسلمين بعضهم دماء بعض ، حتى ذلّ المؤمنون وعجزوا عن مقاومة الكفار ، حتى طمعوا فيهم وفي الاستيلاء عليهم ؟ ولا ريب أنه لو لم يكن قتال ، بل كان معاوية مقيماً على سياسة رعيته ، وعلي مقيماً على سياسة رعيته[٣] ، لم يكن في ذلك من الشر أعظم مما حصل بالاقتتال ، فإنه بالاقتتال لم تزل هذه الفرقة و لم يجتمعوا

---

(١) بل جمهور أهل السنة على خلاف ذلك كما ذكر هو بنفسه ذلك فيما نقلته عنه قبل قليل في قوله : " وهو أصح القولين لأصحابنا ، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً ، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين " .

(٢) منهاج السنة (٤/٥٠٢) .

(٣) فرقة كلمة المسلمين ليست أهون من سفك الدماء ، وقتاله ﷺ إنما كان لأجل توحيد كلمة المسلمين .

على إمام ، بل سُفكت الدماء ، وقويت العداوة والبغضاء ، وضعفت الطائفة التي كانت أقرب إلى الحق ، وهي طائفة علي[١] ، وصاروا يطلبون من الطائفة الأخرى المسالمة ما كانت تطلبه ابتداءً "[٢] .

وهو ينسبه إليه وينزعه عنه في آن واحد حينما يقول : " وعلي رضي الله عنه كان قد بايعه أهل الكوفة ، ولم يكن في وقته أحق منه بالخلافة ، **وهو خليفة راشد تجب طاعته**[٣] ، ومعلوم أن قتل القاتل إنما شرع عصمة للدماء ، فإذا أفضى قتل الطائفة القليلة إلى قتل أضعافها ، لم يكن هذا طاعة ولا مصلحة ، وقد قتل بصفين أضعاف أضعاف قتلة عثمان "[٤] .

فأين الحق ؟ إن لم يكن في هذا الفعل طاعة ، وما هو الحق الذي نسبه الحديث إلى علي إن كان قتاله ليس بحق ولا طاعة ولا مصلحة ؟! ثم إن حديث تقتله الفئة الباغية أثبت بغياً وأثبت

---

(١) ستأتي مناقشة هذا الكلام في تحقيق (القاعد فيها خير من القائم) .

(٢) منهاج السنة (٤/٤٦٢-٤٦٣) . وليس صحيحاً أن فئة معاوية كانت تطلب المسالمة ، وأين الذين كانوا يبكون على دم عثمان ، ويستعدون لحرب قتلته .

(٣) وأين طاعته من ترك بيعته ، ومقاتلته ، أو حتى القعود عنه .

(٤) منهاج السنة (٤/٤١٣) .

قتلاً، وقد وقع القتل في القتال ، فكيف يخطّأ صاحبه والحديث قد خرج مخرج المدح ؟ !! .

ثالثاً : كلام شيخ الإسلام عن ترك الناس الإصلاح فيما وقع بين علي ومعاوية ، وسياقته كلام عائشة رضي الله عنها للاستشهاد على ذلك غير صحيح ، فقد ثبت في كتب التاريخ وقوع محاولات شتى للإصلاح بين الفريقين منها ما سبق القتال ، ومنها ما وقع في أثنائه، وبعضها قد نقله ابن حجر في الفتح وجوّد إسناده ، وما سقته في مطلب تصور عمار يؤيد ذلك ، فليراجع .

وإن صح ما نقله عن عائشة رضي الله عنها ، فإن كانت تقصد ما حصل بينها وبين علي في معركة الجمل ، فمردود ؛ لثبوت المحاولات الإصلاحية التي قام بها الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو ﷺ ، وثبوت النتائج الرائعة التي توصل إليها الفريقان .

وإن كانت تقصد عدم وقوع الإصلاح بين علي ومعاوية ، فلعل هذا مما خفي عليها ، و لم يبلغها وقوعه ؛ لأن علياً ﷺ قد سيرها إلى مكة بعد انقضاء المعركة . فلا غرابة في عدم اطلاعها على محاولات الإصلاح الكثيرة التي حصلت بين الفريقين .

رابعاً : كلام شيخ الإسلام عن البغي والإصلاح الذي أطال فيه النفس ، ونصره بقوة في أكثر من موضع في كتابه ينطبق على صورة أخرى

غير التي ثبت حصولها بين علي ومعاوية ، وهـي اقتتـال فئتـين تحـت حكم الدولة المسلمة ، وفي وجود الإمـام المسـلم ، فـلا يجـوز بنـص الآية أن يُبدأ الباغي بالقتال إلا بعد الاقتتال الذي يعقبه الإصـلاح ، وهذا هو المعلوم من سبب نزولها كما ذكر الطبري في تفسيره قال : " حدثني يونس، قال : أخبرنا ابن وهب ، قـال : قـال ابـن زيـد في قوله : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا** ﴾ إلى آخر الآية ، قال : هذا أمر من الله أمر به الولاة ، كهيئة ما تكون العصبة بين النـاس ، وأمرهم أن يصلحوا بينهما ، فإن أبوا قاتل الفئة الباغية حتـى ترجـع إلى أمر الله ، فإذا رجعت ، أصلحوا بينهما وأخـبروهم أن المؤمنـين إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم . قـال : ولا يقـاتل الفئـة الباغيـة إلا الإمام ، وذكر أن هذه الآية نزلت في طائفتين من الأوس والخـزرج، اقتتلتا في بعض ما تنازعتا فيه مما سأذكره إن شاء الله تعالى . . . ". ثم قال : " . . . ذكـر الراويـة بذلـك ، وقـال : حدثـني محمـد بـن عبد الأعلى ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيـه ، عـن أنـس ، قال : قيل للنبي ﷺ : لو أتيت عبد الله بن أبي ، قال : فانطلق إليه، وركب حماراً ، وانطلق المسلمون ، وهي أرض سبخة ، فلمـا أتـاه رسول الله ﷺ قال : إليك عني فوالله لقد آذاني نتن حمارك ، فقال رجل من الأنصـار : والله لنـتن حمـار رسـول الله ﷺ أطيـب ريحـاً

منك ، قال : فغضب لعبد الله بن أبي رجل من قومه ، قال : فغضب لكل واحد منهما أصحابه ، قال : فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال ، فبلغنا أنه نزلت فيهم : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما** ﴾ "[1] .

وهذا المعنى هو الذي أشار إليه الإمام القرطبي في تفسيره حيث قال: " قال العلماء: لا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما ، إما أن يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعاً ، أو لا . فإن كان الأول ، فالواجب في ذلك أن يمشي بينهما بما يصلح ذات البين ، ويثمر المكافّة والموادعة ، فإن لم يتحاجزا و لم يصطلحا ، وأقامتا على البغي، صير إلى مقاتلتهما ، وأما إن كان الثاني ، وهو أن تكون إحداهما باغية على الأخرى ، فالواجب أن تقاتل فئة البغي إلى أن تكف وتتوب ، فإن فعلت أصلح بينهما وبين المبغي عليها بالقسط والعدل ، فإن التحم القتال بينهما لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة ، فالواجب إزالة الشبهة بالحجة النيرة والبراهين القاطعة على مراشد الحق ، فإن ركبتا متن اللجاج و لم تعملا على شاكلة ما هُديتا إليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما ،

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن (٨١/٢٧) .

فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين "[١] .

فقول شيخ الإسلام : " وقوله ﴿ **فإن بغت إحداهما على الأخرى** ﴾ يعود الضمير فيه إلى الطائفتين المقتتلتين من المؤمنين ، لا يعود إلى طائفة مؤمنة لم تقاتل ، فالتقدير: فإن بغت إحدى الطائفتين المؤمنتين المقتتلتين على الأخرى فقاتلوا الباغية حتى تفيء إلى أمر الله ، فمتى كانت طائفة باغية ولم تقاتل لم يكن في الآية أمر بقتالها[٢] .

قوله هذا ينطبق على سبب نزول الآية وما قال العلماء فيها ، لكنه لا ينطبق على ما جرى بين علي ومعاوية حيث الإمام أحد الطائفتين ، وحيث مجرد البغي بترك طاعته مع محاولة الإصلاح كافٍ لإعلان الحرب على الباغي ، وكلام الأئمة فيما يأتي يشير إلى هذه الحالة وإلى أحكامها ، **وهي تفريع عن الأحكام التي تناولتها الآية بحسب سبب نزولها** كما ذكر ذلك عنهم شيخ الإسلام نفسه في قوله : " وهو أصح القولين لأصحابنا ، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً ، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٣١٧/١٦) .

(٢) منهاج السنة (٥٠٣/٤) .

فرعوا على ذلك قتال البغاة المتأولين " :

يقول العلامة نظام الدين الحسن بن محمد القمي النيسابوري : " واعلم أن الباغية في اصطلاح الفقهاء ، فرقة خالفت الإمام بتأويل باطل بطلاناً بحسب الظن لا القطع ، فيخرج المرتد ؛ لأن تأويله باطل قطعاً ، وكذلك الخوارج ، وهم صنف من المبتدعة يكفرون من أتى كبيرة ، ويسبّون بعض الأئمة ، وهكذا يخرج مانع حق الشرع لله أو للعباد عناداً ؛ لأنه لا تأويل له . ولا بد أن يكون له شوكة وعَدد وعُدَد يحتاج الإمام في دفعهم إلى كلفة ببذل مال أو إعداد رجال "[١] .

ويقول الإمام موفق الدين محمد بن قدامة في كتاب قتال أهل البغي: " والأصل في هذا الباب قول ا لله سبحانه : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر ا لله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن ا لله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة**

---

(١) تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان في هامش جامع البيان في تفسير القرآن (٨٤/٢٦) .

فأصلحوا بين أخويكم﴾(١) ، ففيها خمس فوائد :

أحدها : أنهم لم يخرجوا بالبغي عن الإيمان فإنه سماهم مؤمنين .

الثانية : أنه أوجب قتالهم .

الثالثة : أنه أسقط قتالهم إذا فاءوا إلى أمر ا لله .

الرابعة : أنه أسقط عنهم التبعة فيما أتلفوه في قتالهم .

الخامسة : أن الآية أفادت جواز قتال كل من منع حقاً عليه ، وروى عبد ا لله بن عمرو قال : " سمعت رسول ا لله ﷺ يقول : (من أعطى إماماً صفقة يده وثمرة فؤاده فليطعه ما استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر) " رواه مسلم ، وروى عرفجة قال : " قال رسول ا لله ﷺ : (ستكون هنات وهنات - ورفع صوته - ألا ومن خرج على أمتي وهم جميع فاضربوا عنقه بالسيف كائناً من كان) " ، فكل من ثبتت إمامته وجبت طاعته ، وحرم الخروج عليه وقتاله ؛ لقول ا لله تعالى :**﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا ا لله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**(٢) ، وروى عبادة بن الصامت ، قال : " بايعنا

---

(١) سورة الحجرات : الآيتان (٩) و (١٠) .

(٢) سورة النساء : الآية (٥٩) .

رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكره ، وأن لا ننازع الأمر أهله " . وروي عن النبي ﷺ أنه قال : (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ، فمات فميتته جاهلية) رواه ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وأبي ذر وابن عباس ، كلها بمعنى واحد ، وأجمعت الصحابة رضي الله عنهم على قتال البغاة فإن أبا بكر رضي الله عنه قاتل مانعي الزكاة ، وعلي رضي الله عنه قاتل أهل الجمل وصفين وأهل النهروان "[1] .

ثم قال : " والخارجون عن قبضة الإمام أصناف أربعة ، وذكر رابع الأصناف ، وهو: قوم من أهل الحق يخرجون عن قبضة الإمام **ويرومون خلعه لتأويل سائغ** ، وفيهم منعة يحتاج في كفهم إلى جمع الجيش ، فهؤلاء البغاة الذين نذكر في هذا الباب حكمهم ، وواجب الناس معونة إمامهم في قتال البغاة لما ذكرنا في أول الباب ، **ولأنهم لو تركوا معونته لقهره أهل البغي وظهر الفساد في الأرض**[2] .

ثم قال : " وجملة الأمر أن من اتفق المسلمون على إمامته وبيعته

---

(١) المغني (١٠/٤٦) .

(٢) المغني (١٠/٤٨) .

ثبتت إمامته ووجبت معونته **لما ذكرنا من الحديث والإجماع** "[١] .

ويقول القرطبي في تفسير الآية : في هـذه الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها على الإمام أو على أحد المسلمين[٢] .

ويزيد الدكتور محمد خير هيكل الأمر وضوحاً فيقول : " أهل البغي هم طائفة من الناس جمعت بين ثلاثة أمور هي :

١ - التمرد على سلطة الدولة بالامتناع عن أداء الحقوق ، وطاعة القوانين ، أو العمل على الإطاحة برئيس الدولة .

٢ - وجود قوة يتمتع بها البغاة تمكنهم من السيطرة .

٣ - الخروج .

ثم قال : **وليس المراد بالخروج هنا هو حتمية ابتدائهم باستعمال السلاح ضد الدولة ، فقد يكون هذا ، كما قد يكون بالمقاومة بالسلاح إذا أرادت الدولة أن تخضعهم للنظام بالقوة**[٣] .

---

(١) المغني (١٠/٤٩) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٦/٣١٧) .

(٣) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (١/٦٣-٦٤) .

ويلاحظ أن فئة معاوية ﷺ قد جمعت هذه الشروط كلها ، فقد امتنعوا من أداء الحقوق وطاعة القوانين ، وهم يتمتعون بقوة تمكنهم من السيطرة وخرجوا على الإمام بعزمهم على استعمال السلاح بشبهة الأخذ بثأر عثمان ، وقاوموا بقوة إمام الأمة يومذاك عند إرادته إخضاعهم لطاعته بالقوة .

ثم قال : هذا وجمهور الفقهاء يشترط لاعتبار الثائرين من أهل البغي وجود شبهة شرعية ، أي تأويل سائغ ، ولو كان ضعيفاً يعتمدون عليه في إشعال الثورة ، ويمثلون للخارجين على أساس تأويل وشبهة بالخارجين على علي بن أبي طالب من أهل الجمل وصفين ، إذ زعموا أنه يعرف قتلة عثمان ، ويقدر عليهم ، ولا يقتص منهم لمواطأته إياهم "[١] .

ثم قال : " وإن كان كلتا الطائفتين الباغيتين من لها تأويل ومن ليس لها تأويل يجب توجيه القتال نحوهما لكي يرجعوا إلى الطاعة "[٢]

ثم يقول : " ويقول الكاساني في بدائع الصنائع في حق البغاة : ويجب على كل من دعاه الإمام إلى قتالهم أن يجيبه إلى ذلك ، ولا يسعه التخلف إذا كان عنده غناء وقدرة؛ لأن طاعة الإمام فيما ليس بمعصية فرض ، فكيف فيما هو طاعة "[٣] .

خامساً : تعلق شيخ الإسلام في التأكيد على أن الحق كان في ترك القتال بالمفاسد التي نتجت عنه ، وقال في هذا الشأن في أكثر من موضع :

---

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (١/٦٤) .

(٢) نفسه (١/٦٥) .

(٣) نفسه (١/٦٥) .

" ومعلوم أن الفعل الذي تكون مصلحته راجحة على مفسدته يحصل به من الخير أعظم مما يحصل بعدمه ، وهنا لم يحصل بالاقتتال مصلحة ، بل كان الأمر مع عدم القتال خيراً وأصلح منه بعد القتال، وكان علي وعسكره أكثر وأقوى ، ومعاوية وأصحابه أقرب إلى موافقته ومسالمته ومصالحته "[١] .

أقول : إذا تغاضينا عن مخالفة هذا الكلام للحقائق التاريخية التي أثبتنا بعضها في تصور عمار للفتنة ، وذلك في كون معاوية وأصحابه أقرب إلى موافقته ومسالمته ومصالحته ، وإذا تركنا جانب اعتباره لما أمر به النبي ﷺ علياً من قتال القاسطين ومدحه على قتاله على تأويل القرآن اعتباره ذلك ليس مصلحة[٢] ، فإنه لا بد هنا من التفريق بين أمرين :

١ – بين ما كان الإمام مخيراً في فعله وتركه وهو خاضع لما يؤديه إليه اجتهاده ، ويدخل في باب المفاسد والمصالح ، فهذا مما يكون الحكم فيه منوطاً بالنتائج ، حيث يصوب ما أدى إلى المصلحة ، ويخطأ ما أدى إلى المفسدة .

---

(١) منهاج السنة (٤/٤٦٢) .

(٢) لعله رحمه الله لم يبلغه النص ، أو لم يصح عنده .

٢ - وبين ما يجب على الإمام فعله على نحو ما بيناه ، ويدخل تحت طاقته ووسعه ، فإنه لا خيار فيه للإمام في أن يقدم أو يحجم ، بل لا بد من الإقدام على الفعل ما دام مأموراً به ، وقتال البغاة في زمن علي ﷺ كان واجباً عليه ، ولم يكن له النظر في اعتبار المفسدة والمصلحة ما دام قد سعى في الإصلاح وفشل ، وإلا أداه الترك إلى اجتراء العامة عليه ، أكثر من اجترائها على عثمان وذهاب هيبته وهيبة الأئمة من بعده ، مع ما ينجم عن ذلك من تصدعٍ للصف وتشتيت للكلمة وفرقة للأمة . وسيأتي لذلك مزيد بيان في تحقيق (القائم فيها خير من القاعد) .

والنبي ﷺ كان مصيباً في قتاله يوم أحد بدون خلاف ، مع ما انتهت إليه نتائج المعركة من الهزيمة وقتْلِ خيار المسلمين ، ولم يقل أحد بأن نتيجة الغزوة تفرض نسبة الخطأ إلى النبي ﷺ في هذا الاجتهاد ، وأن المصلحة كانت تقضي بترك القتال .

والصديق ﷺ كانت ظروف خلافته من أحلك الظروف ، وكان الحال يقتضي بهذا المقياس أن يترك إنفاذ جيش أسامة ، وأن يتغاضى عن منع الزكاة باتفاق أكثر الصحابة يومذاك على ذلك .

قال ابن كثير في الأول : " والمقصود أنه لما وقعت هذه الأمور ،

أشار كثير من الناس على الصديق أن لا ينفذ جيش أسامة لاحتياجه إليه فيما هو أهم ؛ لأن ما جهز بسببه ، في حال السلامة ، وكان من جملة من أشار بذلك عمر بن الخطاب "(١) .

وقال في الثاني : " وقد تكلم الصحابة مع الصديق في أن يتركهم وما هم عليه من منع الزكاة ويتألفهم ، حتى يتمكن الإيمان في قلوبهم ، ثم هم بعد ذلك يزكون "(٢).

وقال ابن كثير في موقف الصديق من الأول : " فامتنع الصديق من ذلك ، وأبى أشد الإباء إلا أن ينفذ جيش أسامة ، وقال : والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ، **ولو أن الطير تخطفنا ، والسباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة** "(٣) .

وقال في موقفه من الثاني : " فامتنع الصديق وأباه ، وقال : والله لو منعوني عناقاً ، وفي رواية : عقالاً ، كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ ، لأقاتلنهم على منعها ، إن الزكاة حق المال ، والله لأقاتلن من

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣٠٨) .

(٢) نفسه (٦/٣١٥) .

(٣) نفسه (٦/٣٠٨) .

فرق بين الصلاة والزكاة "[١] .

كان بإمكان الصديق ﷺ أن يؤخر إنفاذ جيش أسامة إلى أن تستقر الأوضاع ، فقد تأخر قبل ذلك عندما كان ينتظر ما يؤول إليه مرض النبي ﷺ ، ولا غضاضة في تأخره مرة أخرى والحال على ما هو عليه .

وكان بإمكانه ﷺ أن يتغاضى عن بادرة العرب في منع الزكاة لا سيما وأنه لم يكن يملك نصاً في ذلك غير غيرة شديدة على دين الله أن تنقض منه عروة في عهد ولايته – والتي عبر عنها بقوله : " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة " – وكان بإمكانه أن يتحالف مع مانعي الزكاة ضد المرتدين عن دينهم بالكلية ، فهو أوثق في حصول النتائج المرجوة خالية من المفاسد .

لكنه ﷺ لم يكن يرى لنفسه الخيار في هذين الأمرين **وإن رجح أغلب الصحابة ومعهم الفاروق جانب المفسدة على المصلحة في قتالهم ، وإن أدى تصميمه على ذلك إلى تخطفهم من قبل الطير والسباع وجر الكلاب بأرجل أمهات المؤمنين ؛ لأنه كان يرى أن المصلحة في فعل الواجب ، وأن المفسدة في تركه أياً كانت**

---

(١) البداية والنهاية (٦/٣١٥) .

النتائج . وحال علي ﷺ في تصميمه على قتال من فرق كلمة المسلمين كحال أبي بكر ﷺ في مقاتلته لمن فرق بين الصلاة والزكاة ، فما الذي قادنا إلى تصويب فعل الثاني وتخطئة فعل الأول ؟ ! ! .

وعلى كل حال ، فإذا جاء نهر الله ، بطل نهر معقل . وقد قدمنا من النصوص ما يدفع كل هذه الشبه وعلى رأسها مدح عمار بقتل الفئة الباغية له وأمر علي بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، ومدحه على قتاله على تأويل القرآن ، وغير ذلك مما يجعلنا لا نلتفت إلى ما يخالفها ، أياً كان المخالف .

● آراء العلماء في الفتنة :

و لم يبق لنا بعد تلك الرحلة الطويلة مع هذا الحديث إلا أن نسوق آراء جمهور الأمة في هذا الأمر لنطمئن إلى صحة ما ذهبنا إليه ، ولعل فيما سأسوقه من الأقوال ما يزيل جميع ما يشتبه في هذا الباب .

" يقول الإمام أبو حنيفة : ما قاتل أحدٌ علياً ﷺ ليرده إلى الحق إلا كان علي أولى بالحق منه ، ولولاه ما علم أحد كيف السيرة في قتال المسلمين "(١) . فثاقب فكر أبي حنيفة رحمه الله جعله يعتبر تعلم السيرة

---

(١) بيعة علي بن أبي طالب (ص ٢٠٤) نقلاً عن مناقب أبي حنيفة للإمام المكي (٢/٣٤٤).

في قتال المسلمين مصلحة ، فلله درّه من إمام .

" ويقول الإمام الشافعي : أما الإجماع الدال على إباحة قتالهم (أي البغاة) ، فهو منعقد بفعل إمامين : أحدهما أبو بكر في قتال مانعي الزكاة . والثاني : علي بن أبي طالب في قتال من خلع طاعته "(١) .

" ويقول الإمام ابن قتيبة الدينوري : وقد رأيت هؤلاء (يعني النواصب) أيضاً حين رأوا غلو الرافضة في حب علي وتقديمه ، **قابلوا ذلك أيضاً بالغلو في تأخير علي كرم الله وجه ، وبخسه حقه ، ولحنوا في القول ، وإن لم يصرحوا إلى ظلمه ، واعتدوا عليه بسفك الدماء بغير حق** ، ونسبوه إلى الممالأة على قتل عثمان رضي الله عنه ، **وأخرجوه بجهلهم من أئمة الهدى إلى جملة أئمة الفتن** ، ولم يوجبوا له اسم الخلافة ؛ لاختلاف الناس عليه ، وأوجبوها ليزيد بن معاوية ؛ لاجتماع الناس عليه، واتهموا من ذكره بخير "(٢) .

ويقول شيخ الإسلام ابن خزيمة : " كل من نازع أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب في إمارته فهو باغ ، على هذا عهدت مشايخنا ، وبه قال

---

(١) الحاوي الكبير للماوردي (١٦-٣٥٧) .

(٢) بيعة علي بن أبي طالب (ص ٢١٠-٢١١) نقلاً عن الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة (ص ٤١) .

ابن إدريس رحمه الله "(١) .

ويقول الإمام عبد القاهر فيما حكاه عنه الإمام القرطبي في التذكرة : " وأجمع فقهاء الحجاز والعراق من فريقي الحديث والرأي منهم : مالك والشافعي وأبو حنيفة والأوزاعي والجمهور الأعظم من المتكلمين ، إلى أن علياً مصيب في قتاله لأهل صفين ، كما قالوا بإصابته في قتل أصحاب الجمل ، وقالوا أيضاً : بأن الذين قاتلوه بغاة ظالمون له ، ولكن لا يجوز تكفيرهم ببغيهم "(٢) .

ويقول الإمام ابن حزم : " وقد علمنا أن من لزمه حق واجب وامتنع من أدائه ، وقاتل دونه ، فإنه يجب على الإمام أن يقاتله وإن كان متأولاً ، وليس ذلك بمؤثر في عدالته وفضله، ولا بموجب له فسقاً ، بل هو مأجور لاجتهاده ونيته في طلب الخير ، بهذا قطعنا على صواب علي ﷺ وصحة إمامته ، وأنه صاحب الحق ، وأن له أجرين : أجر الاجتهاد ، وأجر الإصابة . وقطعنا أن معاوية ﷺ ومن معه مخطئون مأجورون أجراً واحداً.

---

(١) الاعتقاد (ص ١٩٧) .

" وإذا رأيت ترجمة ابن خزيمة علمت أن مشايخه من أكبر علماء هذه الأمة ، منهم : إسحاق بن راهويه ، ومحمد بن بشار ، ومحمد بن يحيى الذهلي ، ومحمود بن غيلان ، وأبو كريب. وغيرهم من كبار المحدثين والحفاظ " بيعة علي بن أبي طالب (ص ٢١٢).

(٢) التذكرة (٢/٢٢٢) .

وأيضاً فالحديث الشريف الصحيح عن رسول ا لله ﷺ أنه أخبر عن مارقة تمرق بين طائفتين من أمته يقتلها أولى الطائفتين بالحق ، فمرقت تلك المارقة ، وهم الخوارج بين أصحاب علي وأصحاب معاوية ، فقتلهم علي وأصحابه ، فصح أنهم أولى الطائفتين بالحق ، وأيضاً الخبر الصحيح عن رسول ا لله ﷺ : (تقتل عماراً الفئة الباغية) "(١) .

ويقول النووي في شرح حديث : (يقتلها أولى الطائفتين بالحق) : " هذه الروايات صريحة في أن علياً رضي الله عنه كان هو المصيب المحق ، والطائفة الأخرى أصحاب معاوية رضي الله عنه كانوا بغاة متأولين "(٢) .

ويقول أيضاً : " واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم ليست داخلة في هذا الوعيد (أي الوارد في حديث إذا التقى المسلمان) ، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم ، والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم ، وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا ، بل اعتقد كل فريق أنه المحق ومخالفه باغ ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر ا لله ، وكان بعضهم مصيباً وبعضهم مخطئاً معذوراً في الخطأ لأنه لاجتهاد ، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه ، **وكان علي هو المحق**

---

(١) الفصل (٣/٨٦) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٧-٨/١٧٤) .

المصيب في تلك الحروب . هذا مذهب أهل السنة . وكانت القضايا مشتبهة حتى أن جماعة من الصحابة تحيروا فيها فاعتزلوا الطائفتين و لم يقاتلوا و لم يتيقنوا الصواب "(١) .

ويقول البيهقي : " وأما خروج من خرج على أمير المؤمنين رضي الله عنه مع أهل الشام في طلب دم عثمان ثم منازعته إياه الإمارة ، فإنه غير مصيب فيما فعل . واستدللنا ببراءة علي من دم عثمان ، بما جرى له من البيعة ، لما كانت له من السابقة في الإسلام والهجرة والجهاد في سبيل ا لله ، والفضائل الكثيرة والمناقب الجمة التي هي معلومة عند أهل المعرفة ، إن الذي خرج عليه ونازعه كان باغياً عليه ، وكان رسول ا لله ﷺ قد أخبر **عمار بن ياسر** بأن الفئة الباغية تقتله ، فقتله هؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه في حرب صفين "(٢) .

ويقول ابن حجر : " قال القرطبي : فبين هذا الحديث أن القتال إذا كان على جهل من طلب الدنيا أو اتباع الهوى ، فهو الذي أريد بقوله : (القاتل والمقتول في النار) .

قلت (القائل ابن حجر) : ومن ثم كان الذين توقفوا عن القتال

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢٨/٨) .

(٢) الاعتقاد (ص ١٩٦) .

في الجمل وصفين أقل عدداً من الذين قاتلوا ، وكلهم متأول مأجور إن شاء ا لله "(١) .

وقال أيضاً : " **وذهب جمهور أهل السنة إلى تصويب من قاتل مع علي لامتثال قوله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ الآية ، ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية** ، وقد ثبت أن من قاتل علياً كانوا بغاة ، وهؤلاء مع هذا التصويب متفقون على أنه لا يذم واحد من هؤلاء ، بل يقولون اجتهدوا فأخطأوا "(٢) .

ويقول ابن كثير : " فهذا الحديث من دلائل النبوة ، إذ قد وقع الأمر طبق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام ، وفيه الحكم بإسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق ، لا كما يزعمه فرقة الرافضة والجهلة الطغام من تكفيرهم أهل الشام ، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين إلى الحق ، **وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، أن علياً هو المصيب** ، وإن كان معاوية مجتهداً ، وهو مأجور إن شاء ا لله ، ولكن علي هو الإمام ، فله أجران ، كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمرو بن العاص أن رسول ا لله ﷺ قال : (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا

---

(١) فتح الباري (١٣/٣٨) .

(٢) نفسه (١٣/٧٢) .

اجتهد فأخطأ فله أجر) "(١) .

ويقول الألوسي : " وقيل : الخطاب لمن يتأتى منه الإصلاح ومقاتلة الباغي ، فمتى تحقق البغي من طائفة ، كان حكم إعانة المبغي عليه حكم الجهاد ، فقد أخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال : ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت في نفسي من هذه الآية ، يعني ﴿ **وإن طائفتان** ﴾ .. إلخ ، **إني لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله تعالى – يعني معاوية ومن معه – الباغين على علي كرم الله تعالى وجهه** .

وصرّح بعض الحنابلة بأن قتال الباغين أفضل من الجهاد ، احتجاجاً بأن علياً كرم الله تعالى وجهه اشتغل في زمان خلافته بقتالهم دون الجهاد، والحق أن ذلك ليس على إطلاقه ، بل إذا خشي من ترك قتالهم مفسدة عظيمة دفعها أعظم من مصلحة الجهاد "(٢) .

---

(١) البداية والنهاية (٧/٢٩٠) .

(٢) روح المعاني (١٦/١٥١) .

المطلب الثاني

يزول مع الحق حيث زال

أخرج ابن عساكر بسنده إلى عبد السلام بن صالح ، نا أبو بكر - يعني ابن عياش -، نا عمر بن سعيد أخو سفيان الثوري ، عن عمار الدهني ، عن سالم بن أبي الجعد ، قال :

" جاء رجل إلى عبد الله ، فقال : إن الله أجار أهل الإسلام من الظلم ، ولم يجرهم من الفتن ، فإن وقع فما تأمرني ؟ فقال : انظر **عمار ابن ياسر** أين يكون فكن معه ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**عمار** يزول مع الحق حيث يزول) "[1] .

وأخرج كذلك بإسناده عن مسلم عن حبَّه ، قال : قال حذيفة : " الزموا ابن سمية ، فإنه يزول مع الحق حيث زال "[2] .

وقد ذكر هذا الحديث صاحب كنز العمال برقم (٣٣٥٢٦) وأشار أنه عند ابن عساكر ، وكان قد ذكر في مقدمة كتابه أن كل ما رمز له بما يفيد أنه عند ابن عساكر في تاريخه ، فهو ضعيف .

---

(١) تاريخ دمشق (٤١/٤٠٦) .

(٢) نفسه (٤٣/٤٠٨) .

وذكره السيوطي في الجامع الصغير ورمز إلى ضعفه[١] ، وأورد شاهداً له من حديث علي ، وهو أيضاً عند ابن عساكر في تاريخه عن النزال بن سبْرة الهلالي ، قال :

" وافقنا من علي بن أبي طالب ذات يوم طيب نفس ، فقلنا له : يا أمير المؤمنين ، حدثنا عن **عمار بن ياسر** ، قال : ذاك امرؤ سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**عمار** خلط الله الإيمان ما بين قرنه إلى قدمه ، وخلط الإيمان بلحمه ودمه ، يزول مع الحق حيث زال ، وليس للنار أن تأكل منه شيئاً) " . وقد رمز السيوطي إلى حسنه[٢] .

ويشهد له ما ذكره الهيثمي في المجمع ، عن قيس بن أبي حازم :

" أن علياً قيل له : حدثنا عن **عمار بن ياسر** . قال : امرؤ خلط الإيمان بلحمه ودمه وشعره وبشره ، حيث زال الحق زال معه ، لا ينبغي للنار أن تأكل منه شيئاً " [٣] .

إلا أن الألباني قد ذكر الحديثين في كتابه ضعيف الجامع الصغير[٤] .

---

(١) فيض القدير (٥/٢٨٠) .

(٢) نفسه (٥/٢٨٠) .

(٣) مجمع الزوائد (٩/١٥٧-١٥٨) قال الهيثمي : " رواه الطبراني من طريقين ، وفي أحسنهما حبان بن علي ، وقد اختلف فيه ، وبقية رجالها رجال الصحيح " .

(٤) ضعيف الجامع الصغير رقم (٣٨١٧) (٣٨١٦) .

هذه هي حال هذا الحديث ، غير أن أحاديث كثيرة رويت في معناه، مما يرجح تقويته ووصوله إلى درجة الحسن التي حكم بها السيوطي عليه ، ومنها :

ما أخرجه الحاكم ، قال : حدثني علي بن عيسى الحيري ، ومحمد ابن موسى الصيدلاني، قالا : ثنا إبراهيم بن أبي طالب ، ثنا أبو كريب ، ويعقوب الدورقي ، قالا : ثنا وكيع ، عن سفيان ، عن عمار بن معاوية الدهني ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن عبد الله بن مسعود ، قال :

قال رسول الله ﷺ : (ابن سمية ما عُرض عليه أمران قط إلا أخذ بالأرشد منهما) .

قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين - إن كان سالم بن أبي الجعد سمع من عبد الله بن مسعود - ولم يخرجاه ، وله متابع من حديث عائشة رضي الله عنها ، ووافقه الذهبي ، كما ذكر المحقق[1] .

ومنها حديث عائشة الذي أخرجه الحاكم أيضاً ، قال : أخبرناه أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي ، ثنا سعيد بن مسعود ، ثنا عبيد الله بن موسى ، ثنا عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عطاء بن يسار ، عن عائشة قالت :

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٣/٤٣٨) ، وانظر : البداية والنهاية (٨/٢٨٢) .

قال رسول الله ﷺ : (عمار ما عُرض عليه أمران إلا اختار أرشدهما) . وقد صححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، كما ذكر المحقق[1].

وعن عبد الله - يعني ابن مسعود - ، عن النبي ﷺ قال : (إذا اختلف الناس فإن ابن سمية مع الحق)[2] .

ومنها ما أخرجه الحاكم ، قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا عبيد الله بن محمد بن شاكر ، ثنا أبو أسامة ، ثنا مسلم بن عبد الله الأعور ، عن حبة العرني ، قال :

" دخلنا مع أبي مسعود الأنصاري على حذيفة بن اليمان أسأله عن الفتن ، فقال : دوروا مع كتاب الله حيث دار ، وانظروا الفئة التي فيها ابن سمية فاتبعوها ، فإنه يدور مع كتاب الله حيثما دار ، قال : فقلنا له : من ابن سمية ؟ قال : عمار ، سمعت رسول الله ﷺ يقول له : (لن تموت حتى تقتلك الفئة الباغية ، تشرب شربة ضياح ، تكن آخر رزقك من الدنيا) " .

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٤٣٨/٣) ، وانظر : سنن الترمذي رقم (٣٧٩٩) ، والسلسلة الصحيحة (٥١١/٢، ٥١٢) رقم (٨٣٥) .

(٢) مجمع الزوائد (٢٤٣/٧) . قال الهيثمي : " رواه الطبراني ، وفيه ضرار بن صُرد ، وهو ضعيف " .

قال الحاكم : " هذا حديث صحيح عال ، ولم يخرجاه . وقال الذهبي في التلخيص ، كما ذكر عنه المحقق : صحيح[1] .

ومنها ما أخرجه البخاري بسنده عن إبراهيم ، قال : " ذهب علقمة إلى الشام ، فلما دخل المسجد قال : اللهم يسر لي جليساً صالحاً ، فجلس إلى أبي الدرداء ، فقال أبو الدرداء : ممن أنت ؟ قال : من أهل الكوفة . قال : أليس فيكم - أو منكم - صاحب السر الذي لا يعلمه غيره ؟ - يعني حذيفة - . قال : قلت : بلى . قال : أليس فيكم - أو منكم- الذي أجاره الله على لسان نبيه ﷺ ؟ يعني من الشيطان ، يعني عماراً . قلت : بلى "[2] .

قال الحافظ في الفتح في شرح هذا الحديث : " زعم ابن التين بقوله - على لسان نبيه - قول النبي ﷺ : (ويح عمار ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) ، وهو محتمل ، ويحتمل أن يكون المراد بذلك حديث عائشة مرفوعاً : " ما خير عمار بين أمرين إلا اختار أرشدهما " . أخرجه الترمذي ، ولأحمد من حديث ابن مسعود مثله أخرجهما الحاكم، فكونه يختار أرشد الأمرين دائماً يقتضي أنه قد أجير من الشيطان الذي

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٣/٤٤٢) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣٧٤٣) .

من شأنه الأمر بالبغي "[١] .

أقول : وكونه يختار أرشد الأمرين دائماً يقتضي أنه يزول مع الحق حيث زال .

ودلالة هذه الأحاديث بمجموعها تدور في فلك : (عمار تقتله الفئة الباغية) ، وتوحي بحب عمار للحق ، وتوفيق الله له في إصابته ، وحبه لنصرته ، والكينونة معه، ونفرته من الباطل في شتى صوره ، ومنها البغي، مما يثبت المعنى الذي أراده النبي ﷺ من حديث : (تقتله الفئة الباغية) .

وحرص صحابة النبي ﷺ على اتباع عمار في أودية صفين - كما قد ذكرنا عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قال : " فكان عمار بن ياسر علماً لأصحاب محمد ﷺ ، لا يسلك عمار وادياً من أودية صفين إلا تبعه أصحاب محمد ﷺ - يدل على اهتمامهم بفحوى المعاني التي ذكرتها هذه الأحاديث .

ويشكل على ما ذكرناه ما حصل من عمار رضي الله عنه في خلافة عثمان رضي الله عنه ، فلقد عُلم من النبي ﷺ أن عثمان على الحق في الفتنة ، وأن كل من خالفه قد فارق السداد .

فقد أخرج الترمذي في جامعه ، قال : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا

---

(١) فتح الباري (٧/١١٥-١١٦) .

عبد الوهاب الثقفي ، حدثنا أيوب ، عن قلابة ، عن أبي الأشعث الصنعاني : " أن خطباء قامت بالشام، وفيهم رجال من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقام آخرهم رجلٌ يقال له مُرة بن كعب ، فقال : لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما قمت ، وذكر الفتن فقربها ، فمر رجل مقنع في ثوب فقال : هذا يومئذ على الهدى ، فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان ، قال : فأقبلت عليه بوجهه فقلت : هذا ؟ قال : نعم .

قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة[١] .

ويزول الإشكال بالأحاديث التي استثنت إصابة عمار رضي الله عنه وزواله مع الحق في بعض الظروف ، فقد ذكر الهيثمي في المجمع عن بلال بن يحيى قال : " لما قتل عثمان رضي الله عنه أتى حذيفة فقيل له : يا أبا عبد الله ، قتل هذا الرجل وقد اختلف الناس فيما يقول ، قال : أسندوني ، فأسندوه إلى ظهر رجل ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أبو اليقظان على الفطرة لا يدعها حتى يموت أو يمسه الهرم) " رواه البزار والطبراني في الأوسط باختصار ، ورجالهما ثقات[٢] .

---

(١) سنن الترمذي رقم (٣٧٠٤) (٦٢٨/٥) .

(٢) مجمع الزوائد (٢٩٥/٩) .

وفي رواية : (أو يلبسه الهرم) ، وفي رواية : (أو ينسيه الهرم) .

وذكر الذهبي في السير - وهو عند الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي ، عن مسروق ، عن عائشة ، قالت : " انظروا عماراً فإنه يموت على الفطرة ، إلا أن تدركه هفوة من كِبَر "[١] .

وعندما سئل علي رضي الله عنه عن عمار ، قال : " مؤمن نسي ، إذا ذكرته ذكر ، وقد حشي ما بين قرنه إلى كعبه إيماناً "[٢] .

إن الحق هو الذي يحكم تصرفات عمار رضي الله عنه ، فهو يعمل به ما دام يظن أنه الحق ، وميزه النبي صلى الله عليه وسلم عن غيره بإصابته للحق دائماً ، غير مرة واحدة هفا فيها فأخطاه ، ولم يطل غيابه عنه ، حيث عاد فرافقه - عندما ذكّر - من جديد ، وظل معه إلى أن توفاه الله .

---

(١) المستدرك على الصحيحين (٣/٤٤-٤٤٥) . وانظر : سير أعلام النبلاء (١/٤١٧) .

(٢) مجمع الزوائد (٩/١٥٧) . وقال الهيثمي : " رواه الطبراني من طريقين ، وفي أحسنهما حبان بن علي ، وقد اختلف فيه ، وبقية رجالهما رجال الصحيح " .

المطلب الثالث

إنما قتله من جاء به

" في هذا الجو المكفهر (جو مقتل عثمان) ، تباعد الاجتهاد ، وتشتت الآراء ، وصار الحليم في الأمة حيران لا يهتدي إلى سبيل ، لقد جاءت الفتن تجر بعضها بعضاً .

بعث علي عماله على الأمصار ، فبعث عثمان بن حنيف على البصرة ، وعمارة بن شهاب على الكوفة - وكانت له هجرة - وعبيد الله بن عباس على اليمن ، وقيس بن سعد على مصر ، وسهل بن حنيف على الشام . فأما سهل ، فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل ، فقالوا :

-من أنت ؟

- أمير .

- على أي شيء ؟؟.

- على الشام .

- إن كان عثمان بعثك فحيهلا بك ، وإن كان بعثك غيره فارجع.

-أو ما سمعتم بالذي كان ؟ .

- بلى .

فرجع إلى علي "[١] .

" ولما رجع سهل بن حنيف من طريق الشام ، وأتته الأخبار ، ورجع من رجع . وكان رسول أمير المؤمنين إلى معاوية سبرة الجهني ، فقدم عليه، فلم يكتب معاوية بشيء ، ولم يجبه، ولبث رسوله . وجعل كلما تنجز – طلب الإنجاز – جوابه لم يزد على قوله :

أدم إدامة حصن أو خُداً بيدي   حرباً ضروساً تشبّ الجَزل والضرما

في جاركم وابنكم إذ كان مقتله   شنعاء شيّبت الأصداغ واللمما

أعيا المسود بها والسيدون فلم   يوجد لها غيرنا مولى ولا حكما

لقد كان آخر لقاء لنا مع معاوية يوم ودع المدينة وأوصى علياً وطلحة والزبير بأمير المؤمنين عثمان ، أما الآن ! فهو يعلنها حرباً شعواء تأكل الأخضر واليابس ، من أجل قتل أمير المؤمنين عثمان ، وهو سيحمل لواء هذه الحرب ، ولن يغمض له جفن حتى يثأر للخليفة الشهيد .

وكانت الخطوة الثانية من هذا الإعلان الحربي السافر ، رسول معاوية إلى علي : "حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر سنة ٣٦ ، دعا معاوية برجل من بني عبس ، ثم أحد بني رواحة – يدعى

---

(١) نقله المؤلف عن الطبري (٤٦٢/٣) . السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة .

قبيصة - فدفع إليه طوماراً مختوماً عنوانه : من معاوية إلى علي. فقال له : إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار . ثم أوصاه بما يقول ، وسرّح رسول علي ، وخرجا ، فقدما المدينة في ربيع الأول لغرته . فلما دخلا المدينة رفع العبسي الطومار كما أمره ، وخرج الناس ينظرون إليه ، فتفرقوا إلى منازلهم وقد علموا أن معاوية معترض . ومضى حتى يدخل على علي ، فدفع إليه الطومار ، ففض خاتمه ، فلم يجد في جوفه كتابة .

فقال للرسول : ما وراءك ؟ .

الرسول : آمن أنا ؟؟

علي : نعم ، إن الرسل آمنة لا تقتل .

الرسول: ورائي أني تركت قوماً لا يرضون إلا بالقوَد -القصاص- .

علي : ممن ؟ ؟ .

الرسول : من خَيْط نفسك . وكظم عليٌّ انفعاله ، بينما تابع الرسول : وتركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان ، وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر دمشق .

علي : مني يطلبون دم عثمان ؟ ! ألست موتوراً كتِرة عثمان ؟ ! اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان . نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمراً أصابه .

ثم قال للرسول : اخرج .

الرسول : وأنا آمن ؟ .

علي : وأنت آمن .

فخرج العبسي ، وصاحت السبئية ، هذا كلب ، هذا وافد الكلاب ، اقتلوه .

فنادى : يا آل مضر ، يا آل قيس الخيل والنبل ، إني أحلف با لله جلّ اسمه ليردنها عليكم أربعة آلاف خصي ، فانظروا كم الفحولة والركاب . وتعاوَوا عليه ، ومنعته مضر"(١) .

" هذه هي الصورة عما جرى في المدينة لدى أهل الشام ، الثائرون قتلوا عثمان ، ولجؤوا إلى علي فبايعوه ، فمما لا شك فيه أن هناك تواطؤاً بين الثوار وعلي ، وأن له هوى في قتل ذي النورين . أما بيعة أهل المدينة فلا يعتد بها ؛ لأن الثوار هم المسيطرون على المدينة ، فيستطيعون تنفيذ ما يريدون ، وأن يجبروا أهل المدينة على البيعة التي يحبون ؛ لأن سيوف الثوار مسلطة على رقابهم ، ولو كان أهل المدينة قادرين على شيء من أمورهم لأمكنهم حماية عثمان .

وإن خروج طلحة والزبير وعائشة - وهم من كبار أصحاب رسول الله ﷺ -لدليل أكيد على أن أهل المدينة لا يملكون من أمرهم شيئاً ،

---

(١) نقله المؤلف عن الطبري (٣/٤٦٤) ، السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة .

خاصة وأن بني أمية قد هربوا من المدينة قبل أن تتم بيعة علي ، ولم يكن بينهم أحد شهد ظروف البيعة ، وتمنّع علي رضي الله عنه عنها عندما كانت في أيدي الثوار ، ولم يشهدوا زحف أهل المدينة إليه ، ورجاءهم الحار له أن يقبل الخلافة حتى لا يمكثوا تحت رحمة الثوار ، ولا يبقى المسلمون بدون أمير ، وتفترق الأهواء وتتشعب الآراء .

لم يشهد الفارون من بني أمية إلى الشام هذه الصورة النقية التي تشهد لابن أبي طالب بصحة بيعته .

لقد شهد نقلة الخبر إلى معاوية بقتل عثمان ، شهدوا سيوفاً مصلتة على رقابهم ، وبيت المال منتهكاً مسلوباً من هؤلاء الحاقدين ، وأصابع نائلة المقطوعة رضي الله عنها، وشهدوا إرهاباً وتسلطاً حال بينهم وبين دفن عثمان في مقابر المسلمين، فلا غرابة أن تنتقل هذه الصورة إلى الشام، فتتهيج لها النفوس والعواطف ، وتشتعل القلوب ، خصوصاً وأن هذه الصورة لا بد أنها حملت مبالغات وتصورات وأخباراً يصعب تمحيصها . هذا بالإضافة إلى خروج المسلمين في مكة والبصرة ، مما جعل الأمر يقبل لدى معاوية اتهام علي رضوان الله عليه بالسكوت على دم عثمان .

على أساس هذه القاعدة يمكننا أن نفهم إصرار معاوية رضي الله عنه على الحرب للثأر بدم الخليفة الشهيد . وهو موقف لمعاوية متناسب تمام التناسب مع كل مواقفه السابقة ، خصوصاً موقفه يوم عرض على

عثمان رضي الله عنه المسير إلى الشام ، أو إمداده بجيوش لحمايته في المدينة . إنه موقف طبيعي ومنطقي ، وانطلاقاً من هذه القاعدة التي ذكرناها . كما أن الظروف مكنته من أن يسبر أغوار المشاغبين الذين كانوا يرسلون إلى الشام من قبل الخليفة الراحل ؛ لتأديبهم وتوجيههم ، وعرف يومها أنهم طلاب فتنة ، لا طلاب حق .

لا غرابة بعد هذا إطلاقاً أن نرى إصرار معاوية ومعه المسلمون في الشام جميعاً على انتزاع السلطة المغصوبة من الثوار ، والتنكيل بهم جزاء الجريمة التي فاقت كل الجرائم بمقتل الخليفة العظيم ، بل الغرابة أن يكون الموقف غير ذلك .

وهل نتصور أن يتم مقتل أمير المؤمنين وسيد المسلمين من حاقدين محتلين متآمرين ، ولا يتماوج العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه للثأر من أصحاب هذه الجريمة البشعة ؟ ! .

وهكذا تجري الأمور عندما تقع في الأمة الفتن، فلا يمكن لطرف أن يفهم الطرف الآخر ويلتقي معه، ويتعرف على ظروفه وملابساته ودوافعه، ويكون للعواطف دور كبير في تأزيم القضايا وتعقيد الخلاف"[1] .

وتقع الحرب ، ويقتل عمار ، فماذا يكون موقف معاوية يا ترى من

---

(١) معاوية بن أبي سفيان (ص ١٧٨-١٨٣) .

حديث (تقتل عماراً الفئة الباغية) ؟ .

" لم يكن حديث مقتل عمار رضي الله عنه مجهولاً بين المسلمين الأوائل الذين شهدوا فجر الرسالة وأحداثها الأولى ، بل وحتى المتأخرين منهم ، ولكن معاوية رضي الله عنه عاش مع الدعوة نزراً يسيراً بعد الفتح ، ومضى يجاهد في سبيل الله ، فليس غريباً ألا يشهد ولا يسمع هذا الحديث إلا في الحرب .

وقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه ، فماذا كان صدى مقتله في جيش المسلمين بالشام ؟ لقد كان عمرو بن العاص يعلم هذا الحديث ، وكان لا يدري من الذي سيقتل عماراً ، إنه وإن كان في جيش علي ، فقد ينقض عليه رجل من جيش علي ويقتله ، تماماً كما حصل للزبير بن العوام رضي الله عنه ، فلم يقتله رجل من جيش علي ، بل قتله رجل من أهل الجمل !! .

فما إن بلغ عمراً رضي الله عنه مقتل عمار وهو في جيش علي ، حتى قطع ظنه اليقين . ولعل اقتراحه رفع المصاحف ، والرغبة في الصلح ناتج عن هذا الموقف النفسي ، ومحاولة التكفير عن هذه الخطيئة .

وبين أيدينا رواية لابن جرير نجت من بين يدي أبي مخنف التالف ، فلم تصله ، ولم يشترك في روايتها ، وهي تعطينا صورة حية عن أثر مقتل عمار في جيش المسلمين بالشام ، وسنسوقها كاملة "[١] .

---

(١) معاوية بن أبي سفيان (ص ٢٠٧-٢٠٨) .

ويسوق المؤلف رواية أبي عبد الرحمن السلمي التي ذكرتها في تحقيق (تقتله الفئة الباغية) ، إلى أن يقول معاوية لعمرو : " إنك شيخ أخرق ، ولا تزال تحدث بالحديث ، وأنت تدحض في بولك ، أوَ نحن قتلنا **عماراً** ؟ إنما قتل **عماراً** من جاء به " . فلا أدري من كان أعجب ، هو أو هم[١] .

" وثقة معاوية ﷺ أنه على الحق لا تقبل النقاش عنده ، ولا غرابة أن يفهم النص أو يؤوله بهذه الصورة ، فلا يمكن لمعاوية أن يتصور أن قتلة عثمان على الحق .

وصورة **عمار** في ذهنه مشوهة أيما تشويه ، **فعمار** إن لم يقتل عثمان فقد كان من المؤلبين والمحرضين عليه ، ولا يمكن أن يتطرق إلى ذهنه أدنى شك في أن الفئة الباغية هي التي قتلت عثمان ، وجميعها في جيش علي . حتى ولا غرابة في تجاوب الناس مع أميرهم معاوية ، فمقتل عثمان ، والصورة البشعة التي تم بها القتل كانت كافية لتصرف البغي عنده نحو جيش علي ، ففي ذلك الجيش من بغى على الخليفة ، بل وقتله.

ونحن نقول : إن التأويل بعيد عن مجموع النصوص التي وردت في هذا الموضوع ، وإن **عماراً** ﷺ خرج قانعاً مختاراً بصحة هذه الحرب ،

---

(١) نقله المؤلف عن الطبري (٤/٢٨-٢٩) .

كما قال : " والذي نفسي بيده ، لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر؛ لعرفت أن مصلحينا[1] على الحق ، وأنهم على الضلالة " .

فأمير المؤمنين علي رضي الله عنه أولى بالحق من معاوية ، وهو أدرى الناس بملابسات خلافته ، والطريقة التي تمت بها بيعته . ولكنا نقول لمن يرسل لسانه في حق معاوية رضي الله عنه إن كان من أهل الصدق والتقى والصلاح ، ما قاله أبو بكر رضي الله عنه لعمر يوم تكلم في حق خالد وطالب بعزله: " تأول فأخطأ، كف لسانك عن خالد ، لا أشيم سيفاً سله الله على المشركين ".

وأما إن كان من أهل الهوى والضلالة، فحسيبه رب العالمين.

إن جل الصحابة والتابعين قد فهموا من قول رسول الله ﷺ لعمار: (تقتلك الفئة الباغية) أن المقصود : جيش معاوية رضي الله عنه ، مع أنهم معذورون في اجتهادهم ، فهم يقصدون الحق ويريدونه ، لكنهم لم يصيبوه، وفئة علي أولى بالحق منهم ، كما قال عليه الصلاة والسلام "[2].

ومع أن الأئمة لم يعجبهم تأويل معاوية - كما سأنقل - إلا أنهم

---

(١) " لقد كان عمار رضي الله عنه عميق الغور حين استعمل هذه العبارة : " لعرفت أن مصلحينا على الحق " ، فهو يؤكد أن المصلحين في الجيش على الحق ، وليس كل أفراد الجيش . إن فيهم الانتهازيون ، وقتلة عثمان ، ومن هذا الجيش نفسه كانت الخوارج " . هامش كتاب معاوية بن أبي سفيان (ص ٢١٢) .

(٢) معاوية بن أبي سفيان (ص ٢١٠-٢١٤) .

عذروه في اجتهاده . فها هو ابن حجر يقول في قوله ﷺ : (يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) : " فإن قيل : كان قتله بصفين وهو مع علي ، والذين قتلوه مع معاوية ، وكان معه جماعة من الصحابة ، فكيف يجوز عليهم الدعاء إلى النار ؟ . فالجواب : أنهم كانوا ظانين أنهم يدعون إلى الجنة ، وهم مجتهدون لا لوم عليهم في اتباع ظنونهم . فالمراد بالدعاء إلى الجنة الدعاء إلى سببها ، وهو طاعة الإمام . وكذلك كان عمار يدعوهم إلى طاعة علي ، وهو الإمام الواجب الطاعة إذ ذاك ، وكانوا هم يدعون إلى خلاف ذلك ، لكنهم معذورون للتأويل الذي ظهر لهم "[1] .

وأطال ابن حزم رحمه الله النفس في الاعتذار لمعاوية ، وذكر كلاماً طويلاً مفاده أن الاجتهاد هو الذي حمل معاوية على رفض البيعة إلى أن يؤخذ القوَد من قتلة عثمان ، وأنه الأحق بطلب دمه ، وأن خطأه فقط في تقديمه ذلك على البيعة ، فله أجر الاجتهاد في ذلك . ثم تعجب ممن يجيز الاجتهاد في الدماء والفروج والأبشار والأموال والشرائع التي يدان الله بها ، من تحريم وتحليل وإيجاب ، ويعذر المخطئين في ذلك ، ويرى ذلك مباحاً لهم ، ثم يضيق سبل الاجتهاد على من له الصحبة والفضل والعلم

---

(١) فتح الباري (٦٤٥/١) .

والتقدم والاجتهاد ، كمعاوية وعمرو ومن معهما من الصحابة رضي الله عنهم[١] .

وقال القرطبي : " وقال الإمام أبو المعالي في كتاب الإرشاد ، فصل : علي رضي الله عنه ، كان إماماً حقاً في توليته ، ومقاتلوه بغاة ، وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير وإن أخطأوه "[٢] .

وبعد أن عرفنا وجهة نظر معاوية رضي الله عنه في تأويله ، وما دفعه إليها ، لنتعرف على رأي علي رضي الله عنه فيما قاله معاوية ، وهو رأي ذكي ينم عن فطنة وسرعة بديهة .

قال القرطبي : " وقد أجاب علي رضي الله عنه عن قول معاوية بأن قال : فرسول الله ﷺ إذن قتل حمزة حين أخرجه ، وهذا من علي رضي الله عنه إلزام ، لا جواب عنه ، وحجة لا اعتراض عليها . قاله الإمام الحافظ أبو الخطاب ابن دحية "[٣] .

وأئمتنا في ذلك كله مع علي رضي الله عنه في رده ، وكان لهم موقفهم المشابه لموقفه من هذا التأويل :

قال ابن كثير : " فقول معاوية : إنما قتله من قدمه إلى سيوفنا ، تأويل بعيد جداً ، إذ لو كان كذلك ؛ لكان أمير الجيش هو القاتل للذين

---

(١) الفصل (٣/٨٥) .

(٢) التذكرة (٢/٢٢٢) .

(٣) نفسه (٢/٢٢٣) .

يقتلون في سبيل الله ، حيث قدمهم إلى سيوف الأعداء "[١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر تأويل معاوية ورد علي عليه : " وهذا القول لا أعلم له قائلاً من أصحاب الأئمة الأربعة ونحوهم من أهل السنة ، ولكن هو قول كثير من المروانية ومن وافقهم "[٢] .

وقال ابن القيم معلقاً على هذا التأويل : " نعم التأويل الباطل تأويل أهل الشام قوله ﷺ لعمار : (تقتلك الفئة الباغية) فقالوا : نحن لم نقتله، إنما قتله من جاء به حتى أوقعه بين رماحنا ، فهذا هوالتأويل الباطل المخالف لحقيقة اللفظ وظاهره ، فإن الذي قتله هو الذي باشر قتله ، لا من استنصر به "[٣] .

---

(١) البداية والنهاية (٦/٢٢١) .

(٢) منهاج السنة (٤/٤٠٦) .

(٣) الصواعق المرسلة (١/١٨٤،١٨٥) .

المطلب الرابع

(القاعد فيها خير من القائم)

● **أحاديث الفتنة :**

أخرج البخاري بإسناده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : (ستكون فتن ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرَّف لها تستشرفه ، فمن وجد منها ملجأً أو معاذاً فليعُذ به)[١] .

وأخرج أيضاً بإسناده عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، قال : " ذهبت لأنصر هذا الرجل ، فلقيني أبو بكرة ، فقال : أين تريد ؟ قلت : أنصر هذا الرجل ، قال : ارجع ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار) . فقلت : يا رسول الله ! هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ . قال : (إنه كان حريصاً على قتل صاحبه) "[٢] .

وأخرج بإسناده أيضاً عن أبي سعيد الخدري أنه قال : " قال

---

(١) صحيح البخاري رقم (٧٠٨١-٧٠٨٢) .

(٢) صحيح البخاري رقم (٣١) . وأخرجه مسلم برقم (٢٨٨٨) .

رسول الله ﷺ : (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر ، يفر بدينه من الفتن) "[١] .

هذه الأحاديث وغيرها مما يتعلق بالفتن احتج بها من رأى أن الحق فيما وقع أيام علي من الحروب مع معتزليها .

قال الحافظ في حديث إذا التقى المسلمان : " واحتج به من لم ير القتال في الفتنة ، وهم كل من ترك القتال مع علي في حروبه ، كسعد بن أبي وقاص ، وعبد الله بن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، وأبي بكرة ، وغيرهم .

• المقصود من الفتن في الأحاديث :

ولكي نفهم المراد من هذه الأحاديث لا بد من دراسة يتبين لنا فيها المقصود بالفتنة التي حثت الأحاديث على اعتزالها . ولعل أفضل من يبين المقصود منها من حذر منها ﷺ :

فعن ابن مسعود ﷺ : " عن النبي ﷺ قال : (تكون فتنةٌ ، النائم فيها خير من المضطجع ، والمضطجع فيها خير من القاعد ، والقاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الراكب ، والراكب فيها خير من المُجري ، قتلاها كلها في النار) . قلت

---

(١) صحيح البخاري رقم (١٩) .

يا رسول الله ، ومتى ذلك ؟ قال : (ذلك أيام الهرج) . قلت : ومتى أيام الهرج ؟ قال : (حين لا يأمن الرجل جليسه) . قلت : فما تأمرني إن أدركت ذلك ؟ قال: (كف يدك ولسانك وادخل دارك) .. "[١] .

وعن أبي الغادية المزني قال : " قال رسول الله ﷺ : (ستكون فتن غلاظ شداد خير الناس فيها مسلمو أهل البوادي الذي لا يتندَّون من دماء الناس ولا أموالهم شيئاً) "[٢] .

ووصف ابن عمر رضي الله عنه الفتنة بقوله : " في الفتنة لا ترون القتل شيئاً "[٣] .

قال الحافظ في الفتح : " والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك ، حيث لا يعلم المحق من المبطل "[٤] .

وقال الجصاص : " فإن احتجوا بما روي عن النبي ﷺ ، قال :

---

(١) مجمع الزوائد (٣٠٢/٧) . قال الهيثمي : " رواه أبو داود باختصار - رواه أحمد بإسنادين ورجال أحدهما ثقات " .

(٢) مجمع الزوائد (٣٠٤/٧) . قال الهيثمي : " رواه الطبراني في الأوسط والكبير ، وفيه حبان بن حجر ، و لم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات " .

(٣) مجمع الزوائد (٢٩٣/٧) . قال الهيثمي : " رواه أحمد ، ورجاله رجال الصحيح غير يحيى بن حبان ، ووثقه ابن حبان ".

(٤) فتح الباري (٣٤/١٣) .

(ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي) ، قيل له : إنما أراد الفتنة التي يقتتل الناس فيها على طلب الدنيا وعلى جهة العصبية والحمية من غير قتال مع إمام تجب طاعته "[١] .

وقال القرطبي : " فحديث أبي بكرة محمول على ما إذا كان القتال على الدنيا ، وقد جاء هكذا منصوصاً فيما سمعناه من بعض مشايخنا : (إذا اقتتلتم على الدنيا فالقاتل والمقتول في النار) خرجه البزار "[٢] .

وقال النووي : " وأما كون القاتل والمقتول من أهل النار ، فمحمول على من لا تأويل له ، ويكون قتالهما عصبية ونحوها " [٣] .

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز في حديث أبي هريرة المتقدم : " هذه الفتنة هي الفتن التي لا يظهر وجهها ، ولا يعلم طريق الحق فيها ، بل هي ملتبسة ، فهذه يجتنبها المؤمن ، ويبتعد عنها بأي ملجأ "[٤] .

وقال الدكتور محمد هيكل في معنى الفتنة : " هو القتال غير المشروع بين الطائفتين أو أكثر من المسلمين .. " ، ثم قال : " .. وهذا القتال غير المشروع الذي يسمى قتال الفتنة ينطبق على حالات من القتال

---

(١) أحكام القرآن (٥/٢٨١) .

(٢) التذكرة (٢/٢٣٣) .

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/٢٢٧) .

(٤) بيعة علي بن أبي طالب (ص ٢٣٥) نقلاً عن فتاوى ومقالات متنوعة (٦/٨٧) .

ذكرها العلماء ، فقد نقل الشوكاني عن الإمام النووي هاتين الحالتين :

١ - حالة عدم ظهور المحق من المبطل في القتال ، وهنا يكون قتال الفتنة هو في حق من يشترك في هذا الصراع المسلح عن جهل أو لهوى أو لعصبية أو لأي غرض ، وهو لا يدري من المحق من المبطل . أما الأطراف الأصلية المتنازعة ، فلها حكمها من كونها طائفة عادلة أو باغية ، على حسب الدافع لها على استعمال السلاح .

٢ - حالة كون الطائفتين المتصارعتين ظالمتين ، ولا تأويل لواحدة منهما.

٣ - وفي بدائع الصنائع حالة ثالثة ، هي التي يعبر عنها الكاساني بقوله : وما روي عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه إذا وقعت الفتنة بين المسلمين ، فينبغي للرجل أن يعتزل الفتنة ويلزم بيته ، محمول على وقت خاص ، وهو ألا يكون إمام يدعوه إلى القتال ، وأما إذا كان فدعاه ، يفترض الإجابة .

٤ - وذكر الشوكاني عن بعضهم حالة رابعة ، هي القتال في طلب الملك، أي : الصراع غير المشروع على السلطة "[١] .

• **هل ما حصل في عهد علي من باب الفتنة ؟ :**

وإذا كان هذا هو رأي الأئمة في قتال الفتنة ، فما مدى انطباق هذه

---

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (١/١٤٦-١٤٧) .

الأوصاف على ما جرى في عهد علي ﷺ من حروب ؟ .

إن ما حصل بين علي وأصحاب الجمل أو بينه وبين معاوية كان واضح الهدف ، مبرر الدوافع ، والدواعي على حصوله كثيرة . وها أنا أنثرها في ثنايا هذه الأقوال :

قال ابن حزم : " قد علمنا أن من لزمه حق واجب وامتنع من أدائه، وقاتل دونه ، فإنه يجب على الإمام أن يقاتله وإن كان متأولاً ، وليس ذلك بمؤثر في عدالته وفضله ، ولا بموجب له فسقاً ، بل هو مأجور لاجتهاده ونيته في طلب الخير "[١] .

وقال الشيخ ابن باز بعد إيراد أحاديث الفتن : " فالمقصود أن هذا عند خفاء الأمور ، وعند خوف المؤمن على نفسه يجتنبها . **أما إذا ظهر له الظالم من المظلوم ، والمبطل من المحق، فالواجب أن يكون مع المحق ومع المظلوم ضد الظالم وضد المبطل . كما قال ﷺ : " (انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً) . قيل : يا رسول الله ، كيف أنصره ظالماً ؟ قال : (تحجزه عن الظلم ، فذلك نصره) " . أي منعه من الظلم هو النصر ،** ولما وقعت الفتنة في عهد الصحابة ﷺ ، اشتبهت على بعض الصحابة من أجل أحاديث الفتن ، كسعد بن أبي وقاص ، ومحمد بن مسلمة ،

---

(١) الفصل (٨٦/٣) .

وجماعة ﷺ . ولكن فقهاء الصحابة الذين كان هم من العلم ما هو أكمل قاتلوا مع علي ؛ لأنه أولى الطائفتين بالحق ، وناصروه ضد الخوارج وضد البغاة الذين هم من أهل الشام ، لما عرفوا الحق وأن علياً مظلوم وأن الواجب أن ينصر ، وأنه هو الإمام الذي يجب أن يتبع، وأن معاوية ومن معه بغوا عليه بشبهة قتل عثمان ، وا لله جل وعلا يقول في كتابه العظيم :﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي ﴾ . ما قال : فاعتزلوا ، قال : ﴿ فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر ا لله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن ا لله يحب المقسطين ﴾. فإذا عُرف الظالم وجب أن يُساعد المظلوم ؛ لقوله سبحانه :﴿ فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر ا لله ﴾ . والباغون في عهد الصحابة : معاوية وأصحابه ، والمعتدلة علي وأصحابه ، فبهذا نصرهم أعيان الصحابة ، نصروا علياً ، وصاروا معه كما هو معلوم " .

ثم قال : " .. فكل فتنة تقع على يد أي إنسان من المسلمين أو من المبتدعة أو من الكفار ينظر فيها ، فيكون المؤمن مع الحق ، ومع المظلوم ضد الظالم ، وضد المبطل ، وبهذا ينصر الحق ، وتستقيم أمور المسلمين، وبذلك يرتدع الظالم عن ظلمه ، ويعلم طالب الحق أن الواجب التعاون على البر والتقوى ، وعدم التعاون على الإثم والعدوان ، عملاً

بقول الله سبحانه : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾[١] . فقتال الباغي وقتال الكافر الذي قام ضد المسلمين ، وقتال من يتعدى على المسلمين لظلمه وكفره؛ حق وبر ونصر للمظلوم وردع للظالم "[٢] .

" ولا يخفى أن بشارة النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه بأنه سيقاتلهم - أي الذين يتأولون القرآن - فيه دلالة واضحة على شرعية خلافته وصحة بيعته ، -وصواب حربه- ، بل تمنى هذه الفضيلة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فهذه من خصائص علي الكبرى التي امتاز بها عن بقية الخلفاء الراشدين ، ولكن البعض عدَّ هذه الفضيلة رذيلة ، وعدّ قتال البغاة والخوارج فتنة ، ليس فيها محق ولا إمام ، وإنما بمثابة الحروب القبلية والنزاعات الدنيوية "[٣] .

- **حكم نصرة الإمام على من بغى عليه :**

وإذا تقرر ذلك ، فما حكم نصرة الإمام في هذه الظروف ؟ وهل يجوز الاعتزال ؟ .

---

(١) سورة المائدة : الآية (٢) .

(٢) بيعة علي بن أبي طالب (ص ٢٣٦-٢٣٨) نقلاً عن فتاوى ومقالات متنوعة (٦/٨٧) .

(٣) بيعة علي بن أبي طالب (ص ٨١) .

قال الإمام ابن العربي : " وروى ابن القاسم عن مالك : إذا خرج على الإمام العدل خارج ، وجب الدفع عنه ، مثل عمر بن عبد العزيز ، فأما غيره ، فدعه ينتقم الله من ظالم بمثله ، ثم ينتقم من كليهما ، قال تعالى : ﴿ **فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً** ﴾(١) "(٢) .

وقال الطبري فيما نقله عنه الحافظ : " وقال آخرون : إذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت من الواجب عليها ونصبت الحرب ، وجب قتالها . وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على كل قادر الأخذ على يد المخطئ ونصر المصيب ، وهذا قول الجمهور ، وفصل آخرون فقالوا : كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة ، فالقتال حينئذ ممنوع ، وتنزل الأحاديث التي في هذا الباب وغيره على ذلك ، وهو قول الأوزاعي ، قال الطبري : والصواب أن يقال : إن الفتنة أصلها الابتلاء ، **وإنكار المنكر واجب على كل من قدر عليه ، فمن أعان المحق أصاب ، ومن أعان المخطئ أخطأ** ، **وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها** . وذهب آخرون إلى أن الأحاديث – أي التي

---

(١) سورة الإسراء : الآية (٥) .

(٢) أحكام القرآن (١٧٢١/٤) .

ورد فيها الحث على اعتزال الفتن - **وردت في حق ناس مخصوصين ، وأن النهي مخصوص بمن خوطب بذلك** . وقيل إن أحاديث النهي مخصوصة بآخر الزمان ، حيث يحصل التحقق أن المقاتلة إنما هي في طلب الملك ، وقد وقع في حديث ابن مسعود الذي أشرت إليه : " قلت يا رسول الله ، ومتى ذلك ؟ قال : (أيام الهرج) ، قلت : ومتى ؟ قال : (حين لا يأمن الرجل جليسه) "(١) .

وقال ابن حزم : " فإذا بطل الأمر وصح أن علياً هو صاحب الحق ، فالأحاديث التي فيها التزام البيوت وترك القتال ، إنما هي بلا شك فيمن لم يلح له اليقين الحق أين هو ، وهكذا نقول : فإذا تبين الحق ، فقتال الفئة الباغية فرض بنص القرآن ، وكذلك إن كانتا معاً باغيتين ، فقتالهما واجب ؛ **لأن كلام الله عز وجل لا يعارض كلام نبيه** "(٢) .

وقال النووي في أقسام الصحابة في الفتنة : " قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف ، وأن مخالفه باغ ، فوجب عليه نصرته، وقتال الباغي عليه ، فيما اعتقدوا ، ففعلوا ذلك . ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في

---

(١) فتح الباري (١٣/٣٤-٣٥) .

(٢) الفصل (٣/٨٧) .

اعتقاده "[١] .

وقال أيضاً : " وقال معظم الصحابة والتابعين من عامة علماء الإسلام : يجب نصر المحق في الفتن ، والقيام معه بمقاتلة الباغين ، كما قال تعالى : ﴿ **فقاتلوا التي تبغي** ﴾ الآية ، وهذا هو الصحيح . وتتأول الأحاديث على من لم يظهر له المحق ، أو على طائفتين ظالمتين لا تأويل لواحدة منهما ، **ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد واستطال أهل البغي والمبطلون** "[٢] .

وقال الجصاص : " ولم يختلف أصحاب رسول الله ﷺ في وجوب قتال الفئة الباغية بالسيف إذا لم يردعها غيره ، ألا ترى أنهم كلهم رأوا قتال الخوارج ، ولو لم يروا قتال الخوارج وقعدوا عنها لقتلوهم وسبوا ذراريهم واصطلموا "[٣] .

وقال أيضاً : " فأما إذا ثبت أن إحدى الفئتين باغية ، والأخرى عادلة مع الإمام ، فإن قتال الباغية واجب مع الإمام ، ومع من قاتلهم محتسباً في قتالهم "[٤] .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/١٥٩) .

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/٢٢٧) .

(٣) أحكام القرآن (٥/٢٨١) .

(٤) نفسه (٥/٢٨١) .

وقد سبق قول الكاساني : " وما روي عن أبي حنيفة ﷺ أنه إذا وقعت الفتنة بين المسلمين ، فينبغي للرجل أن يعتزل الفتنة ويلزم بيته ، محمول على وقت خاص ، وهو ألا يكون إمام يدعوه إلى القتال ، وأما إذا كان فدعاه ، يفترض الإجابة "(١) .

وقالت صاحبة كتاب بيعة علي بعد حديث : " انظروا الفرقة التي تدعو إلى أمر علي فالزموها " : " وفيه دلالة صريحة على أن الحق مع علي، وأن الواجب هو القتال معه ، وليس الاعتزال أو قتاله ، فأصوب الناس في عهده هو من أعانه وحارب معه ، كما يدلنا على ذلك الأمر في قوله : " الزموها " ولم يقل " اعتزلوا " "(٢) .

" والدليل على أنه يجب نصر المحق في الفتنة أن النبي ﷺ حث على قتال الخوارج ، ومدح الطائفة المقاتلة لهم ، وسماها : (أولى الطائفتين بالحق) ، ومع أن قتال علي ﷺ كان في فتنة واختلاف ، فليس كل فتنة يجب فيها الاعتزال، والفتنة أنواع كثيرة، لكل نوع منها حكمه الشرعي الخاص .

كذلك أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية ، وقد توجد الفئة الباغية أثناء الفتنة ، وأمر الله عز وجل بمقاتلة المحاربين ، مع أنهم قد يظهرون

---

(١) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية (١٤٦/١) نقلاً عن بدائع الصنائع .

(٢) بيعة علي بن أبي طالب (ص ٨٧) .

في فتنة الناس واختلافهم ، فليس كل فتنة يجب فيها الاعتزال ، بل ينصر المحق ضد المبطل ، إلا إذا لم يعرف المحق والمبطل ، فعندئذ يجب الاعتزال ، ويجب الاعتزال كذلك عند عدم وجود الإمام الشرعي "[١] .

● **أدلة المرجّحين لموقف الاعتزال :**

أ - اعتزال الصحابة :

ولقد احتج المؤيدون للاعتزال في عهد علي ﷺ بموقف الصحابة الذين اعتزلوا القتال ولم يشهدوه مع أحدٍ من الطرفين ، وزعم بعضهم أن هذا كان موقف أغلب الصحابة ، وليس بصحيح كما قد بينا .

وأقول : ليس بعيداً على أمة رباها النبي ﷺ على الورع ، وعظم لها أمر الدماء ، وحثها على حقنها ، أن يلتبس على بعض أفرادها الحق بالباطل في مثل تلك الظروف التي جعلت الحليم منهم حيران ، وليس معنى اشتراك أغلب الصحابة مع علي أنهم فقدوا جانب الورع الذي برز عند المعتزلين ، بل قد تبين للمشتركين الحق بعد اجتهاد فسلكوه ، وغاب عن الآخرين فاعتزلوه . ولقد عبر أحدهم ﷺ عن ذلك بقوله : " الفتنة إذا أقبلت شبهت ، وإذا أدبرت بينت " ، ولذلك ورد ندم بعضهم على عدم المشاركة في إحقاق الحق ونصر المظلوم .

---

(١) بيعة علي بن أبي طالب (ص ٢٧٠-٢٧١) .

وأعذار المعتزلين العامة أنقلها عن العلماء فيما يلي :

قال القرطبي : " وقيل : إن من توقف من الصحابة حملوا الأحاديث الواردة بالكف على عمومها ، فاجتنبوا ما وقع بين الصحابة من الخلاف والقتال "(١) .

وقال ابن حزم : " وأما من وقف ، فلا حجة له أكثر من أنه لم يتبين له الحق ، ومن لم يتبين له الحق فلا سبيل إلى مناظرته بأكثر من أن نبين له وجه الحق حتى يراه "(٢) .

وقال ابن حجر : " والحق حمل عمل كل أحد من الصحابة المذكورين على السداد . فمن لابس القتال اتضح له الدليل ؛ لثبوت الأمر بقتال الفئة الباغية ، وكانت له قدرة على ذلك . ومن قعد لم يتضح له أي الفئتين هي الباغية ، وإذا لم يكن له قدرة على القتال . وقد وقع لخزيمة بن ثابت أنه كان مع علي ، وكان مع ذلك لا يقاتل ، فلما قتل عمار قاتل حينئذ، وحدث بحديث : (يقتل عماراً الفئة الباغية) أخرجه أحمد وغيره "(٣) .

---

(١) التذكرة (٢/٢٢٣) .

(٢) الفصل (٣/٧٨) .

(٣) فتح الباري (١٣/٤٦) .

وقال الجصاص : " فإن قيل : قد جلس عن علي جماعة من أصحاب النبي ﷺ ، منهم سعد ، ومحمد بن مسلمة ، وأسامة بن زيد ، وابن عمر . قيل له : لم يقعدوا عنه لأنهم لم يروا قتال الفئة الباغية ، وجائز أن يكون قعودهم عنه لأنهم رأوا الإمام مكتفياً بمن معه ، مستغنياً عنهم بأصحابه ، فاستجازوا القعود عنه لذلك . ألا ترى أنهم قعدوا عن قتال الخوارج لا على أنهم لم يروا قتالهم واجباً ، لكن لما وجدوا من كفاهم قتل الخوارج استغنوا عن مباشرة قتالهم "(١) .

وقال البيهقي : " وقد روينا عن بعض الصحابة الذين كرهوا قتاله ، و لم يمضوا معه في حرب صفين أنهم اعتذروا ببعض المعاذير ، وهم : سعد ابن أبي وقاص ، وأسامة بن زيد ، ومحمد بن مسلمة ، وغيرهم . فبعضهم روي فيه أنه قال : " أخطأ رأيي " (يعني سعد بن أبي وقاص) ، وبعضهم كان قد قتل مسلماً حسبه بإسلامه متعوذاً فعاهد الله تعالى أن لا يقتل رجلاً يقول لا إله إلا الله ، وبعضهم سمع تعظيم القتال في الفرقة ، فحسبه قتالاً في الفرقة(٢) ، وبعضهم أحب أن يتولاه غيره ، وقد ذهب أكثرهم إلى أن علياً كان محقاً في قتاله "(٣) .

---

(١) أحكام القرآن (٥/٢٨١) .

(٢) يقصد محمد بن مسلمة وأهبان بن صيفي .

(٣) السنن الكبرى (٨/١٨٨-١٨٩) .

وقال النووي : " واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة ، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم ، وصاروا ثلاثة أقسام :

قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف ، وأن مخالفه باغ ، فوجب عليه نصرته ، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوا ، ففعلوا ذلك ، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده .

وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر ، فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه .

وقسم ثالث : اشتبهت عليهم القضية ، وتحيروا فيها ، ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين ، فاعتزلوا الفريقين ، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم ؛ لأنه لا يحل الإقدام على قتال المسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك ، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين ، وأن الحق معه ، لما جاز له التأخر عن نصرته في قتال البغاة عليه "[١] .

● دراسة موقف المعتزلين :

والحق أن لكل واحد من معتزلي القتال رضوان الله عليهم حالة خاصة ، يجدر دراسة كل منها على حدة بقدر الإمكان :

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/١٥٨-١٥٩) .

١ – سعد بن أبي وقاص ﷺ :

فأما سعد ﷺ ، فقد " روى البزار عن محمد بن المثنى ، عن كثير بن زيد ، عن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، عن عمر بن سعد ، عن أبيه: " أنه جاء إليه جاءٍ فقال : إن هذا قد حصره قومك – يريد عثمان بن عفان – في داره ، قال (سعد) : فما تأمرني ، أكونُ سالاً السيف ؟ ! والله لا أفعل حتى أُعطى سيفاً إذا ضربت به مؤمناً نبا عنه ، وإذا ضربت به كافراً قتله .. الحديث "(١) .

" والحديث ظاهر الدلالة بأن سعداً ﷺ قال هذه الكلمة : " لا أقاتل حتى تأتوني بسيف .. " قديماً أيام حصار عثمان ، فسعد لم يقاتل الثوار ويصدهم عن عثمان ، ولم يقاتل مع علي أصحاب الجمل وصفين والخوارج ، فمنهجه واضح . ولكن الغموض في منهج من يذكر قوله هذا وكأنه قاله في خلافة علي فقط ، أي كأن سعداً إنما تورع عن القتال مع علي فقط !!! . والصواب أن سعداً متورع عن القتال سواء مع عثمان أو

(١) بيعة علي بن أبي طالب (ص ١٦٩) ، وقالت : " وهذا إسناد حسن رجاله كلهم بين الثقة والصدوق إلا أن المطلب بن عبد الله كان يرسل ويدلس مع أنه ثقة لكنه لا يرسل عن التابعين ، وإنما يرسل ويدلس عن كبار الصحابة ، وهنا ليست روايته عن صحابي ، وإنما عن عمر بن سعد ، وعمر تابعي ، ولذلك قال البزار : لا نعلم له – أي للحديث – طريقاً عن سعد أحسن من هذا الطريق " .

مع علي ، وأنه اجتهد فظن أن معاونة عثمان وعلي ضد مخالفيهم من المسلمين لا يجوز ، وأنه من الفتنة التي نهى الرسول ﷺ عن القتال فيها ، مع أن الصواب مع عثمان وعلي رضي الله عنهما ضد مخالفيهما " .
" والتوقف هو الواجب في حق من لم يعرف الحق من الباطل ، والتبست عليه الأمور "(١) .

و " شرط سعد ﷺ بأنه لن يقاتل إلا إذا جاءوه بسيف يعرف المؤمن من الكافر شرط فيه مبالغة من سعد ؛ ليدفع عنه إصرار الناس وإلحاحهم عليه بالاشتراك في الحروب ، والوقوف مع من يرونه محقاً ضد المبطل .

لكن ظاهر كلام سعد -أو قد يفهم منه بعضهم - أن قتال المسلم حرام على الإطلاق ، وهذا غير صحيح ، فالخوارج مسلمون لكنه يجب قتالهم بالإجماع ، وكذلك قطاع الطرق والمحاربون مسلمون ، لكنه يجب قتالهم ، كذلك البغاة الخارجون على الإمام يجب قتالهم حتى يفيئوا إلى الحق ، ويدخلوا في الجماعة .

فإذا فهم بعضهم كلام سعد أنه يرى تحريم دم المسلم مطلقاً فهذا كذب على سعد ، فهو أفقه وأورع من أن يدعي الحرمة المطلقة لدم المسلم الخارجي أو الباغي أو المحارب أو قاطع الطريق وكل هؤلاء حاربهم علي ﷺ .

---

(١) بيعة علي بن أبي طالب (ص ١٧٠) .

وتخلف سعد ﷺ عن كل هذا اجتهاداً ، وهذا خلاف الأولى ؛ لأن الأمر بقتال هؤلاء يعرفه من هو أدنى من سعد بدرجات كثيرة . صحيح أن التورع عن القتال لمن اشتبه عليه الحق والباطل أمر مطلوب ، لكن يبقى أن المصيب والمحق في خلافة علي هو علي ﷺ ، ومن معه من الصحابة ، فمحاربوه أخطأوا ، ومعتزلوه تركوا الأولى في القعود عن نصرته ، هذا ما عليه أكثر علماء المسلمين "[١] .

ولعل سعداً قد ندم على ما كان منه ، كما نقلنا عن الإمام البيهقي، وا لله أعلم .

٢ – عبد ا لله بن عمر رضي ا لله عنهما :

وأما ابن عمر ، فلعل المبرر في اعتزاله يلوح عندما نرقبه " وقد أخذته الحيرة والتردد بين أمرين : فهو أولاً بايع علياً ، والبيعة تلزمه بالسمع والطاعة . وهو ثانياً لا يريد حمل السلاح لقتال المسلمين ، وهو الذي اعتاد أن يحمله لقتال الكافرين ، فلما اتضح له الأمر وهو أن علياً ﷺ هو صاحب الأمر والحكم ، وأن خصومه بغاة خارجون عن حكمه وطاعته أسف وندم على تركه القتال معه "[٢] .

---

(١) بيعة علي بن أبي طالب (ص ١٧١-١٧٢) .

(٢) عبد ا لله بن عمر (ص ٨٨-٨٩) .

" ولنسمع ابن عمر يحدثنا عن هذا الأسف والندم بنفسه "[١] فيما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ، قال : " وذكر أبو زيد عمر بن شبة ، قال : حدثنا أبو القاسم الفضل بن دكين ، وأبو أحمد الزبيري ، قالا : حدثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت ، عن أبيه ، عن ابن عمر أنه قال حين حضرته الوفاة : ما أجد في نفسي من أمر الدنيا شيئاً ، إلا أني لم أقتل الفئة الباغية مع علي بن أبي طالب "[٢] .

قال ابن عبد البر : " وكان رضي الله عنه لورعه قد أشكلت عليه حروب علي رضي الله عنه وقعد عنه ، وندم على ذلك حين حضرته الوفاة "[٣] .

وقال ابن الأثير : " لم يشهد ابن عمر مع علي شيئاً من حروبه حين أشكلت عليه ، ثم كان بعد ذلك يندم على تركه القتال معه "[٤] .

وقد أورد ابن عبد البر رواية تعارض قوله السابق ، قال : " ذكر عمر بن شبه ، قال: حدثنا عمر بن قسيط ، حدثنا أبو المُليح الرقي ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عمر أنه دخل عليه رجل فسأله عن تلك

---

(١) عبد الله بن عمر (ص ٨٨) .

(٢) الاستيعاب (٣/٩٥٣) .

(٣) الاستيعاب (٣/٩٥١) .

(٤) أسد الغابة (٣/٣٤٢) .

المشاهد ، فقال: " كففت يدي فلم أندم والمقاتل على الحق أفضل " "(١).

ففي هذه الرواية يرى فضل المقاتلين ، وهذا يكفي لرد شبه المحتجين باعتزاله . إلا أن الرواية السابقة في ندمه تقدم على هذه ؛ لأنها ذكرت قوله عند الاحتضار ، مما يدل على أنها آخر ما كان عليه .

والذي يظهر لي أن ابن عمر كان يعد القتال بين علي ومعاوية قتالاً من جنس قتال الفتنة فاعتزله ، ولما وقعت حروب كثيرة فيما بعد واشتملت على غايات دنيوية أدرك المعنى الحقيقي لقتال الفتنة ، فندم على تفريطه في نصرة علي رضي الله عنه الذي خلا قتاله من تلك الغايات .

أخرج البخاري عن سعيد بن جبير قال :

" خرج علينا عبد الله بن عمر ، فرجونا أن يحدثنا حديثاً حسناً ، قال : فبادَرَنا إليه رجل فقال : يا أبا عبد الرحمن ! حدثنا عن القتال في الفتنة ، والله يقول : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة** ﴾(٢) فقال : هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك ؟ إنما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين ، وكان الدخول في دينهم فتنة ، وليس كقتالكم على الملك " (٣) .

---

(١) الاستيعاب (٣/٩٥١) .

(٢) سورة البقرة : الآية (١٩٣) .

(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٠٩٥) . يقول ابن حجر في معنى قوله : " وليس كقتالكم على الملك " : " أي في طلب الملك ، يشير إلى ما وقع بين مروان ثم عبد الملك ابنه وبين ابن الزبير ، وما أشبه ذلك " فتح الباري (١٣/٥١) .

٣ - أسامة بن زيد رضي الله عنه :

وأما أسامة رضي الله عنه ، فقد " كانت عاطفته مع الحق والعدل مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فهو بالرغم من أنه لم يبايع علياً ، ولا شهد معه شيئاً من حروبه ، إلا أنه أرسل إليه : إنك لو كنت في شِدق الأسد ، لأحببت أن أكون معك فيه ، ولكن هذا أمر لم أره "(١) .

وتمام هذا النص عند البخاري ، أن حرملة مولى أسامة قال : " أرسلني أسامة إلى علي ، وقال : إنه سيسألك الآن ، فيقول : ما خلّف صاحبك ؟ فقل له : يقول لك : .. " وذكر نحوه(٢) .

قال الحافظ تعليقاً على قوله : " إنه سيسألك " : " هذا هيأه أسامة اعتذاراً عن تخلفه عن علي ؛ لعلمه أن علياً كان ينكر على من تخلف عنه(٣)، ولا سيما مثل أسامة الذي هو من أهل البيت ، فاعتذر بأنه لم يتخلف ضنّاً منه بنفسه عن علي ، ولا كراهة له ، وأنه لو كان في أشد الأماكن هولاً لأحب أن يكون معه فيه ويواسيه بنفسه ، ولكنه إنما تخلف لأجل كراهيته في قتال المسلمين ، وهذا معنى قوله : " ولكن هذا أمر لم أره " "(٤) .

---

(١) أسامة بن زيد (ص ٩٣) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧١١٠) .

(٣) وهذا مما يثبت عدم ندمه على قتاله ، لا كما يذكر في بعض الروايات الضعيفة .

(٤) فتح الباري (١٣/٧٣) .

ثم قال : " قال ابن بطال : أرسل أسامة إلى علي يعتذر عن تخلفه عنه في حروبه ، ويعلمه أنه من أحب الناس إليه ، وأنه يحب مشاركته في السراء والضراء ، إلا أنه لا يرى قتال المسلم . قال : والسبب في ذلك أنه لما قتل ذلك الرجل - يعني الماضي ذكره في " باب ومن أحياها " في أوائل الديات - ولامه النبي ﷺ بسبب ذلك ، آلى على نفسه أن لا يقاتل مسلماً . فذلك سبب تخلفه عن علي في الجمل وصفين. انتهى ملخصاً "(١).

" ثم إن أسامة رضي الله عنه لم يقاتل مع علي رضي الله عنه الخوارج مع أن النبي ﷺ قد أوصى بقتالهم ، وحث عليه ، كما في الصحيحين : (فوا لله لو أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) "(٢) .

فهذا اجتهاد من أسامة رضي الله عنه في الأخذ بظاهر الحديث السابق حبّاً للاحتياط ، فلم يؤثر عنه قتال مانعي الزكاة ؛ لأنهم مسلمون . ولم يعرض نصرته على عثمان ؛ لأن الخارجين عليه مسلمون . ولم يقاتل مع علي ؛ لأن مخالفيه مسلمون ، سواء كانوا من البغاة أوالخوارج، فكل هذه الأصناف - مانعي الزكاة ، الثوار على عثمان ، البغاة ، الخوارج - يشهدون ألا إله إلا الله ، وأسامة لن يقاتل من يشهد ألا إله إلا الله ،

---

(١) فتح الباري (١٣/٧٣) .

(٢) بيعة علي (ص ١٧٩) .

حتى ولو كان ذلك مستحقاً للمقاتلة "(١) .

٤ - محمد بن مسلمة ﷺ :

وأما محمد بن مسلمة ، فالذي صح من أمره ما أخرجه الحاكم بإسناده وصححه ووافقه الذهبي ، عن ضبيعة ، قال حذيفة : " إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتنة ، فأتينا المدينة ، فإذا فسطاط مضروب ، وإذا محمد بن مسلمة ، فسألناه ، فقال : لا نشتمل على شيء من أمصارهم حتى ينجلي الأمر عما انجلى "(٢) .

إنه لم يتبين وجه الحق ، ولم يعرف له صاحباً ، فلا جرم أنه لن يغمس يديه في أمر لا يملك تبريره أمام الله ، وهذا هو الصواب في حقه .

وقد نقلت قول البيهقي في عذر محمد بن مسلمة ، وأنه سمع النبي ﷺ ينهى عن القتال في الفرقة ، فظنه قتالاً في الفرقة .

وأما ما أخرجه ابن سعد فقال : " أخبرنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا هشام بن حسان، عن الحسن ، أن رسول الله ﷺ أعطى محمد بن

---

(١) بيعة علي (ص ١٨٠) .

(٢) المستدرك على الصحيحين (٤٣٣/٣) قال الحاكم : " هذه فضيلة كبيرة بإسناد صحيح " . وانظر نحوه (٤٩٢/٣) قال عنه الذهبي ، كما ذكر المحقق : " صحيح " . وانظر نحوه في : الطبقات الكبرى (٢٣٥/٢) ح .

مسلمة سيفاً فقال : (قاتل به المشركين ما قوتلوا ، فإذا رأيت المسلمين قد أقبل بعضهم على بعض ، فأت به أحداً فاضربه به حتى تقطعه ، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية) "[1] .

فإن الحسن لم يسمع من محمد بن مسلمة ، فهو منقطع . ولو صح فإن الظاهر اختصاصه بذلك ؛ لطبيعةٍ علمها النبي ﷺ فيه ، كما علم من أبي ذر عدم توافقه مع بيئة المدينة حين يبلغ البناء فيها سلعاً ، ومن ثم أمره بالخروج منها إن رأى ذلك .

بقي أن نناقش قول حذيفة فيه ، وله حكم الرفع : " لا تضره الفتنة " . ما الدليل في هذه العبارة على أن القتال الذي اعتزل عنه محمد بن مسلمة رضي الله عنه قتال فتنة ؟ هل هو إخبار من النبي ﷺ عن ذلك ؟! . إن اعتزاله رضي الله عنه لا يعدو كونه اجتهاداً رآه حين لم يتبين له الحق ، فالقتال مع الحق ليس فتنة ، والاعتزال إن كان عن اجتهاد ليس فتنة ، بل الفتنة في القتال عن هوى، ولم يفعلها محمد ، والفتنة في الاعتزال معصية للإمام مع تبين الحق، ولم يلابسها محمد ، وليست عصمته من الفتنة تنحصر في مباشرة القتال أو عدمها ، بل الفتنة قد تكون في الأهل والمال والولد وغير ذلك ، وقد لقي ربه ولم يضره شيء من ذلك ، كما أخبر حذيفة رضي الله عنهما .

---

(١) الطبقات الكبرى (٢/٢٣٥) ح .

٥ – أبو بكرة ﷺ :

وأما أبو بكرة ﷺ ، فقد تأثر بما رواه ، كما حصل ذلك مع كل صحابي سمع من النبي ﷺ شيئاً ، وكان الوعيد الذي ينطوي عليه الحديث باعثاً له على الخوف من الاشتراك فيما وقع من حروب ، ولم يكن عقله يقبل – وقد ملأ عليه هذا الحديث كيانه – أن يحمل سيفاً على مسلم ، ومن ثم كان الاعتزال ، لا سيما مع عدم اتضاح الحق له .

ب – المفاسد التي ترتبت على القتال :

ومما احتج به من نصر موقف المعتزلين ما ترتب على القتال من المفاسد التي لم تكن لتقع لولاه ، وقد ذكرت رداً على ذلك في مناقشة رأي ابن تيمية رحمه الله ، وأسوق هنا المفاسد المترتبة على الاعتزال ؛ لأدفع بها ما ادعي من أضرار القتال .

قال القرطبي : " قال علماؤنا : ليس هذا الحديث –حديث أبي بكرة – في أصحاب النبي ﷺ بدليل قوله تعالى : ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله** ﴾ فأمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية ، ولو أمسك المسلمون عن قتال أهل البغي لتعطلت فريضة من فرائض الله . وهذا يدل على أن قوله : (القاتل والمقتول في النار) ليس في أصحاب النبي ﷺ ؛ لأنهم إنما قاتلوا على التأويل . قال الطبري : لو

كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين من المسلمين الهرب منه ولزوم المنازل وكسر السيوف ، لما أقيم حد ولا أبطل باطل ، ولوجد أهل النفاق والفجور سبيلاً إلى استحلال كل ما حرم الله عليهم من أموال المسلمين ، وسبي نسائهم ، وسفك دمائهم ، بأن يتحزبوا عليهم ، ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة قد نهينا عن القتال فيها ، وأمرنا بكف الأيدي والهرب منها ، وذلك مخالف لقوله عليه الصلاة والسلام : (خذوا على أيدي سفهائكم) "[1] .

" فلو اعتزل علي رضي الله عنه الفتنة و لم يحارب الخارجين عليه ، و لم يحارب البغاة ؛ لخالف نصوصاً صحيحة من القرآن والسنة ، تأمر بقتال البغاة والخوارج " . " ولو اعتزل علي رضي الله عنه القتال و لم يقاتل أهل الجمل ولا أهل صفين ؛ لسنَّ سنة سيئة في ترك قتال من خرج على الجماعة ، وترك قتال البغاة ، وعلى هذا فكل والٍ سينفرد بولايته ، ويقول : ما دام معاوية انفرد بالشام و لم يقاتله علي ، فسأنفرد بولايتي هذه ولن يقاتلني علي ، ولن أطيعه حتى يطيعه معاوية . وهكذا تتفكك الدولة الإسلامية خلال أشهر نتيجة تعطيل حكم شرعي ، ألا وهو قتال شاق العصا والخارج عن

(١) التذكرة (٢/٢٣٢-٢٣٣) .

الجماعة ، حتى ولو كان الخارج فاضلاً ، فالفضل لا يقتضي العصمة ، فإذا ارتكب الفاضل أعمالاً ، فإنها توجب له العقوبة "[١] .

ولقد سبق في ثنايا أقوال الأئمة رحمهم الله تعالى ذكر مفاسد أخرى مما يترتب على ترك القتال ، ولا أرى داعياً لإعادتها .

جـ - ثناء النبي ﷺ على الحسن بالصلح :

وأخيراً : فإن من الحجج التي صُوِّب بها الاعتزال ، ونسب بها الخطأ إلى من باشر القتال ، ما أثنى به النبي ﷺ على الحسن ، كما أخرج البخاري بسنده عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: " بينما النبي ﷺ يخطب جاء الحسن ، فقال النبي ﷺ : (ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) "[٢] .

قالوا : لم يكن النبي ﷺ ليمدح الحسن بالصلح ، ثم يكون في القتال خير أو صواب . وهي حجة ضعيفة ؛ لأن المعلوم أن الظروف تتغير من آن لآخر ، وما قد يكون ممدوحاً في وقت ، قد يكون مذموماً في آخر ، والعكس . وهذا ينطبق حتى على العبادات ، وقد سبق أن ذكرنا أن عهد عثمان غير عهد أبي بكر وعمر . وهكذا فإن عهد علي غير عهد الحسن،

---

(١) بيعة علي (ص ٢٣٦) .

(٢) أخرجه البخاري برقم (٧١٠٩) .

والمصالح في عهد هذا قد تتحول في عهد الآخر إلى مفاسد ، وهذا المعنى نصره ابن العربي وهو يتلمس بعض ما حمل الحسن على اتخاذ هذا الموقف حيث قال :

" وعمل الحسن ﷺ بمقتضى حاله ، فإنه صالح حين استشرى الأمر عليه ، وكان ذلك بأسباب سماوية ، ومقادير أزلية ، ومواعيد من الصادق صادقة . منها ما رأى من تشتيت آراء من معه . ومنها أنه طعن حين خرج إلى معاوية فسقط عن فرسه وداوى جرحه حتى برأ ، فعلم أن عنده من ينافق عليه ولا يأمنه على نفسه . ومنها أنه رأى الخوارج أحاطوا بأطرافه ، وعلم أنه إن اشتغل بحرب معاوية استولى الخوارج على البلاد ، وإن اشتغل بالخوارج استولى عليه معاوية . ومنها أنه تذكر وعد جده الصادق عند كل أحد ﷺ في قوله : (إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) "[1] .

---

(١) أحكام القرآن (٤/١٧١٩-١٧٢٠) .

المبحث الخامس

شذرات من حياة عمار رضي الله عنه

المبحث الخامس

شذرات من حياة عمار رضي الله عنه

- لعمار بن ياسر رضي الله عنه في مسند بقي بن مخلد اثنان وستون حديثاً، وفي الصحيحين منها خمسة "[1] .
- " قال ابن سعد : أخبرنا محمد بن عبيد الطنافسي والفضل بن دكين ، قالا : أخبرنا المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن قال : أول من بنى مسجداً يُصَلّى فيه عمار بن ياسر)[2] .
- " وقال أيضاً : أخبرنا قبيصة بن عقبة قال : أخبرنا سفيان ، عن أبيه ، قال : أول من اتخذ في بيته مسجداً يُصَلّى فيه عمار "[3] .
- قال ابن الأثير : " ومن مناقبه أنه أول من بنى مسجداً في الإسلام ، أنبأنا عبيد الله بن أحمد بن علي بإسناده إلى يونس بن بُكير ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن الحكم بن عتيبة ، قال : قدم

---

(1) سير أعلام النبلاء (١/٤٠٧) . وانظر : كتاب " بقي بن مخلد القرطبي ، ومقدمة مسنده " (عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث) (ص ٨٤) .

(2) الطبقات الكبرى (٢/١٨٩) .

(3) نفس المصدر .

رسول الله ﷺ المدينة أول ما قدمها ضُحىً ، فقال عمار : ما لرسول الله ﷺ بُدٌّ من أن نجعل له مكاناً إذا استظل من قائلته ؛ ليستظل فيه ويصلي فيه ، فجمع حجارة ، فبنى مسجد قباء ، فهو أول مسجد بُني ، وعمار بناه "(١) .

- " قال ابن سعد : أخبرنا عبد الله بن نُمير ، عن الأجلح ، عن عبد الله بن أبي الهُذَيل ، قال : لما بنى رسول الله ﷺ مسجده ، جعل القومُ يحملون ، وجعل النبي ﷺ يحمل هو وعمار ، فجعل عمار يرتجز ويقول : نحن المسلمون نبتني المساجدا ، وجعل رسول الله ﷺ يقول : (المساجدا)، وقد كان عمار اشتكى قبل ذلك ، فقال بعضُ القوم : ليموتنّ عمار اليوم ، فسمعهم رسول الله ﷺ فنفض لبنَتَه ، وقال : (ويحك - ولم يقل ويلك - يا ابن سمية ، تقتلك الفئة الباغية) "(٢) .
- " وقال أيضاً : أخبرنا الفضل بن دكين ومحمد بن عبد الله الأسدي ، قالا : أخبرنا سفيان ، عن مغيرة بن إبراهيم : أن عماراً كان يقرأ كل يوم جمعة على المنبر بياسين " (٣) .

---

(١) أسد الغابة (١٣٣/٤) .

(٢) الطبقات الكبرى (١٩٠/٣) .

(٣) نفسه (١٩٣/٣) .

- أخرج مسلم بسنده عن واصل بن حيان ، قال : قال أبو وائل :

" خطبنا عمار فأوجز وأبلغ ، فلما نزل قلنا : يا أبا اليقظان ! لقد أبلغت وأوجزت ، فلو كنت تنفست ، فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه ، فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة ، وإن من البيان سحراً "[1] .

- قال ابن سعد : " أخبرنا الفضل بن دكين ومحمد بن عبد الله الأسدي، قالا : أخبرنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم التيمي ، عن الحارث بن سويد ، قال : وشى رجل بعمار إلى عمر ، فبلغ ذلك عماراً ، فرفع يديه فقال : اللهم إن كان كذَب عليّ فابسُط له في الدنيا واجعله موطأ العقِبِ "[2]

- روى ابن عساكر بسنده .. عن ابن إسحاق قال :

" فبلغني أن عمار بن ياسر قال – وهو يذكر بلال بن رباح وأمه حمامة وأصحابه وما كانوا فيه من البلاء وعتاقة أبي بكر إياهم – فقال :

جزى الله خيراً عن بلال وصحبه   عتيقاً وأخزى فاكهاً وأبا جهل

عشية هما في بلال بسوءة   ولم يحذروا ما يحذر المرء ذو العقل

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٦٩) .

(٢) الطبقات الكبرى (٣/١٩٤) .

بتوحيده رب الأنام وقوله ... شهدت بأن الله ربي على مهل
فإن تقتلوني ولم أكن ... لأشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيارب إبراهيم والعبد يونس ... وموسى وعيسى نجّني ثم لا تملي
لمن ظل يهوى الغيّ من آل غالب ... على غير بركان منه ولا عدل[٣]

- أخرج ابن عساكر بسنده إلى يونس بن حبيب ، نا سليمان بن داود الطيالسي ، نا الأسود بن شيبان ، نا أبو نوفل بن أبي عقرب ، قال : " جزع عمرو بن العاص عند الموت جزعاً شديداً ، فقال له ابنه عبد الله : يا أبا عبد الله، ما هذا الجزع وقد كان رسول الله ﷺ يستعملك ويدنيك ؟ فقال : أي بني ، سأخبرك عن ذلك ، قد كان يفعل ذاك ، فوالله ما أدري أحباً كان ذلك منه أو تألفاً كان يتألفني ؟ ولكن أشهد على رجلين فارق الدنيا وهو يحبهما : ابن أم عبد ، وابن سمية "[١] . وزاد في رواية عن الحسن : " قالوا : فذاك والله قتيلكم يوم صفين ، قال : صدقتم ، والله لقد قتلناه "[٢] .
- روى عبد الرزاق عن الثوري ، قال : أخبرني سلمة بن كهيل ،

---

(٣) تاريخ دمشق (٣٧٦/٤٣) .

(١) تاريخ دمشق (٣٩٣/٤٣) .

(٢) نفسه (٣٩٧/٤٣) .

عن أبي مالك ، عن عبد الرحمن بن أبزى ، قال : " جاء رجل من أهل البادية إلى عمر بن الخطاب ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنا نمكث الشهر والشهرين لا نجد الماء ، قال عمر : أما أنا فلم أكن لأصلي حتى أجد الماء ، فقال **عمار بن ياسر** : أما تذكر إذ أنا وأنت بأرض كذا نرعى الإبل فتعلم أني أجنبت ، قال : نعم ، فتمعكت في التراب، فذكرت ذلك للنبيﷺ فضحك ، وقال : (إن كان ليكفيك من ذلك الصعيد ، أن تقول هكذا) وضرب بيده الأرض ثم نفخها ثم مسح بهما على وجهه وذراعيه إلى قريب من نصف الذراع . فقال عمر : اتق الله يا **عمار** ! قال : فقال **عمار** : فبما عليَّ لك من حق يا أمير المؤمنين إن شئت أن لا أذكره ما حييت . فقال عمر : كلا والله ! ولكن أوليك من أمرك ما توليت "[1] .

- أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن أبي إسحاق ، عن صلة ابن زفر ، عن **عمار بن ياسر** ، قال : " ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : الإنفاق من الإقتار ، وإنصاف الناس من نفسك ، وبذل السلام للعالم "[2] .
- أخرج ابن عساكر بإسناده عن المعتمر قال : سمعت ليثاً يحدث عن

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ، (١/٢٣٨) .

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (١/٣٨٦) .

رجل عن عمار قال :

ثلاثة لا يستخف بحقهم إلا منافق بيّن النفاق : الإمام المقسط ، ومعلم الخير ، وذو الشيبة في الإسلام "(١) .

- وأخرج بسنده أيضاً عن العُتْبي ، نا أبو سليمان ، قال :

" كان عمار بن ياسر يقول : كفى بالموت موعظة ، وكفى باليقين غنى ، وكفى بالعبادة شغلاً " (٢) .

- وأخرج أيضاً بسنده عن موسى بن عقبة ، أن عمار بن ياسر فيما بلغه كان يدعو فيقول :

" اللهم اجعلني من عبادك الصالحين ، وأعطني من صالح ما تعطي به عبادك الصالحين من الأمانة والإيمان والأجر والعافية والمال والولد النافع غير الضار ولا المضر ولا الضال ولا المضل "(٣) .

- قال ابن سعد : " أخبرنا عبيد الله بن موسى قال : أخبرنا عبد العزيز ابن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : قتل عمار يوم قتل وهو مجتمع العقل "(٤) .

---

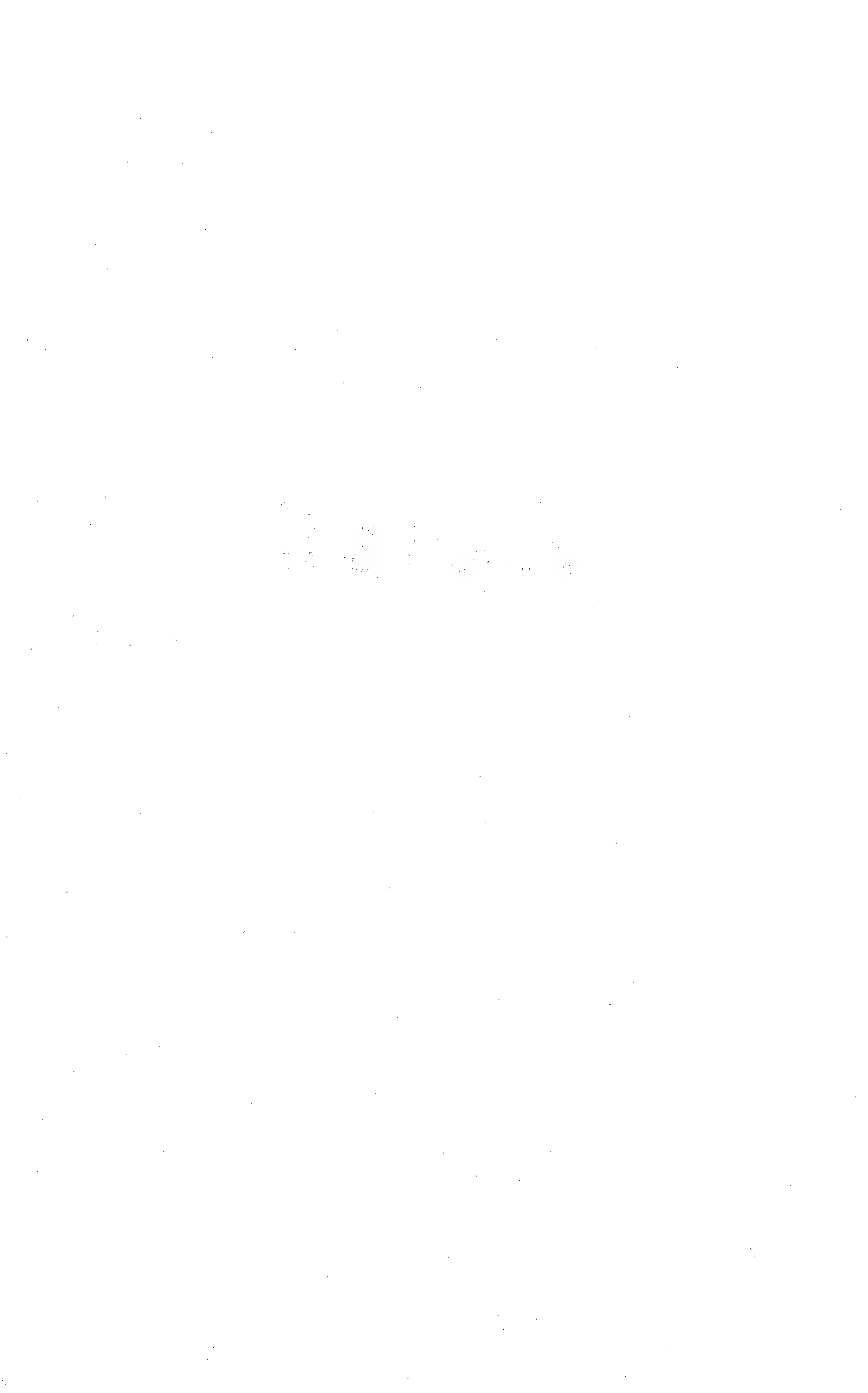
(١) تاريخ دمشق (٤٥٣/٤٣) .

(٢) المرجع السابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) الطبقات الكبرى (١٩٩/٣) .

الخاتمة



الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الطويلة مع صحابينا الجليل رضوان الله تعالى عليه، يجدر بي تلخيص ما قد أوردته مطولاً لكي لا ينسي آخر الكلام أوله .

لقد حوى هذا البحث فصلين ، تكلمت في أولهما عن الترجمة الوافية لحياة **عمار** ﷺ ، وذكرت فيه اسمه ونسبه ، والتحقيق في الأوهام التي وقع فيها المؤرخون مع أمه ، ثم ذكرت صفته الخِلقية ، ثم تعرضت لإسلامه ، وأثبت سبقه إليه ، وذكرت مكانتـه عنـد الله تعالى ، وعنـد رسوله مـن خلال فضائله في الحديث النبوي ، ثم ذكرت ما ترتب على دخوله إلى هذا الدين من المحن والفتن ، وكيف كان موقفه منها ، ثم نزول قول الله فيه : ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان** ﴾[1] . ثم فصلت القول في صفاته الخُلقية وأثر الإيمان فيها ؛ ليتسنى لنا قياس مواقفه عليها ، وذكرت من صفاته الخلقية : شجاعته ، وتواضعه ، وصبره ، وإتقانه ، وورعه، ووشيت الكلام عنها بالشواهد العملية التي تؤكدها .

ثم ذكرت هجرته والاختلاف في شأنها إلى الحبشة ، وتأكيدها إلى

---

(١) سورة النحل : الآية (١٠٦) .

المدينة ، ثم مشاركاته الفعالة في الجهاد الإسلامي مع النبي ﷺ ، وأنه لم يتخلف عن مشهد منها.

وانتقلت بعد ذلك إلى حياته بعد رسول الله ﷺ من خلال مواقفه مع أبي بكر رضي الله عنهما ، ولم أعثر على غير موقفه في معركة اليمامة ، ثم من خلال مواقفه مع عمر رضي الله عنهما ، وما ساهم به في خلافته ، وانتهاء أمره معه إلى ولاية الكوفة ، ومن ثم عزله عنها بسبب وشايات أهلها ، وبينت أسباب تلك الوشايات .

وينتهي الفصل الأول ليجيء الفصل الثاني يحمل في طياته التشويه والانتقاص من هذا الصحابي الكريم من خلال الفتن التي عاصرها ، وكانت أولاها ما نسب إلى عثمان من افتراءات أشعلت فتيل الثورة عليه، وانتهت بقتله رضوان الله عليه ، وخرجت من خلال دراسة العلاقة بينهما بالنقاط التالية :

١ - لم يكن بينهما التوتر الذي غصت به كتب السير والتواريخ ، ونُسجت من خلاله القصص الخيالية التي لا تليق بأصحاب المصطفى ﷺ .

٢ - كان سبب الخلاف بينهما اختلاف في وجهات النظر نتجت عن الاختلاف الذي لاحظه الصحابة في عهده عما عهدوه في عهد صاحبيه .

٣ - لم ينفرد عمار رضي الله عنه بالإنكار على عثمان ، بل حصل ذلك من جمع من كبار الصحابة أدى إلى استغلاله بوضع الروايات التي تعظم أمره، وتبالغ في وصفه .

٤ - عادت العلاقة بينهما إلى طبيعتها بعد مبادرة عثمان رضي الله عنه التي مسحت ما علا قلب عمار رضي الله عنه من الضيق .

٥ - جرى تفنيد الاتهامات التي حملتها الروايات الضعيفة والموضوعة عن ضرب عثمان لعمار ، واتهام عمار له بالكفر ، ومشاركته في إشعال الفتنة والثورة عليه .

٦ - وخرجت من ذلك بتبرئة عمار رضي الله عنه من الاتهام بالمشاركة في قتل عثمان رضي الله عنه ، معززة بأقوال العلماء في ذلك .

وأما ثاني الفتن ، فهي التي تضمنها عهد علي رضي الله عنه منذ توليه الخلافة، ومهدت لها بالعلاقة الحميمة بينه وبين عمار منذ ظهور الإسلام ، واستمرارها حتى آخر رمق من حياته، ثم أتبعت ذلك بتصور عمار رضي الله عنه للفتنة ، وما هي الأسباب التي دفعته إلى اتخاذ مواقفه فيها ، من خلال النصوص والأحكام الشرعية التي انتهت به إلى بيعة علي رضي الله عنه ، والكينونة معه في جميع حروبه ، ونصرته على من خرج عليه ، ثم ذكرت استشهاده وقاتِلَه وما قيل فيه .

وانتقلت من ذلك إلى التحقيقات التي تتعلق جميعها بموقفه من نصرة

علي رضي الله عنه ، وأثبت من خلال أربعة تحقيقات ، أولها : تقتله الفئة الباغية . وثانيها : يزول مع الحق حيث زال . وثالثها : إنما قتله من جاء به . ورابعها : القاعد فيها خيرٌ من القائم . أثبت صحة موقفه من هذه الفتنة ، **وكونه ميزاناً من موازينها** ، وعدم إصابة من خرج على علي رضي الله عنه ، وما دفعه إلى هذا الخروج ، وما الذي دفع المعتزلين إلى مواقفهم ، من خلال دراستها على العموم والخصوص .

ثم ذكرت شذرات من حياة **عمار** رضي الله عنه ، انتهيت منها إلى الخاتمة .

والمتأمل في حياة هذا الصحابي العامرة وحياة أمثاله ، يدرك الأسباب التي وصلت بهم إلى مكانتهم السامقة في الكتاب والسنة .

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : " إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد ، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته. ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون عن دينه "[١] .

إن الكم الهائل من التضحيات التي بذلها ذلك الجيل في الأنفس

---

(١) قال الألباني : " حسن موقوفاً ، أخرجه الطيالسي وأحمد وغيرهما بسند حسن . وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي . واشتهر على الألسنة مرفوعاً ، وفي سنده كذاب . والصحيح وقفه " . تحقيق شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٧٠) .

والأموال والأهل والأوقات ، تجعل المنصف يتغاضى عن كل ما وقع منهم من العثرات ، وهي ذرة في صحراء فضلهم ، وقطرة في بحر جهادهم ، وكثير منها لا حقيقة له ، وليس له من الواقع رصيد ، إلا وجوده في الروايات الضعيفة .

لقد حصل منهم ما حصل في ظروف لم نشهدها ، ويكفينا ما علمناه يقيناً من علو منزلتهم ، وسماحة أخلاقهم ، لرد كل ما لا يليق بهم مما نسبته إليهم روايات لم يتق الله أصحابها ، والسلامة لنا عند الله تعالى بمحبتهم وتوقيرهم ، والتأول لهم ، والكف عما شجر بينهم .

قال ابن حجر : " أخرج ابن عساكر في ترجمة معاوية من طريق ابن منده ، ثم من طريق أبي القاسم ابن أخي أبي زرعة الرازي ، قال : " جاء رجل إلى عمي فقال له : إني أبغض معاوية ، قال له : لم ؟ قال : لأنه قاتل علياً بغير حق ، فقال له أبو زرعة : رب معاوية رب رحيم ، وخصم معاوية خصم كريم ، فما دخولك بينهما ؟ "[1] .

وإذا كان أفجر الخلق ترجى له المغفرة عند الله ، فكيف بمن ملأوا الدنيا بحسناتهم ، وما تزال صحائفهم تستقبل ثواب ما سنّوه لمن بعدهم، وما وصول الدين الذي ندين الله به إلا ثمرة من ثمرات جهادهم ، لا يليق

---

(١) فتح الباري (٩٣/١٣) .

شكرها بانتقاصهم .

قال القرطبي : " لا يجوز أن ينسب إلى أحد من الصحابة خطأ مقطوع به ، إذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه ، وأرادوا الله عز وجل ، وهم كلهم لنا أئمة ، وقد تعبّدنا بالكف عما شجر بينهم ، وألا نذكرهم إلا بأحسن الذكر ؛ لحرمة الصحبة ؛ ولنهي النبي ﷺ عن سبّهم ، وأن الله غفر لهم ، وأخبرنا بالرضا عنهم ، وهذا مع ما قد ورد من الأخبار من طرق مختلفة عن النبي ﷺ أن طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض ، فلو كان ما خرج إليه من الحرب عصياناً ، لم يكن بالقتل فيه شهيداً ، وكذلك لو كان ما خرج إليه خطأً في التأويل وتقصيراً في الواجب عليه ؛ لأن الشهادة لا تكون إلا بقتل في طاعة ، فوجب حمل أمرهم على ما بيناه. ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من إخبار علي بأن قاتل الزبير في النار، وقوله سمعت رسول الله ﷺ يقول : (بشر قاتل ابن صفية بالنار) ، وإذا كان كذلك ، فقد ثبت أن طلحة والزبير ، غير عاصيين ولا آثمين بالقتال ؛ لأن ذلك لو كان كذلك ، لم يقل النبي ﷺ في طلحة: (شهيد) ، ولم يخبر أن قاتل الزبير في النار . وكذلك من قعد غير مخطئ في التأويل ، بل صواب أراهم الله الاجتهاد ، وإذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم ، والبراءة منهم وتفسيقهم ، وإبطال فضائلهم وجهادهم ، وعظيم غنائهم في الدين ﷺ ، وقد سئل بعضهم عن الدماء التي أريقت

فيما بينهم ، فقال : ﴿ **تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون** ﴾[١] ، وسئل بعضهم عنها أيضاً ، فقال : تلك دماء قد طهر الله منها يدي ، فلا أخْضِب بها لساني، يعني في التحرز من الوقوع في خطأ ، والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيباً فيه ، قال ابن فُورك : ومن أصحابنا من قال : إن سبيل ما جرت بين الصحابة من المنازعات ، كسبيل ما جرى بين إخوة يوسف مع يوسف ، ثم إنهم لم يخرجوا بذلك عن حد الولاية والنبوة . فكذلك الأمر فيما جرى بين الصحابة .

وقال المحاسبي : فأما الدماء فقد أشكل علينا القول فيها باختلافهم ، وقد سئل الحسن البصري عن قتالهم ، فقال : قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا ، وعلموا وجهلنا ، واجتمعوا فاتبعنا ، واختلفوا فوقفنا . قال المحاسبي : فنحن نقول كما قال الحسن ، ونعلم أن القوم كانوا أعلم بما دخلوا فيه منا ، ونتبع ما اجتمعوا عليه ، ونقف عند ما اختلفوا فيه ، ولا نبتدع رأياً منا ، ونعلم أنهم اجتهدوا وأرادوا الله عز وجل ، إذ كانوا غير متهمين في الدين، ونسأل الله التوفيق "[٢] .

---

(١) سورة البقرة : الآية (١٣٤) ، والآية (١٤١) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٢١/١٦) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : " ولهذا كان من مذاهب أهل السنة الإمساك عما شجر بين الصحابة ، فإنه قد ثبتت فضائلهم ، ووجبت موالاتهم ومحبتهم ، وما وقع : منه ما يكون لهم فيه عذر يخفى على الإنسان ، ومنه ما تاب صاحبه منه ، ومنه ما يكون مغفوراً، فالخوض فيما شجر يوقع في نفوس كثير من الناس بغضاً وذماً ، ويكون هو في ذلك مخطئاً، بل عاصياً ، فيضر نفسه ، ومن خاض معه في ذلك ، كما جرى لأكثر من تكلم في ذلك ، فإنهم تكلموا بكلام لا يحبه الله ورسوله، إما من ذم من لا يستحق الذم ، وإما من مدح أمورٍ لا تستحق المدح . ولهذا كان الإمساك طريقة أفاضل السلف "(١) .

وقال أيضاً : " ومما ينبغي أن يعلم : أنه وإن كان المختار الإمساك عما شجر بين الصحابة ، والاستغفار للطائفتين جميعاً وموالاتهم ، فليس من الواجب اعتقاد أن كل واحد من العسكر لم يكن إلا مجتهداً متأولاً ، كالعلماء . بل فيهم المذنب والمسيء ، وفيهم المقصر في الاجتهاد لنوع من الهوى، لكن إذا كانت السيئة في حسنات كثيرة كانت مرجوحة مغفورة.

وأهل السنة تحسن القول فيهم وتترحم عليهم ، وتستغفر لهم ، لكن لا يعتقدون العصمة من الإقرار على الذنوب ، وعلى الخطأ في الاجتهاد ،

---

(١) منهاج السنة (٤/٤٤٨-٤٤٩) .

إلا لرسول الله ﷺ ، ومن سواه فيجوز عليه الإقرار على الذنب والخطأ ، لكن هم كما قال تعالى : ﴿ **أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم** ﴾[١] "[٢] .

وقال الطحاوي : " ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا نتبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغير الخير يذكرهم . ولا نذكرهم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان "[٣] .

وقال الحافظ ابن حجر : " واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ، ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد ، وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد ، بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً ، وأن المصيب يؤجر أجرين "[٤] .

وقال التفتازاني : " يجب تعظيم الصحابة والكف عن مطاعنهم ،

---

(١) سورة الأحقاف : الآية (١٦) .

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٤٣٤) .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية (ص ٤٦٧) .

(٤) فتح الباري (١٣/٣٧) .

وحمل ما يوجب بظاهره الطعن فيهم على محامل وتأويلات ، سيما المهاجرين والأنصار وأهل بيعة الرضوان ومن شهد بدراً وأحداً والحديبية ، فقد انعقد على علو شأنهم الإجماع ، وشهدت بذلك الآيات الصراح ، والأحاديث الصحاح ، وتفاصيلها في كتب الحديث والسير والمناقب ، ولقد أمر النبي ﷺ بتعظيمهم، وكف اللسان عن الطعن فيهم، حيث قال: (أكرموا أصحابي فإنهم خياركم) ، وقال : (لا تسبوا اصحابي ..) الحديث ، وقال : (الله الله في أصحابي ، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه) "(١) .

وإن كان من توصيات أو اقتراحات فأقول :

- لا بد من إعادة المكانة اللائقة بصحابة النبي ﷺ في القلوب من خلال التركيز على سيرهم وأخبارهم وجعل ذلك أساساً من أسس التربية وإعادة الأمة إلى الطريق الصحيح .
- ما زالت المكتبة الإسلامية تفتقد تراجم الكثيرين منهم ، والموجود

---

(١) فصل الخطاب في مواقف الأصحاب (ص ١٢-١٣) ، نقلاً عن المقاصد الحسنة (٣٠٣/٢) .

منها لا يؤدي الغرض ، وقد يعكس المقصود بسبب عدم التمحيص في النقل .

- يجدر التركيز على الجانب العملي في حياتهم ، وإثارته في مجالات التربية ، والحث على الاقتداء به .
- لقد حظي الكثير من المجالات الشرعية باهتمام طيب من قبل روادها، وكان من ضمن هذا الاهتمام العناية بإنتاج موسوعات ضخمة شملت الحديث والفقه واللغة وغيرها ، وما زال المجال التاريخي يفتقد المزيد من الاهتمام ، وينتظر جهوداً جماعية صادقة تعكف على الكم الهائل من هذا التراث ، فتنتقي وترتب وتشذب منه وتهذب . وهو ولا شك مشروع ضخم يحتاج إلى جهود عظمى وطاقات كبرى ، ينتظر من الأمة ألا تبخل بها ، مع عظيم نفعه وكبير فائدته ، وكما يسر الله ذلك لغيره ، نستلهم منه أن يعين عليه ، وأن يهيئ له الأفذاذ ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

وكتبه : أسامة بن أحمد سلطان

مكة المكرمة

الأحد ١٤١٩/٢/٦ هـ .

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - أثر التشيع على الروايات التاريخية في القرن الأول الهجري : للدكتور عبد العزيز محمد نور ولي ، دار الخضيري ، ط: ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

٣ - أحكام القرآن : لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، لبنان .

٤ - أحكام القرآن : للإمام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، لبنان .

٥ - الأخلاق الإسلامية وأسسها : لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم - دمشق - بيروت ، ط: ١ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٦ - الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة : لعبد القادر شيبة الحمد .

٧ - أسامة بن زيد : للدكتور وهبة الزحيلي ، دار القلم ، ط: ٢ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

٨ - استشهاد عثمان ووقعة الجمل في مرويات سيف بن عمر في تاريخ الطبري " دراسة نقدية " : تأليف : خالد بن محمد الغيث ، دار الأندلس الخضراء ، ط: ١ ، ١٤١٨ هـ-١٩٩٨ م .

٩ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمر بن عبد البر ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، ط: ١ .

١٠ - أسد الغابة في معرفة الصحابة : لعز الدين بن الأثير ، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد ، دار الشعب .

١١ - الإصابة في تمييز الصحابة : للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ : عبد الموجود والشيخ : علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية، ط: ١ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

١٢ - الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة : لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، طبع في المطبعة العربية .

١٣ - الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رابع الخلفاء الراشدين: لمحمد رضا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان .

١٤ - البحر الزخار المعروف بمسند البزار : للحافظ أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار ، تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن - بيروت ، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، ط: ١ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

١٥ - البداية والنهاية : لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي ، دقق أصوله وحققه : د. أحمد أبو ملحم و د. علي نجيب عطوي و

الأستاذ فؤاد السيد و الأستاذ مهدي ناصر الدين و الأستاذ علي عبد الساير ، دار الريان للتراث ، ط: ١ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

١٦ - البرهان الجلي في دفاع ابن تيمية عن خلافة علي رضي الله عنه : أم مالك الخالدي، مكتبة التوية .

١٧ - بقي بن مخلد ومقدمة مسنده (عدد ما لكل واحد من الصحابة من الحديث) ، دراسة وتحقيق الدكتور : أكرم ضياء العمري ، ط: ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

١٨ - بيعة علي بن أبي طالب في ضوء الروايات الصحيحة مع نقد الدراسات الجامعية في الموضوع : تأليف : أم مالك الخالدي وحسن فرحان المالكي ، مكتبة التوبة ، ط:١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

١٩ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير الأعلام : للذهبي ، تحقيق : الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط: ١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٢٠ - تاريخ الطبري ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ط: ٣ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

٢١ - تاريخ القضاء في الإسلام : للدكتور محمد الزحيلي ، دار الفكر ، ط: ١ ، ١٤١٥ هـ .

٢٢ - تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة المنورة) : لأبي زيد عمر بن شبه النميري البصري ، حققه : فهيم محمد شلتوت ، ط: ١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

٢٣ - تاريخ بغداد أو مدينة السلام : للخطيب البغدادي ، دار الكتب العلمية .

٢٤ - تاريخ خليفة : لأبي عمرو خليفة بن خياط ، تحقيق : الدكتور أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، ط: ٢ ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ .

٢٥ - تاريخ مدينة دمشق : لأبي القاسم علي بن الحسن الشافعي المعروف بابن عساكر ، دراسة وتحقيق : محب الدين أبي سعيد عمر ابن غرامة العمروي ، دار الفكر ، ط: ١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

٢٦ - التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة : للإمام شمس الدين السخاوي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان ، ط: ١ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

٢٧ - تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين : د. محمد أمحزون ، مكتبة الكوثر - الرياض ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط: ١ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

٢٨ - التذكرة في أحوال الموتى والآخرة : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه : فؤاد أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي .

٢٩ - التعريفات : للشريف علي الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

٣٠ - تفسير القرآن العظيم : للإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ، دار المعرفة - بيروت ، لبنان ، ط: ٩ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

٣١ - تفسير القرآن ورغائب الفرقان : لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري ، مطبوع في هامش تفسير القرآن - الطبعة التي سيأتي ذكرها .

٣٢ - تقريب التهذيب : لابن حجر ، تحقيق : محمد عوامة ، دار الرشيد- حلب ، سوريا ، ط: ٤ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

٣٣ - تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير : لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مراجعة : السيد عبد الله هاشم اليماني المدني ، المدينة المنورة ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

٣٤ - تهذيب الأسماء واللغات : للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان .

٣٥ - تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني ، دار الفكر ، ط: ١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٣٦ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال : للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي ، حققه وضبط نصه وعلق عليه : الدكتور بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، ط: ١ .

٣٧ – الثقات : للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، مكتبة مدينة العلم .

٣٨ – جامع البيان في تفسير القرآن : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة – بيروت، لبنان ، ط: ٤ ، ١٤٠٠ هـ –١٩٨٠ م .

٣٩ – الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الناشر : مؤسسة مناهل العرفان – بيروت ، توزيع مكتبة العزالي – دمشق .

٤٠ – الجرح والتعديل : للإمام الحافظ شيخ الإسلام الرازي ، دار الكتب العلمية ، ط: ١، ١٣٧١ هـ – ١٩٥٢ م .

٤١ – الجهاد والقتال في السياسة الشرعية : الدكتور محمد خير هيكل ، دار البيارق ، ط: ٢، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

٤٢ – الحاوي الكبير : للماوردي ، تحقيق وتخريج : د. محمود مطرجي وساهم معه في التحقيق آخرون ، دار الفكر – بيروت – لبنان ، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م .

٤٣ – حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : لأبي نعيم الأصبهاني ، دار أم القرى للطباعة والنشر – القاهرة .

٤٤ – الخليفة المفترى عليه عثمان بن عفان : لمحمد الصادق عرجون ، حققه وعلق عليه : سارية عبد الكريم الرفاعي ، مكتبة الغزالي ، ط: ١ ، ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م .

٤٥ - الدولة الأموية والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداء من فتنة عثمان : الدكتور : يوسف العش ، دار الفكر ، ط: ٢ ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م .

٤٦ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : للعلامة الألوسي البغدادي ، مؤسسة التاريخ العربي ، دار إحياء التراث العربي ، ط: ٤ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

٤٧ - الرياض النضرة في أخبار العشرة ، للإمام أحمد بن عبد الله الطبري، اعتنى به وأخرجه : عبد المجيد طعمه حلبي ، دار المعرفة - بيروت ، لبنان ، ط: ١ ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ .

٤٨ - زوائد تاريخ بغداد على الكتب الستة : للدكتور خلدون الأحدب، دار القلم - دمشق ، ط: ١ ، ١٤١٧ هـ-١٩٩٦ م .

٤٩ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها : لمحمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف - الرياض ، ط: ٢ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٥٠ - السنة : لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال ، دراسة وتحقيق : الدكتور عطية الزهراني ، دار الراية للنشر والتوزيع، ط: ١ ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

٥١ - سنن ابن ماجه : للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، حقق نصوصه ورقم كتبه وأحاديثه وعلق عليه : محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر .

٥٢ - سنن الترمذي : لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق : أحمد شاكر - إبراهيم عطوة عوض - محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديث ، القاهرة .

٥٣ - السنن الصغير : للبيهقي ، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ١٤١٢ هـ-١٩٩٢ م .

٥٤ - السنن الكبرى : للبيهقي ، دار المعرفة - بيروت ، لبنان .

٥٥ - سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي ، دار الفكر - بيروت ، ط: ١ ، ١٢٤٨ - ١٩٣٠ م .

٥٦ - سير أعلام النبلاء : للذهبي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة .

٥٧ - السيرة النبوية : لابن هشام ، علق عليها وخرج أحاديثها ووضع فهارسها : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط: ٣، ١٤١٠ هـ ١٩٨٧ م .

٥٨ - شرح السنة : لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق الشيخ : علي محمد معوض والشيخ : عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان، ط: ١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٥٩ - شرح العقيدة الطحاوية ، حققها وراجعها جماعة من العلماء ، خرج أحاديثها : محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط: ٨ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٦٠ - شرح صحيح مسلم : للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ، راجعه : خليل الميْس ، دار القلم - بيروت ، لبنان ، ط: ١ .

٦١ - صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان : لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد ، مراجعة : شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣م-١٤١٤هـ .

٦٢ - صحيح البخاري : للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي - دار السلام للنشر والتوزيع ، ط: ١ ، ١٤١٧ - ١٩٩٧ م.

٦٣ - صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل : بقلم : عبد الفتاح أبو غدة ، دار الفكر، ط: ٣ ، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

٦٤ - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة : لابن القيم ، تحقيق وتخريج : د. علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، ط: ١ ، ١٤١٢ هـ .

٦٥ - الضعفاء الكبير : لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي ، حققه ووثقه : الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان ، ط: ١.

٦٦ - ضعيف الجامع الصحيح وزيادته (الفتح الكبير) : لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، ط: ٢ ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٦٧ - الطبقات الكبرى : لمحمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد ، دراسة وتحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط: ١ ، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ ، وكذلك طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت ، لبنان ، ط: ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م ، أعد فهارسها : رياض عبد الله عبد الهادي . ورمزت لها برمز ح .

٦٨ - عبد الله بن عمر المؤتسي برسول الله ﷺ ، دار القلم - دمشق ، ط: ٥ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .

٦٩ - العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ: للقاضي أبي بكر بن العربي ، حققه وعلق عليه : محب الدين الخطيب ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ط: ١ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

٧٠ - عون المعبود شرح سنن أبي داود : للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي (مع شرح الحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية) ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط: ٢ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

٧١ - عيون الأخبار : لابن قتيبة ، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، ١٣٤٣ هـ - ١٩٢٥ م .

٧٢ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري : للإمام الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي ، وقال بإخراجه وتصحيح تجاربه : محب الدين الخطيب ، راجعه : قصي محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، ط: ٢ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٧٣ - الفرق بين الفرق : لعبد القاهر بن طاهر البغدادي ، بعناية وتعليق الشيخ : إبراهيم رمضان ، دار المعرفة - بيروت ، لبنان ، ط: ١ ، ١٤١٥ هـ-١٩٩٤ م .

٧٤ - الفصل في الملل والأهواء والنحل : للإمام أبي محمد علي بن أحمد المعروف بن حزم الأندلس الظاهري ، وضع حواشيه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان ، ط: ١ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .

٧٥ - فضائل الصحابة : للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، حققه وخرج أحاديثه : رضي الله بن محمد عباس ، مؤسسة الرسالة، ط: ١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٧٦ - في ظلال القرآن : سيد قطب ، دار العلم للطباعة والنشر بجدة ، ط: ١٢ ، ١٤٠٦ هـ-١٩٨٦ م .

٧٧ - فيض القدير : للعلامة المحدث محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي ، دار المعرفة - لبنان .

٧٨ - الكامل في التاريخ : لعلي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري الملقب بعز الدين ، تحقيق : أبي الفداء عبد الله القاضي -دار الكتب العلمية- بيروت ، لبنان ، ط: ١ ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ .

٧٩ - الكامل في ضعفاء الرجال : لابن عدي ، دار الفكر - بيروت ، لبنان ، ط: ١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٨٠ - كتاب الطبقات : للإمام المحدث أبي عمرو خليفة بن خياط ، حققه وقدم له : الدكتور أكرم ضياء العمري ، دار طيبة ، ط:٢ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٨١ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : لعلاء الدين الهندي البرهان فوري ، تحقيق : بكري حياني وصفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ .

٨٢ - لباب النقول في أسباب النزول : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، المكتبة الشعبية - بيروت ، لبنان ، ط: ٢ .

٨٣ - لسان العرب : لابن منظور ، اعتنى بتصحيحها أمين محمد بن عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت ، لبنان ، ط: ١ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م .

٨٤ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، بتحرير الحافظين الجليلين العراقي وابن حجر ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان .

٨٥ - مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن ابن محمد العاصمي النجدي الحنبلي وساعده ابنه محمد ، إشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين .

٨٦ - مختار الصحاح : لمحمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، دار ومكتبة الهلال - بيروت، ١٩٨٨ م .

٨٧ - المستدرك على الصحيحين : للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت ، لبنان، ط: ١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ .

٨٨ - مسند أبي يعلى الموصلي : للإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى التميمي ، حققه وخرج أحاديثه : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث - دمشق ، ط: ٤ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٨٩ - مسند الإمام أحمد بن حنبل : للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل ، مؤسسة التاريخ العربي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان، ط: ٢ ، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م .

٩٠ - المصنف : للحافظ أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي ، من منشورات المجلس العلمي .

٩١ - المصنف في الحديث والآثار : للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي شيبة الكوفي العبسي ، تحقيق : عبد الخالق الأفغاني ، الدار السلفية - بومبي ، الهند ، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .

٩٢ - المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية : تصنيف الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، وبذيله المستزاد من إتحاف الخيرة للبوصيري ، ضبطه وأخرجه : أيمن علي أبو المعالي و أشرف صلاح علي ، مؤسسة قرطبة ، ط: ١ ، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م .

٩٣ - المعارف : لابن قتيبة ، حققه وقدم له : دكتور ثروت عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط: ٦ .

٩٤ - معاوية بن أبي سفيان : لمنير محمد الغضبان ، دار القلم - دمشق ، ط: ٣ ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

٩٥ - معجم البلدان : لأبي عبد الله ياقوت الحموي ، دار بيروت .

٩٦ - المعجم الكبير : للحافظ أبي هاشم سليمان بن أحمد الطبراني ، حققه وخرج أحاديثه : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط: ٢ ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م .

٩٧ – معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، بتحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون .

٩٨ – المغني : للإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة ، دار الفكر، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤ م.

٩٩ – الملل والنحل : للشهرستاني ، تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الفكر – بيروت .

١٠٠ – منهاج السنة النبوية : لشيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، توزيع : دار أحد .

١٠١ – ميزان الاعتدال في نقد الرجال : لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة – بيروت ، لبنان.

١٠٢ – نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار : لمحمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر .

١٠٣ – الوابل الصيب من الكلم الطيب : لابن القيم ، ضبطه وكتب هوامشه : إبراهيم العجوز ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان .

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات